

ijar studies

International Journal of Academic Researchs Studies Year:1, Number:1, December 2018, s.1-14

Article Arrival Date/ Yayın Geliş Tarihi
02.10.2018

The Publication Date/Yayınlanma Tarihi
23.12.2018

Dr. Oussama GHERBI

Yahia Fares Medea University/Algeria

gherbi.oussama@hotmail.fr

&

Dr. Mohamed YAHIAOUI

Yahia Fares Medea University/Algeria

التعليم الإلكتروني بين متطلبات الجودة وامكانية التصنيع

ملخص

التعليم الإلكتروني هو الثورة الحديثة في أساليب وتقنيات التعليم والتي تسخر أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجهزة وبرامج في عمليات التعليم، بدءا من استخدام وسائل العرض الإلكترونية لإلقاء الدروس في الأقسام التقليدية واستخدام الوسائط المتعددة في عمليات التعليم، وانتهاء ببناء المدارس الذكية والأقسام الافتراضية التي تتيح للطلبة الحضور والتفاعل مع محاضرات وندوات تقام في دول أخرى من خلال تقنيات الإنترنت والتلفزيون التفاعلي.

وعلى ضوء هذه التقنية الحديثة، ومن أجل تعميم الاستفادة منها لكل شرائح المجتمع، وجب على الحكومات انتهاز برامج إستراتيجية من أجل محو الأمية المعلوماتية لدى الأفراد الذين لا يحسنون استعمال مختلف التقنيات الإلكترونية التي تمكنهم من الاستفادة الفعالة من هذه التكنولوجيا الحديثة.

الكلمات المفتاحية: تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، التعليم الإلكتروني، الأمية المعلوماتية، جودة التعليم الإلكتروني.

E-Learning Between Quality and Manufacturing Requirements

Abstract

E-learning is the modern revolution in teaching methods and techniques that harness the latest ICTs from devices and programs in the learning process, from the use of electronic presentation tools to lessons in traditional sections and the use of multimedia in education processes, to the construction of smart schools and virtual sections that Allowing students to attend and interact with lectures and seminars held in other countries through Internet and interactive television technologies.

In light of this new technology, and in order to make use of it to all segments of society, governments must adopt strategic programs for the eradication of information illiteracy among individuals who do not use the various electronic technologies that enable them to benefit effectively from this modern technology.

Keywords: ICT, E-learning, Information Illiteracy, Quality of E-learning.

مقدمة

لقد شهدت تقنية التعليم الالكتروني تطورا كبيرا وانتشارا واسعا في السنوات السابقة في معظم دول العالم، وأصبحت أداة فعالة في نقل وايصال المعلومات العلمية الى المدرسين والطلبة في مختلف البلدان. وأصبحت هذه التقنية من أهم التطورات في مجال الاتصالات حيث وضعت العالم أمام ثورة جديدة في مجال التعليم، وفتحت آفاقا واسعة لأنواع جديدة من التعليم والتدريب يعتمد على توظيف الحاسوب والانترنت والوسائل التفاعلية المتعددة بمختلف انواعها في عملية التدريس بجميع المؤسسات التعليمية وخاصة في التعليم العالي.

ان التعليم الالكتروني يشير الى الاعتماد على التقنيات الحديثة في تقديم المحتوى التعليمي للطلبة بكفاءة وفاعلية من خلال الخصائص الايجابية التي يتميز بها كاختصار الوقت والجهد والكلفة الاقتصادية، وامكانياته الكبيرة في تعزيز تعلم الطلبة وتحسين مستواهم العلمي بصورة فعالة، اضافة الى توفير بيئة تعليمية مشوقة ومثيرة لكل من المدرسين والطلبة، يتم فيها التخلص من محددات الزمان والمكان بالإضافة الى السماح للطلبة بالتعلم في ضوء امكانياتهم وقدراتهم العلمية ومستواهم المعرفي.

وتتكون منظومة التعليم الالكتروني من مدخلات وعمليات ومخرجات وتغذية عكسية، يتطلب تنفيذ هذه المنظومة مجموعة من المتطلبات والمكونات الاساسية تتكامل مع بعضها البعض لغرض انجاح هذه المنظومة وعناصرها المختلفة.

ويشير المتخصصون الى ان التعليم الالكتروني مصطلح واسع يعني استخدام التكنولوجيا في دعم وتعزيز وتيسير العملية التعليمية، وهو بذلك يشير الى نوع التعليم الذي يقدم من خلال الانترنت او الشبكة الداخلية "الانترانت" او الاقراص المدمجة او اقراص الفيديو الرقمية. أي انه طريقة للتعلم باستخدام تقنيات الاتصال الحديثة مثل الحاسوب وشبكاته ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسومات وآليات بحث ومكتبات الكترونية اضافة

الى شبكة الانترنت. أي انه منظومة تعليمية لتقديم البرامج التعليمية والتدريبية للطلبة والمدرسين في أي زمان ومكان باستخدام تقنيات المعلومات والاتصالات التفاعلية، لغرض توفير بيئة تعليمية تفاعلية متعددة المصادر تتعزز من خلالها المعلومات التي يحصل عليها الطلبة اثناء المحاضرات الاعتيادية.

وتعتبر البرامج التدريبية، سواء المتخصصة أو التي تعتمد على المهارة أحد أهم روافد التنمية البشرية، خاصة مع قصور البرامج التعليمية في العديد من البلدان عن سد الفجوة بين ما هو موجود من مناهج دراسية في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وما هو مطلوب منها لمواكبة التطور المتلاحق في هذا المجال. ولذلك، فمن الضروري وضع برامج تدريبية على مستوى عالمي لرفع مستوى المحترفين في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فضلا عن إتاحة برامج أخرى لمستخدمي هذه التكنولوجيا لرفع كفاءتهم في أداء الأعمال وضمان الاستخدام الأمثل للأدوات والبرامج المتاحة لتسهيل أداء الأعمال في كافة القطاعات الأخرى باستخدام هذه التكنولوجيا.

ومنه يمكن تحديد اشكالية بحثنا في السؤال الآتي: ما أهمية صناعة برمجيات التعليم الإلكتروني، وما هي ضوابط الجودة المتبعة في هذه التقنية؟

وقد جاءت هذه الدراسة لتوضح أهمية الانتقال نحو تطبيقات التعليم الإلكتروني نظرا للمزايا التي أصبحت تقدمها من الناحية التعليمية والاقتصادية في نفس الوقت، وبالتالي ضرورة الاستثمار في صناعة برمجيات التعليم الإلكتروني والاستفادة من الأرباح المحققة في هذا المجال، وكذا تنمية قدرات الموارد البشرية في استخدام تقنيات المعلومات والاتصالات بالشكل الذي يعكس ايجابا على مستواهم التعليمي.

كما نهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى تقديم اضافة علمية بسيطة في مجال التعليم والتعلم وذلك من خلال الإشارة الى ضرورة وضع رؤية خاصة في مجال التعليم تتضمن إعادة هيكلة المناهج الدراسية ودمج تعليم البرامج المعدة مباشرة لمعرفة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في مختلف المراحل الدراسية والتي تناسب سوق العمل وتواكب متطلبات مجتمع المعلومات.

المحور الأول: أساسيات في التعليم الإلكتروني

إزاء عولمة الاقتصاد وعمليات إعادة الهيكلة في المنظومات السياسية والاقتصادية في العالم وما تتطلبه من معارف، أخذت منظومة التعليم، وخاصة المستويات العليا، بالتغير وذلك على المستويات الوظيفية والهيكلية، وعلى مستوى المحتوى والمنهج. وهذا التغير تفرضه الحاجات الجديدة إلى القوى العاملة حاضرا ومستقبلا، وكذلك حاجة هذه القوى إلى التعلم المستمر.

أولاً: السمات الرئيسية للتعليم في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

من أهم السمات التي ينبغي أن تستوفيها أنظمة التعليم (الأمم المتحدة، 2003: 25):

1. تعزيز قدرة الطلبة على الحصول على المعرفة واستخدامها: إذ لم يعد بإمكان المدرس أن يقدم كل المعارف المطلوبة للطلبة، فحجم المعارف في تزايد مستمر، وليس بمقدور شخص ما الادعاء بإمكان تقديم آخر المستجدات، وليس بمقدور الطلبة استيعاب كل ما هو متيسر من معلومات عن موضوع معين في فترة محددة. وهكذا يكون التعليم قد تحوّل من أداة لتمير المعارف إلى أداة لتلقين الطلبة كيفية التعلم وكيفية مواجهة المسائل وربط القديم بالجديد؛
2. اعتماد النهج الإجمالي بدلا من النهج المجزأ: لا يزال حيز كبير من التعليم قائما على تجزئة المعرفة إلى اختصاصات متباينة، ولكن الواقع الحالي يتطلب الفهم الإجمالي لمنظومات التفكير، فهو ضروري جدا لإدراك أكثر إحاطة بالواقع المعقد للمنظومة العالمية؛

3. التركيز على المفاهيم المجردة: تقدم المؤسسات الأكاديمية للطلبة أوضاعاً محددة تماماً وتطلب منهم التعامل معها، ولكن الواقع المتسارع نادراً ما يقدم معلومات محددة بطريقة واضحة. ولذلك على الطلبة معرفة كيفية جمع المعلومات الضرورية وتحليلها وكيفية اتخاذ القرارات في واقع معقد لا تتوفر عنه معلومات كاملة؛
4. تعزيز العمل الجماعي: الابتكار والتجديد هما العاملان الأكثر تأثيراً في الاقتصاد، وهذه العملية تحتاج بطبيعتها إلى التفاعل الذي يمثل نهجاً جماعياً في العمل، ويتطلب مهارات في النقاش والإقناع والتنظيم والإدارة، فآليات كثيرة من نظام التعليم الحالي تميل إلى تشجيع الفردية بدلاً من العمل ضمن الفريق؛
5. كسر حدود الزمان والمكان: إذ تتطلب ظروف الحياة والعمل الجديدة التعلم الدائم، وهذا يستلزم مرونة في نظام التعليم بحيث يمكن للمتعلم أن يختار الزمان والمكان المناسبين لتعلمه؛
6. الحاجة المتزايدة إلى تأهيل أعداد أكبر في المجالات العلمية والتقنية: فأسواق العمل تتزايد طلباً على كفاءات في مواضيع مثل التكنولوجيا الحيوية والمواد الجديدة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وغيرها، وعملية الابتكار والتجديد تحتاج إلى عمال من ذوي المهارات العلمية.

ثانياً: أهداف التعليم الإلكتروني

يهدف التعليم الإلكتروني كصيغة حديثة للتعليم عن بعد إلى تحقيق العديد من الأهداف منها (الزكي، 2006):
(5):

1. زيادة فاعلية المدرسين وزيادة عدد طلبة الشعب الدراسية؛
2. مساعدة المدرسين في إعداد المواد التعليمية للطلبة وتعويض نقص الخبرة لدى بعضهم؛
3. تقديم الحقيبة التعليمية بصورتها الإلكترونية للمدرس والطالب معا وسهولة تحديثها مركزياً من قبل إدارة تطوير المناهج؛
4. إمكانية تعويض النقص في الكوادر الأكاديمية والتدريبية في بعض القطاعات التعليمية عن طريق الأقسام الافتراضية "VIRTUAL CLASSES"؛
5. تقديم نظام القبول في الكليات والمعاهد وكذلك الاختبارات الشاملة في التعليم عن بعد وبطريقة ذات مصداقية عالية دون هدر الكثير من أوقات الطلبة والموظفين كما يحدث في الطرق التقليدية؛
6. تقديم الخدمات المساندة في العملية التعليمية مثل التسجيل المبكر وإدارة الشعب الدراسية وبناء الجداول الدراسية وتوزيعها على المدرسين وأنظمة الاختبارات والتقييم وتوجيه الطالب من خلال بوابات خاصة.

ثالثاً: أنواع التعليم الإلكتروني

يمكن التطرق إلى الأنواع التالية (عوض، 2012: 05):

1. التعليم الإلكتروني المباشر: تعني عبارة التعليم الإلكتروني المباشر أسلوب وتقنيات التعليم المعتمدة على الإنترنت لتوصيل وتبادل الدروس ومواضيع الأبحاث بين المتعلم والمعلم، والتعليم الإلكتروني مفهوم تدخل فيه الكثير من التقنيات والأساليب، فقد شهد عقد الثمانينيات اعتماد الأقراص المدمجة "CD" للتعليم لكن عيبها كان واضحاً وهو افتقارها لميزة التفاعل بين المادة والمدرس والمتعلم أو المتلقي، ثم جاء انتشار الإنترنت مبرراً لاعتماد التعليم الإلكتروني المباشر على الإنترنت، وذلك لمحاكاة فعالية أساليب التعليم الواقعية، وتأتي للمسات والنواحي الإنسانية عبر التفاعل المباشر بين أطراف العملية التربوية والتعليمية، ويجب أن نفرق تماماً بين تقنيات التعليم ومجرد الاتصال بالبريد الإلكتروني.
2. التعليم الإلكتروني المعتمد على الحاسب: لازل التعليم الإلكتروني المعتمد على الحاسوب " Computer Based Training " أسلوباً مرادفاً للتعليم الأساسي التقليدي، ويمكن اعتماده بصورة مكملة لأساليب عديدة ضمن خطة تعليم وتدريب شاملة، وتعتمد على مجموعة من الأساليب والتقنيات، فمثلاً إذا كان من الصعب بث الفيديو التعليمي عبر الإنترنت فلا مانع من تقديمه على أقراص مدمجة أو أشرطة فيديو، طالما أن ذلك يساهم في رفع جودة ومستوى التدريب والتعليم، ويمنع اختناقات سعة الموجة على الشبكة. ويتطلب التعليم الإلكتروني ناحية أساسية تبرز

اعتماده والاستثمار فيه، وهي الرؤية النافذة للالتزام به على المدى البعيد وذلك لتجنب عقبات ومصاعب في تقنية المعلومات ومقاومة نفور المتعلمين منه.

3. التعليم الإلكتروني من حيث التقسيم الزمني: وهو نوعين، المتزامن "Synchronous" وغير المتزامن "Asynchronous".

- التعليم الإلكتروني المتزامن "Synchronous": وهو من أنواع التعليم الإلكتروني الذي يتم من خلاله ربط المدرب بالمتدربين في بيئة تعليمية حقيقية بحيث يتواصل المتدرب مع مدربه مباشرة على الرغم من البعد والانفصال الجغرافي. وبهذا النوع من التعليم يكون المدرب مشرفاً على الفصل مع إمكانية محادثة المتدربين مباشرة، بالإضافة إلى إمكانية رؤية الطلبة للوحة الإلكترونية داخل القاعة حال الشرح.
- التعليم الإلكتروني غير المتزامن "Asynchronous": عملية التعليم غير المتزامن. وهي أن تكون العملية التعليمية بين المدرب والمتدرب غير مباشرة وغير محكومة بوقت محدد، بل على فترات مختلفة. ومثاله التعليم الذاتي عن طريق الانترنت أو الأقراص المدمجة "CD-ROM" والمنتديات والبريد الإلكتروني.

ثالثاً: مزايا التعليم الإلكتروني

هناك العديد من المزايا والمبررات والفوائد الأخرى للتعليم الإلكتروني منها (الزكي، 2006، 06):

1. زيادة إمكانية الاتصال بين الطلبة فيما بينهم، وبين الطلبة والمدرسة وذلك من خلال سهولة الاتصال ما بين هذه الأطراف في عدة اتجاهات مثل مجالس النقاش، البريد الإلكتروني، غرف الحوار، بما يزيد ويحفز الطلبة على المشاركة والتفاعل مع المواضيع المطروحة؛
2. المساهمة في وجهات النظر المختلفة للطلبة: فالمنتديات الفورية مثل مجالس النقاش وغرف الحوار تتيح فرصاً لتبادل وجهات النظر في المواضيع المطروحة مما يزيد فرص الاستفادة من الآراء والمقترحات المطروحة ودمجها مع الآراء الخاصة بالطالب مما يساعد في تكوين أساس متين عند المتعلم وتتكون عنده معرفة وآراء قوية وسديدة وذلك من خلال ما اكتسبه من معارف ومهارات عن طريق غرف الحوار؛
3. الإحساس بالمساواة: بما أن أدوات الاتصال تتيح لكل طالب فرصة الإدلاء برأيه في أي وقت ودون حرج، خلافاً لقاعات الدرس التقليدية التي تحرمه من هذه الميزة إما لسبب سوء تنظيم المقاعد، أو ضعف صوت الطالب نفسه، أو الخجل، أو غيرها من الأسباب، لكن هذا النوع من التعليم يتيح الفرصة كاملة للطلاب لأنه بإمكانه إرسال رأيه وصوته من خلال أدوات الاتصال المتاحة من بريد إلكتروني ومجالس النقاش وغرف الحوار؛
4. سهولة الوصول إلى المعلم: يتيح التعليم الإلكتروني سهولة كبيرة في الحصول على المعلم والوصول إليه في أسرع وقت وذلك خارج أوقات العمل الرسمية، لأن المتدرب أصبح بمقدوره أن يرسل استفساراته للمعلم من خلال البريد الإلكتروني، وهذه الميزة مفيدة وملائمة للمعلم أكثر بدلاً من أن يظل مقيداً على مكتبه. وتكون أكثر فائدة للذين تتعارض ساعات عملهم مع الجدول الزمني للمعلم، أو عند وجود استفسار في أي وقت لا يحتمل التأجيل
5. إمكانية تحويل طريقة التدريس: من الممكن تلقي المادة العلمية بالطريقة التي تناسب الطالب فمنهم من تناسبه الطريقة المرئية، ومنهم من تناسبه الطريقة المسموعة أو المقروءة، وبعضهم تتناسب معه الطريقة العملية، فالتعليم الإلكتروني ومصادره يتيح إمكانية تطبيق المصادر بطرق مختلفة وعديدة تسمح بالتحويل وفقاً للطريقة الأفضل بالنسبة للمتدرب؛
6. الاستفادة القصوى من الزمن: إن توفير عنصر الزمن مفيد للطرفين المعلم والمتعلم، فالطالب لديه إمكانية الوصول الفوري للمعلومة في المكان والزمان المحدد وبالتالي لا توجد حاجة للذهاب من البيت إلى قاعات الدرس أو المكتبة أو مكتب الأستاذ وهذا يؤدي إلى حفظ الزمن من الضياع، وكذلك المعلم بإمكانه الاحتفاظ بزمنه من الضياع لأن بإمكانه إرسال ما يحتاجه الطالب عبر خط الاتصال الفوري؛

7. تعلم اللغات الأجنبية: يقدم التعليم الإلكتروني عونا هائلا في تعلم اللغات. من خلال الصور ومقاطع الفيديو، وتسجيل اللفظ والمساعدة على تحسينه. وتوجد حاليا أقراص مدمجة بكل اللغات تقريبا، وكذلك مواقع واب تتيح تعلم اللغة بطريقة حية، ويتيح البعض منها، وخاصة المواقع التي تتلقى رسوما مالية، التدريب على اللفظ وخاصة للمتدربين أو الخجولين من التحدث أمام الآخرين ويتطلب استخدام هذه التكنولوجيا التدريب على طرائق استخدامها واستخدام برنامج مناسب يتيح للطلبة بلوغ أهدافهم (الأمم المتحدة، 2003: 48).

خامسا: معوقات أمام التعليم الإلكتروني

تمتد قائمة الفوائد التي تعود من التعلم الإلكتروني، إلا أن هناك بعض الحواجز والعقبات التي تواجه تطوره بسرعة، ومن أهمها:

1. تكاليف البداية أو الإنشاء: بالنسبة للمؤسسات التي لا تمتلك أي بنية تحتية فنية أو تقنية، قد يقتضي الأمر قدرا كبيرا من التكاليف حتى يمكنها البدء، ومع ذلك، فلدى أغلب المؤسسات الآن متطلبات القاعدة الأساسية - أو ما يسمى بخط الأساس- اللازمة في بدء تطبيق حلول التعليم الإلكتروني. والعنصران الأساسيان هما (عبد الهادي، 2002: 76):

1. حاسبات آلية سواء تلك التي توضع على المكتب DESKTOP أو المحمولة PORTABLE من أجل المتعلمين في مكان عملهم، أو في مختبراتهم التعليمية؛

2. إتاحة الانترنت، فلدى العديد من المنظمات شبكاتها الداخلية، وهي موقع آخر يمكن الأفراد من الحصول على المحتوى وعلى المناهج عند الطلب.

وتتضمن تكاليف الإنشاء أو البدء في التعليم الإلكتروني، التكاليف المبدئية لتطوير الحلول ولتغيير خدمات الإدارة، وهناك أيضا التكاليف المصاحبة للتدريب.

2. مقاومة العاملين: من الممكن أن تصطبح حالة المبتدئ في التعلم الإلكتروني مشاعر الحرص والشك وحتى العدوانية لدى العاملين والمدراء. فلقد كان الأفراد يجتمعون سويا في مواقع مركزية منذ آلاف السنين ليتعلموا، ويشعر الكثير بارتباطهم بقاعة الدراسة. ويصاب العديد من المدراء بالعصبية من التعلم الإلكتروني لأنهم على يقين أن العاملين لديهم لن يتعلموا وحدهم ولا يمكنهم ذلك أيضا، حتى على الرغم من أن هؤلاء العاملين يدرسون بأنفسهم بعيدا عن بيئة العمل يوميا.

والإدارة تتمثل في التحكم السلطوي الهرمي في جوانب كثيرة، أما في حالة التعلم الإلكتروني (وهو نظام غير هرمي بدرجة كبيرة جدا) يتهدد هذا التحكم. ويخاف العديد من المرشدين التقليديين من التعلم الإلكتروني، لأنهم (Dubois، 1997: 35) يشعرون أن وظائفهم في خطر)

3. نقص الاتصال البشري: من الشكاوى الكبرى التي تحبط الدافعية للاتجاه نحو التعليم الإلكتروني نقص الاتصال البشري، فهناك انطباع عام لدى العديد من الأفراد أنه باستخدام حاسب آلي أو أي أداة تكنولوجية في التعليم لن تكون هناك أي صلات اجتماعية أو اتصالات بشرية.

وهناك العديد من الأشياء التي تعيق الحل الواعد للتعليم الإلكتروني، وتتضمن المشاكل الشائعة ما يلي (عبد الهادي، 2002: 78):

- الافتقار بالخصائص غير العادية المصاحبة للتعلم الإلكتروني، والنظر لها كأداة بدلا من التركيز على التعليم الذي تقدمه؛
- الشعور بالخوف والارتباك تجاه التعليم الإلكتروني؛
- توقع أن تحل الحلول الخاصة بالتعلم الإلكتروني بالكامل محل التعليم الذي يقدم وجهها لوجه؛
- إهمال القيام بتطبيق إدارة التغيير في نفس الوقت بصورة متزامنة؛
- افتراض أن أنظمة التشغيل، وأنماط التعليم، والدافعية، ومستويات الإحباط، ووقت الإدارة، والمعرفة التكنولوجية لها صبغة موحدة.

المحور الثاني: متطلبات الجودة في التعليم الإلكتروني

من المؤكد أن نجاح أي نظام تعليمي وتدريبى يعتمد بشكل كبير على التزامه بمعايير جودة متفق عليها عالميا، وفي مجال التعليم الإلكتروني فإن هذا الأمر يأخذ أهمية خاصة لتباعد المتعلم عن المتعلم.

أولا: تقنيات المعلومات والاتصالات المستخدمة في التعليم الإلكتروني

هناك العديد من التقنيات الناجمة عن ثورة الاتصالات والمعلومات والتي يمكن أن تستخدم في مجال التعليم الإلكتروني منها (الزكي، 2006: 8):

1. برمجيات التأليف بالوسائط المتعددة: تعزز التعليم حيث لا يمل الحاسب الإعادة والتكرار وتعرض المعلومات بالطريقة المناسبة وتمكن المتعلم من الاستجابة وتقديم تعزيزات إيجابية له وتعالج الأخطاء بالإعادة أو بالتوجيه لمعلومات أخرى. كما توفر بيئة تفاعلية وتقل الإنفاق، وتشجع على الاكتشاف والتجربة؛
2. الأقراص المضغوطة المقروءة: تساند وقد تكون بديل عن شبكات الحاسب (عندما لا تتوفر الشبكات) وتحتوي نسخا عن البيانات التعليمية المنشورة عبر الانترنت والشبكات. وكذلك توفير بيئة تفاعلية تساعد المتعلم على اكتساب المهارات والخبرات والمعرفة وحل المشكلات وتمهد لقيام قدرة ذاتية في العلم والتطوير التقني؛
3. البث التلفزيوني الفضائي: يسهم في تعليم أعداد متزايدة من الدارسين في أقسام مزدحمة، بل ويمكن إعداد وتدريب المعلمين على مستوى الدولة باستخدام هذه التقنية وهي تسهم في علاج التضخم والانفجار المعرفي والتكنولوجي وتسهم في علاج مشكلة قلة عدد المدرسين المؤهلين علميا وتربويا وتساعد المتعلمين في تعويض الخبرات التي قد تفوتهم داخل القسم الدراسي وتساهم في حل مشكلة زيادة نفقات التعليم وهي حل مناسب للتعويض عن شبكات الحاسوب؛
4. تقنيات شبكة الانترنت: إن ذروة الاستفادة من شبكة الإنترنت تتحقق عندما يتم استخدام هذه الشبكة كبيئة للتعلم والتعليم مع انعدام الحدود وانخفاض التكاليف، لذا فإنه يجدر بالدارسين الاطلاع بشكل علمي على هذه الشبكة وخصائصها والمواقع الموجودة عليها، ومدى ملائمة وحدثة المعلومات التي تتضمنها.

ثانيا: وضع إستراتيجية وطنية للانتقال نحو التعليم الإلكتروني

تمهيدا لوضع إستراتيجية ورسم خطط لتنفيذها، هناك إجراءات يمكن اتخاذها وتساعد حتما على وضع الاستراتيجية وتنفيذها:

1. إنشاء هيئة استشارية وطنية عليا: إزاء تعدد الأطراف المؤثرة في العملية التعليمية ولتنوع أصحاب المصلحة فيها، ينبغي تأسيس هيئة تضم مجموعة من الجهات (جامعة الدول العربية، 2003: 37):
 - خبراء معنيين بجميع مستويات وأنواع التعليم؛
 - خبراء في استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم؛
 - خبراء ممن لهم تجارب دولية؛
 - ممثلين لمؤسسات تعليمية عامة وخاصة.وينبغي أن تناط بهذه الهيئة المهام الأساسية التالية:
- وضع الإستراتيجية والخطط التنفيذية الطويلة والمتوسطة والقصيرة الأجل؛
- النظر في أنماط استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم ووضع الأولويات على هذا الصعيد؛
- تنظيم حملة توعية توجه إلى العاملين في التعليم وإلى المجتمع عموما والمعنيين بإدارة التعليم خصوصا؛
- تصميم مشاريع رائدة تستخدم فيها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بهدف نشر استخدام هذه التكنولوجيا والاستفادة منه؛

- وضع المعايير الخاصة بفلسفة التعليم الإلكتروني ومعايير وأدوات لتقييم الأداء في هذا النمط من التعليم والتعلم، ووضع آليات لتطبيق هذه الأدوات وللمراقبة جودة التعليم؛
2. بناء المدرسة الذكية: المدرسة الذكية هي طريقة متكاملة في التعليم تتألف من مواد صممت لتكون ذات فعالية أعلى للطلبة الذين يتبعون أنماط تعلم مختلفة. وهي تستخدم كل الوسائل السمعية والبصرية والشفهية والتفاعلية لمساعدة الطالب على استغلال طاقته التعليمية الخاصة به.
- وتصمم المواد لجعل مشاركة الطالب على أكبر قدر ممكن من الإيجابية والفعالية، إذ يتعلم من التمرين والتجربة والتفاعل مع الآخرين أكثر مما يتعلمه بوسائل التعليم التقليدية. وللاستفادة من هذا النهج، على الطالب أن يتحلى بالقدرة على التفكير المجدد والناقد، وأن يملك قدرا كافيا من الاستقلال الذاتي. وهو ما يجري بناؤه في المدرسة الذكية عن طريق المواد التعليمية التي تشجع العمل التعاوني والتناقسي بين الطلبة.
- وتعتمد هذه المدرسة بكثافة على كل مكونات وأدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ويمكن أن تقام هذه المدرسة على شكل أقسام يوزع فيها الطلبة في مجموعات، تشترك كل مجموعة في استخدام حاسوب، وترتبط كل الحواسيب بشبكة داخلية يدير عملها المعلم. ويطلب من الطلبة القيام بأنشطة تعاونية ضمن كل مجموعة وضمن الصف الواحد، على أن يجري التعلم على أساس الاكتشاف وليس التلقين.
- ومن الدول التي تقوم بتجارب رائدة في هذا المجال ماليزيا، وبعض الدول المجاورة لها. فهي تحاول التسويق لهذا النمط من المدارس في بعض الدول العربية، مثل الإمارات العربية المتحدة، والجمهورية العربية السورية، والمملكة العربية السعودية (Dubois, 1997: 59)،
3. ربط المدارس والمؤسسات التعليمية بشبكة الإنترنت: يمكن ربط المؤسسات التعليمية بشبكة الإنترنت مباشرة أو عن طريق شبكة خاصة بالتعليم، والاستخدامات المباشرة لذلك منوعة، تشمل البحث والحصول على المعلومات لأغراض مختلفة، والتواصل مع العالم الخارجي، وأنشطة التعريف بالطلبة والمؤسسات التعليمية، وتقديم المعلومات العامة عن نظم الدراسة وشروطها وكل العمليات الإدارية الملحقة بها. ومن المفيد جدا إنشاء مواقع واب للوزارات ومؤسسات التعليم لتقديم أوفر المعلومات عنها وتحديثها باستمرار واستخدامها واجهة تخاطب مفتوحة بين هذه المؤسسات والمتعلمين والمجتمع عموما. ومن بين الاستخدامات المفيدة أيضا نشر نتائج الطلبة في الشهادات الوطنية وفي المراحل الجامعية، وكذلك المسابقات الرسمية ونتائجها وغير ذلك الكثير من التطبيقات المفيدة والهامة للمجتمع عموما (Hartley, 2000: 39).
4. بناء نظم المعلومات: تبنى هذه النظم على مستوى الوزارات والمؤسسات المعنية بالتعليم، وتتضمن قواعد بيانات عن نتائج الطلبة في الشهادات الوطنية على الأقل، وقواعد إحصائية تتعلق بكل الجوانب التي تعني العملية التعليمية، وغير ذلك من مواضيع ذات طابع إداري وإجرائي.
- ومن الضروري التأكيد هنا على أن المطلوب هو بناء نظم معلومات وليس مجرد أتمتة للعمليات التي تقوم بها المؤسسات التعليمية كما هو الحال في الكثير من الدول. فالمقصود نظم يمكنها أن تقدم معلومات عن بعض جوانب العملية التعليمية وتفيد كثيرا في صنع القرار على مختلف المستويات، وفي مجالات مثل البحث التربوي وغيره.
5. مبادرات لتأمين وصول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى الجميع: لا تتحقق الفائدة العظمى من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلا بنشرها وإتاحتها للجميع وخاصة للطلبة. غير أن أسعار هذه التكنولوجيا لا تزال مرتفعة، وينبغي تجنب أن يحدث استخدام هذه التكنولوجيا في التعليم والتعلم فجوة رقمية جديدة بين من يملك الإمكانيات ومن يفتقر إليها. ولذلك من الضروري البحث عن آليات إجرائية وتكنولوجية لمواجهة هذه المسألة (جامعة الدول العربية، 2003: 39).
- رابعا: متطلبات محو الأمية المعلوماتية للانتقال نحو التعليم الإلكتروني

الأمية المعلوماتية هي اكتساب المعرفة والمهارات التي تمكن الفرد من تحديد المشكلة أو الحاجة المعلوماتية ونوعية المعلومات التي يحتاج إليها وكيفية الوصول إليها تقليدياً وتقنياً والتعامل معها واستخدامها لتلبية الحاجة المعلوماتية (هند، 2009: 15).

نقصد بالأمية المعلوماتية عدم تمكن الأفراد والتنظيمات من التحكم واستخدام مختلف الوسائط التكنولوجية الحديثة في إنتاج معلومات وخدمات يحتاجونها في حياتهم، وأيضاً عدم القدرة على الإبداع والابتكار ومسايرة التطور التكنولوجي الحاصل في مختلف دول العالم.

1. أهمية محو الأمية المعلوماتية: محو الأمية المعلوماتية أصبح ضرورة حتمية نظراً للتغيرات السريعة والمتلاحقة في مختلف نواحي الحياة خاصة التكنولوجية، وتبرز أهميتها في الأمور الآتية:
 - إكساب الأفراد المهارات المعلوماتية تمكنه من مواكبة مستجدات العصر ومواجهة تحدياته، وتمثل المستجدات في تدفق المعلومات والتطورات المتلاحقة في تقنيات المعلومات؛
 - محو الأمية المعلوماتية أصبح ضرورة في عصر ترتفع فيه أصوات التربويين منادية بالتعليم والتعلم المستمر مدى الحياة، فمحو الأمية المعلوماتية وثيقة الصلة بالمنظومة التعليمية، تتأثر بأنظمة التعليم وتؤثر فيها وذلك لأن الطلاب بحاجة إلى المهارات المعلوماتية لإتمام تعليمهم وتحسين نتائجهم؛
 - يساهم بصورة فعالة في خلق المواطن الواعي الذي يمكنه استثمار المعلومات، ويجب على الحكومات ضمان التدفق الحر للمعلومات لجميع مواطنيها من أجل حماية الحريات الشخصية والحرص على مستقبلهم؛
 - محو الأمية المعلوماتية تؤدي إلى ارتفاع معدل الإفادة من مرافق المعلومات مما يؤدي إلى ارتفاع مستوى فعالية التكلفة واستثمار مقتنيات مرافق المعلومات بمستوى يبرر التكلفة فعدم الاهتمام الواضح ببرامج محو الأمية المعلوماتية يعد من معوقات الإفادة من المعلومات؛
 - محو الأمية المعلوماتية يعد وسيلة العبور إلى مجتمع المعلومات الذي ينبغي أن يكون لجميع الأفراد فيه الحق في الحصول على المعلومات التي يمكن أن تبسط من حياتهم، فوجود برامج وطنية لمحو الأمية المعلوماتية ركيزة لتكوين مجتمع معلوماتي؛
 - إن محو الأمية المعلوماتية معترف بها عالمياً كمقدرة أساسية للالتحاق بركب التكنولوجيا، وبالتالي فالمجتمعات ملزمة بوضع استراتيجيات معلوماتية فعالة لمحو الأمية المعلوماتية، وتنمية النواحي الشخصية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المساعدة على الاستفادة من تطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

2. ركائز محو الأمية المعلوماتية في إطار التعليم الإلكتروني: يمكن تحديد ثلاث ركائز أساسية يمكن الاعتماد عليها للحد من الأمية المعلوماتية وتفعيل التعليم الإلكتروني، وهي:

1. تدريب المعلمين والإداريين على استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات: يشمل هذا التدريب الفني على الاستخدام العام والمعياري لأدوات هذه التكنولوجيا الذي يمكن أن يكون موجهاً بطريقة خاصة لأغراض التعليم والإدارة. وفي هذا المجال يمكن الاستفادة من برامج اليونيسكو التي تقدم تدريباً لغرض الرخصة الدولية لقيادة الحاسوب (Dobbs، 2000: 55).

2. تدريب الطلبة: يقصد من تدريب الطلبة إكسابهم مهارات محددة في استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

والجدير بالذكر، أن وضع هذه العملية في إطارها الصحيح - استثمار التكنولوجيا وليس استخدامها - لدى الطلبة، صغارا وكبارا، سيساهم كثيراً في نشر هذه التكنولوجيا والاستفادة منها في مختلف نواحي الحياة العملية لاحقاً.

وعلى أي حال، ينبغي التنبيه إلى أن الاستثمار في أطفال اليوم هو استثمار للغد، وأطفال اليوم سيكونون (Hartley، 2000: 39) الأكثر استخداماً لهذه التكنولوجيا وينبغي أن يكونوا الأكثر استفادة وإفادة منها)

3. تكثيف مبادرات محو الأمية: تبين في العديد من الدراسات أن معدلات الأمية مرتفعة في البلدان المتخلفة، وأن التوقعات المستقبلية تضع تلك البلدان في موقع متأخر على هذا الصعيد، وأنه ينبغي التصدي لهذه المشكلة الحرجة جدا التي تعيق التنمية. وإزاء الانتشار الواسع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات عموما، يمكن التفكير في استغلال أهم التطبيقات الإلكترونية المساعدة في التعليم عن بعد وإدماجها في المراكز الجماعية أو مراكز المنظمات وحتى في المنازل بحيث يستطيع الراغبون الاستفادة مما تتيحه هذه التكنولوجيا، فالكبار والنساء، الذين يشكلون أعلى معدل بين الأميين، يتعرضون لإحراج نفسي واجتماعي في الأقسام التقليدية يجعلهم أكثر ترددا في طرح الأسئلة وأكثر تخوفا من إعطاء إجابات قد تكون خاطئة (المحسن، 2002: 31).

خامسا: المعايير الأكاديمية ومعايير الجودة

يتم ضبط هذه المعايير من خلال (عوض، 2012: 28):

1. تصميم المنظومة المتكاملة للتعلم عن بعد
 - تقوم المؤسسة التي تنوي تقديم برامج دراسية عن طريق التعلم عن بعد بتطوير وإدارة هذه البرامج بما يتناسب مع الأسس المتعارف عليها في التعليم، مع الأخذ في الاعتبار خصوصيات ومتطلبات هذا النمط التعليمي.
 - يجب على المؤسسة التعليمية قبل الشروع في تقديم برامج التعلم عن بعد أن تصمم وتجرب أنظمة التدريس والإدارة للبرامج التي تنوي طرحها وتوفير كافة متطلباتها بغرض الحفاظ على المستوى المطلوب من الجودة والالتزام بالمعايير.
 - توفر المؤسسة الميزانية المطلوبة لبرامج التعلم عن بعد التي تنوي تقديمها ولكامل المدة التي سيقضيها الطلبة في دراسة هذه البرامج وبما يحافظ على معايير الجودة التي تضعها المؤسسة.
2. تصميم البرامج واعتمادها ومراجعتها
 - تحرص المؤسسة التعليمية على أن تكون المعايير الأكاديمية للدرجات الممنوحة لبرامج التعلم عن بعد مكافئة للدرجات التي تمنحها المؤسسة بالطرق المعتادة وملتزمة بالضوابط والمعايير المعتمدة في البلد.
 - تحرص المؤسسة على أن تتسم برامج التعلم عن بعد ومكوناتها بالتوافق الواضح ما بين أهداف التعلم من جهة واستراتيجيات التدريس عن بعد ومحتوى المادة العلمية وأنماط ومعايير التقويم من جهة أخرى.
 - تخضع برامج التعلم عن بعد المعتمدة والمطبقة في المؤسسة لعمليات الفحص والمراجعة وإعادة الاعتماد بشكل دوري، وعلى وجه الخصوص يجب الحرص على أن تظل المواد العلمية حديثة وذات أهمية وأن يتم تحسين المادة العلمية واستراتيجيات التدريس والتقييم بناء على التغذية العكسية.
3. ضبط الجودة والمعايير في إدارة برامج التعلم عن بعد
 - تقوم المؤسسة التعليمية بإدارة تقديم برامج التعلم عن بعد بالأسلوب الذي يحقق المعايير الأكاديمية للدرجة الممنوحة.
 - تحرص المؤسسة التعليمية على أن يتم تقديم برامج التعلم عن بعد بحيث توفر للطلاب فرصا عادلة ومعقولة للوصول إلى المستويات المطلوبة لإنجاز متطلبات التخرج.
 - يمثل التعلم عن بعد نشاطا يمارسه جميع المشاركين في النظام بحيث تستخدم نتائج التقويم والمراجعة والتغذية العكسية بشكل مستمر لتطوير كافة مكونات التعليم والتعلم بالإضافة إلى التقنيات المستخدمة.
4. تطوير ودعم الطلاب
 - تعطي المؤسسة اهتماما واضحا لتطوير ودعم التعلم الذاتي وتمكين المتعلمين من التحكم في نموهم التعليمي، ولذا يجب على المؤسسة أن تضع أهدافا واقعية وطرقا عملية لتحقيقها.
 - توفر المؤسسة المعلومات الكاملة والواضحة للطلاب الدارسين عن بعد في المجالات التالية: طبيعة برنامج التعلم عن بعد ومتطلباته، العلاقة بين التحصيل والإنجاز والتقييم، التقدم الأكاديمي وتجميع

- الساعات المعتمدة. كما يجب أن تقدم هذه المعلومات بحيث تساعد الطلاب على اتخاذ القرارات حول دراستهم وتقييم مسارهم الدراسي حسب معايير واضحة للأداء.
- تحدد المؤسسة الوسائل المناسبة لتواصل الطلاب وتقديم أعمالهم بما يتلاءم مع الطلاب الدارسين عن بعد وأن تبلغ الطلاب بهذه الوسائل.
 - 5. تقييم الطلاب
 - تبين المؤسسة ما يثبت أن طرق التقييم الختامي المستخدمة لبرامج التعلم عن بعد مطابقة لنمط الدراسة، ولظروف الدراسة بهذا النمط ولطبيعة التقييم المطلوب كما تثبت المؤسسة أن إجراءات التقييم والتصحيح وإعلان الدرجات تجرى بشكل موثوق ومنظم، وأن هذه الإجراءات تلتزم بالمعايير الأكاديمية.
 - يكون التقييم الختامي وتحديد النتائج النهائية للطلاب تحت الإشراف المباشر للمؤسسة.
 - تستخدم المؤسسة التقييم التكويني كجزء من عملية تصميم برنامج التعلم عن بعد.
 - تراجع المؤسسة بشكل منهجي سلامة إجراءات وممارسات التقييم وتقوم بتعديلها كلما اقتضى الأمر ذلك بناء على التغذية العكسية.

المحور الثالث: مؤشرات صناعة التعليم الإلكتروني العالمي

أظهرت تقارير واستطلاعات ودراسات أن مستقبل صناعة التعليم الإلكتروني أكثر إشراقاً من أي وقت مضى، بحيث تم تسجيل تحول عدد متزايد من الأفراد والشركات والمؤسسات إلى التعليم الإلكتروني إدراكاً منهم ، (2016: 02) Elearning لفعاليتها وكفاءته. وفيما يلي بعض إحصائيات التعليم الإلكتروني حتى سنة 2015)

1. التعليم الإلكتروني هو صناعة قائمة بذاتها في سنة 2011، تم تقدير حوالي 35.6 مليار دولار تم إنفاقها على التعلم الإلكتروني في جميع أنحاء العالم، وقد ارتفع هذا المبلغ إلى 56.2 مليار دولار مع نهاية عام 2015.
2. وقد بلغ سوق التعليم الإلكتروني العالمي 32.1 مليار دولار في عام 2010، مع معدل نمو سنوي بنسبة 9.2% تقريباً، كما حقق سوق التعليم الإلكتروني العالمي إيرادات بحوالي 107 مليار دولار في نهاية عام 2015.
3. يُقدّر اليوم أن 46% من طلاب الجامعات يأخذون دورة واحدة على الأقل عبر الإنترنت. ناهيك عن أن التعليم الإلكتروني يقلل مدة التعليم بنسبة تصل إلى 60%.
4. تشير تقارير العديد من الشركات إلى أن التعليم الإلكتروني هو ثاني أفضل طريقة تدريب يستخدمونها. كما أنها تعتمد على التعليم الإلكتروني في تنفيذ 50% من الأنشطة التجارية.
5. تقنية التعليم الإلكتروني هي أيضاً صديقة للبيئة، وقد وجدت الدراسات الحديثة التي أجرتها جامعة بريطانيا المفتوحة أن التعليم الإلكتروني يستهلك طاقة أقل بنسبة 90% من الدورات التقليدية، كما يتم تقليل كمية انبعاثات ثاني أكسيد الكربون (لكل طالب) بنسبة تصل إلى 85%.
6. وفيما يلي بعض الإحصائيات الأساسية للتعليم الإلكتروني لأجزاء من العالم:

- معدل نمو التعليم الإلكتروني في الشرق الأوسط هو 8.2%، وقد حقق إيرادات وصلت إلى 560.7 مليون دولار نهاية عام 2016.
- معدل نمو سوق التعلم الإلكتروني في أوروبا الغربية هو 5.8%، وحقق إيرادات بـ 1.8 مليار دولار نهاية عام 2015.
- يبلغ معدل النمو السنوي في أفريقيا للتعليم الإلكتروني 15.4%، وقد وصلت إيراداته إلى 512.8 مليون دولار بحلول عام 2016.

7. وفقا لدراسة حديثة أجراها معهد الأبحاث في أمريكا، فإن التعليم الإلكتروني لديه القدرة على زيادة معدلات الاحتفاظ بالمعلومات بنسبة تصل إلى 60%، وهذا يعني أن التعليم الإلكتروني ليس أكثر فعالية من حيث التكلفة فحسب، بل إنه أيضا أكثر فعالية من حيث مقدار المعرفة التي يتم اكتسابها بالفعل أثناء عملية التعلم.

8. كما ان معدل نمو التعليم الإلكتروني لبعض الدول جاء كما يلي:

الهند: 55 % - الصين: 52 % - ماليزيا: 41 % - رومانيا: 38 % - بولندا: 28 % - جمهورية التشيك:

27 % - البرازيل: 26 % - اندونيسيا: 25 % - كولومبيا: 20 % - اوكرانيا: 20 %.

9. وكانت تقنيات التعلم الإلكتروني المستخدمة من طرف الشركات على النحو التالي:

- 74 % من الشركات تستخدم حاليا نظم إدارة التعلم (LMS) / البث عبر الإنترنت / بث الفيديو.
- 48 % من الشركات تستخدم حاليا أداة التعلم السريع (أداة تحويل ppt).
- 33 % من الشركات تستخدم حاليا أداة محاكاة التطبيق.
- 25 % من الشركات تستخدم حاليا نظام إدارة محتوى التعلم.
- 21 % من الشركات تستخدم حاليا دعم الأداء عبر الإنترنت أو نظام إدارة المعرفة.
- 18 % من الشركات تستخدم حاليا تطبيقات الجوال.
- 11 % من الشركات تستخدم حاليا Podcasting.

10. ونعرض من خلال الإحصائيات التالية حجم الطلب على برمجيات وخدمات التعليم الإلكتروني من طرف المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والكبيرة حتى نهاية 2015:

- 44 % من الشركات التي تعتزم شراء أدوات وأنظمة التعلم عبر الإنترنت.
- 41 % من الشركات التي تعتزم شراء أنظمة إدارة التعلم (LMSs).
- 37 % من الشركات عازمة على شراء أدوات / أنظمة تأليف.
- 29 % من الشركات التي تعتزم شراء منتجات وخدمات تطوير المحتوى.
- 27 % من الشركات التي تعتزم شراء أدوات وبرامج تصميم وعرض البرامج التعليمية.
- 18 % من الشركات التي تعتزم شراء منتجات وأنظمة المؤتمرات الصوتية والمجمعية.

الخاتمة

ان جودة التعليم الإلكتروني ونجاحه يعتمد بدرجة كبيرة على طبيعة الممارسات التدريسية التي يتم استخدامها وتوظيف تطبيقاته من خلالها وفي ضوء الحاجة الفعلية له، وليس من خلال الاجهزة والادوات المستخدمة على الرغم من اهميتها في رفع كفاءته وجودته ، ويجب ان يتم التطور الحقيقي للممارسات التدريسية في التعليم الإلكتروني في اطار توظيف استخدام التقنيات الحديثة من خلال تلك الممارسات التدريسية والتي تظهر بوضوح من خلال استخدام تقنيات التعليم الإلكتروني في التعليم التفاعلي والانشطة التفاعلية مما يؤدي الى زيادة فهم المتعلمين وتطور نموهم المفاهيمي.

اذن يمكننا القول بان التطور الذي نرجوه للتعليم الإلكتروني وتطبيقاته المتعددة لن يتم بدرجة عالية من الكفاءة الا من خلال تقديم أفضل التصورات للعملية التعليمية التعلمية وليس من خلال التركيز فقط على تطوير الوسائل التقنية والتي يمكنها فقط اتاحة فرص واسعة ومتعددة لتطوير وتحسين طرائق واساليب التعليم والتعلم.

اننا مطالبون بتوعية المجتمع بأهمية استخدام التعليم الإلكتروني بصورة متكاملة ومتوازية ومصاحبة للتعليم الاعتيادي في مؤسساتنا التعليمية الجامعية والاخرى ومدى أهميته في تجاوز حدود الزمان والمكان واختصار التكاليف اضافة لتحقيقه لمبدأ ديمقراطية التعليم من خلال اتاحة الفرصة للتعليم لجميع شرائح المجتمع.

ومن كل ما ورد يظهر لنا جلياً أهمية وضع معايير قياسية لضبط جودة برمجيات التعليم الإلكتروني حتى تسهم في بناء مجتمع المعرفة بصورة صحيحة ومتكاملة ومتفق عليها.


وحتى يتحقق هذا الهدف وجب تكثيف مبادرات محو الأمية المعلوماتية من خلال التدريب على استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتوظيف تطبيقاتها الحديثة في الحصول على خدمات التعليم الإلكتروني، على أن تكون هذه المبادرات من خلال:

- تحليل كامل لسياسات التعلم الحالية لتقوية التعلم المباشر عبر الإنترنت وتنظيمه.
- تطوير حلول وأنظمة تعليمية بواجهات مألوفة للمستخدم تعتمد على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بتكلفة معتدلة وموجهة للطلبة والمدرسين والأسر؛
- تطوير مكتبات إلكترونية تعزز فكرة التعلم مدى الحياة، والتعلم عن بعد، والتعلم عن طريق أدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات؛
- بناء مراكز وطنية متخصصة في محو الأمية المعلوماتية بالشكل الذي يتناسب ومحتوى التعلم الإلكتروني؛

قائمة المراجع

- **المجلات العلمية**
 - أحمد عبد الفتاح الزكي(2006)، التعليم الإلكتروني ضرورة ملحة في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مقال الكتروني منشور في مجلة العلوم الإنسانية، العدد 2006.
 - هند عبد الرحمن إبراهيم (2009)، مهارات محو الأمية المعلوماتية لدى طالبات البكالوريوس جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: دراسة مسحية، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، العدد 1، يناير 2009، المملكة العربية السعودية.
- **الملتقيات العلمية**
 - الأمم المتحدة (2003)، بناء القدرات في تطبيقات مختارة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في دول منطقة الإسكوا، الجزء الثاني التعليم الإلكتروني، نيويورك.
 - جامعة الدول العربية (2003)، رؤية إقليمية لدفع وتطوير مجتمع المعلومات في المنطقة العربية، وثيقة معتمدة من مجلس الوزراء العرب للاتصالات والمعلومات خلال دورته العادية السابعة، القاهرة، مصر.
 - محمد عوض محمد (2012)، المعايير القياسية وضوابط الجودة لإنتاج برمجيات التعليم الإلكتروني للمساهمة في بناء مجتمع المعرفة، ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر الثالث للتعليم الإلكتروني، جامعة السودان المفتوحة، السودان.
 - إبراهيم بن عبد الله المحسن (2002)، التعليم الإلكتروني... ترف أم ضرورة...؟!، ورقة عمل مقدمة لندوة مدرسة المستقبل، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- ممدوح عبد الهادي عثمان (2002)، التكنولوجيا ومدرسة المستقبل " الواقع والمأمول "، بحث مقدم إلى ندوة " مدرسة المستقبل، كلية التربية جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
- المراجع باللغة الأجنبية
- Dubois J and Will Phillip (1997), The virtual learner: Real learner in a virtual environment. Paper presented at Virtual learning environment conference, Denver, USA, P35.
 - Hartley Darin (2000), All aboard the e- learning train. Training development, Vol. 54, No. 7, American Society for Training & Development, Inc.USA, P 39.
 - Dobbs Kevin (2000), Who's in charge of e- learning Training, June, New York, P 55
 - Elearning industry, Online Learning Statistics And Trends, statistiques found in <https://elearningindustry.com/online-learning-statistics-and-trends> 02/03/2017.



ijar studies

International Journal of Academic Researchs Studies Year:1, Number:1, December 2018, s.15-25

Article Arrival Date/ Yayın Geliş Tarihi
11.09.2018

The Publication Date/Yayınlanma Tarihi
23.12.2018

Amaria HAKEM

Saida University

hakemamaria13000@gmail.com

اختبارات الكفاية التواصلية في تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها.

ملخص

بعد الرغبة الواسعة في تعلم اللغة العربية من قبل كثير من الناطقين بغيرها؛ وفي مقدمتهم الطلبة الأتراك بحكم أن دولتهم إسلامية، ورغبة منا في تحقيق هذه الرغبة ارتأينا أن نساهم بورقة بحثية تتضمن «اختبارات الكفاية التواصلية في تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها» حيث تشير إشكالية البحث إلى تبسيط طرق وكيفيات تلقي مواد اللغة العربية من أجل اكتسابها إما لأغراض تربوية تعليمية، أو لأغراض أخرى؛ تجارية، تواصلية، دينية، سياسية، سياحية، إعلامية، وغيرها من الأغراض، أي من أجل اكتساب الكفاية التواصلية والإنتاجية.

وانطلاقاً من الأهداف المتوخاة والمتمثلة عموماً في اكتساب الكفاية التواصلية بالنسبة للطلبة الأتراك، رأينا أن هناك وسائل إيضاح كثيرة يمكن اعتمادها كإستراتيجيات ناجحة في عملية تبسيط تعليم مواد اللغة العربية، وفي مقدمة هذه الوسائل السبورة الذكية باستعمال الألوان وأداء الأصوات لكل حرف قبل التمكن من كتابة الكلمات المفردة، ثم الجمل البسيطة فالنصوص، وهذا كله عبر الحاسوب الذي أصبح يساهم بشكل كبير في تبسيط العملية التعليمية التعلمية.

تارضاحم ، يبرء ، يبرء ، ميلعت :تبحاثفملا تاملكا

Communication proficiency tests in teaching Arabic to non - native speakers

Abstract:

After the desire to learn Arabic widely by many other speakers; foremost among them the Turkish students because of their Islamic state. In order to achieve this desire, we decided to contribute a research paper that includes "tests of communicative competence in teaching Arabic to non-Arabic speakers" To simplify the ways and means of receiving Arabic language materials for educational or other purposes; commercial, communication, religious, political, tourism, media and other purposes, in order to gain communication efficiency and productivity.

Based on the objectives that are generally desired to acquire communicative competence for the Turkish students, we have seen that there are many means of clarification that can be adopted as successful strategies in the process of simplifying the teaching of Arabic language materials. At the forefront of these tools is the smart board using colors and the performance of sounds for each character before it is possible to write single words , Then simple sentences and texts, and all this through the computer, which has become a significant contribution to the simplification of educational learning process.

Keywords: Communication, Teaching Arabic, Arabic language, Speakers

مقدمة

وانطلاقاً من الأهداف المتوخاة والمتمثلة عموماً في اكتساب الكفاية التواصلية بالنسبة للطلبة الأتراك، رأينا أن هناك وسائل إيضاح كثيرة يمكن اعتمادها كإستراتيجيات ناجحة في عملية تبسيط تعليم مواد اللغة العربية، وفي مقدمة هذه الوسائل السبورة الذكية باستعمال الألوان وأداء الأصوات لكل حرف قبل التمكن من كتابة الكلمات المفردة، ثم الجمل البسيطة فالنصوص، وهذا كله عبر الحاسوب الذي أصبح يساهم بشكل كبير في تبسيط العملية التعليمية التعلمية.

ومع تطور وسائل الاتصال والتواصل التكنولوجية الحديثة لم يعد التعلم صعباً، ولكن الصعب هو الكيفية والمنهج الذي يجب أن يسير على خطاه معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

وتجدر الإشارة إلا أن المنهج الأكثر استعمالاً في العملية التدريسية، هو المنهج الوصفي لأنه يعتمد على الملاحظة؛ أي على البصر والسمع، أو على الصوت والمشاهدة، حيث إن السماع هو أبو الملكات على حد تعبير العلامة (ابن خلدون) _رحمه الله_ إلا أن المنهج الوصفي وحده لا يكفي، إذ لا بد من تضافر عدة مناهج إذا ما كان المسعى هو تحقيق الكفاية التواصلية ثم الإنتاجية؛ ولعل من المناهج المساندة الداعمة للمنهج الوصفي المنهج الافتراضي والمنهج التداولي المعتمدان على المنهج التجريبي والتقابلي.

وجدير بالذكر أن الكثير من العلماء الغربيين يعترفون بأن دراساتهم لم تفتح على سائر العلوم الاجتماعية، ولم تتكامل مع الدراسات الإنسانية إلا بدءاً من منتصف القرن العشرين،¹ نستدل على هذا الرأي بأحد الأنثروبولوجيين؛ وهو مالينوفسكي (Malinovski) الذي يطالب النحويين بتغيير المنهج الذي يتبعونه في بحوثهم اللغوية والمقتصرة على الأوراق والأعمال المكتوبة؛ مقترحاً عليهم تبني المنهج التجريبي الذي يعتمد اللغة المنطوقة.

ولقد أشار عالم اللسانيات «فردينان دي سوسير» «Saussure» 1916 إلى (علم اللسان الخارجي) الذي يعنى بتاريخ الشعوب وحضاراتهم لفهم البنية اللسانية الداخلية الخاصة بكل منها؛² ولذلك فقد ذهب إلى أنه ينبغي دراسة تعبيرات ومفردات لغة شعب ما داخل نظامها اللغوي الخاص، إذ لا وجود لتلك التعبيرات إلا في علاقتها وفي تقابلها مع الكلمات الأخرى التي ارتبطت بها.³

ولعل أهم تغيير أحدثه «دي سوسير» في تاريخ علم اللغة الحديث عند الغرب هو ضرورة الابتعاد عن المنهج الزماني (diachronique) في دراسة اللغة واتباع المنهج التزامني الأني (synchronique) الذي يبحث في التقنيات والطرق التي يتحدث بها الناس في مجتمع لغوي محدد في وقت معين،⁴ جاعلاً اللغة المنطوقة في المقام الأول لدراستها دراسة موضوعية كما هي، وكما تظهر أي في ذاتها ومن أجل ذاتها بغية الكشف عن حقيقتها.⁵

وهكذا يكون ما نادى به (دي سوسير) في الغرب في القرن العشرين قد سبقه إليه إمام اللغة العربية سيبيويه (ت180هـ) وأسلافه من النحاة منذ ما يزيد عن اثني عشر قرناً،⁶ حينما قامت أسس نظرياتهم اللغوية على اللغة المنطوقة التي كانوا يسمعونها من معيّناتها، أي بصورة مباشرة من الناطقين بها، مع ما وضعوا لهذه المادة المسموعة من شروط زمانية ومكانية لصحة الأخذ والقبول بها، وقد شجع سيبيويه على أهمية دراسة تراكيب اللغة العربية من خلال ربطها بتراكيب أخرى مستعملة لدى العرب وقياسها عليها، مشدداً على أن تكون هذه التراكيب متداولة في بيئتهم.

وانطلاقاً من أهمية اللغة المنطوقة التي أساسها السماع، يتطلب تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها: ربط كل مفردة عربية ببيئتها العربية أولاً، ثم الانتقال إلى هذه المفردة نفسها بما توحى إليه في بيئة المتعلم الهدف، حيث يكون جهاز الحاسوب هذا مبرمجاً من قبل معلم العربية صوتاً وصورة لكل حروف العربية ومخارجها، وتكوين الكلمات في المراحل الأولى من الاكتساب اللغوي، على أن يتم تكرار كل مفردة من قبل المتعلم الهدف أمام المعلم، حتى يصحح له مخرج كل صوت، خاصة وأن هناك حروفاً عربية كالكاف والعين والحاء والياء، لا يمكن نطقها في دول كثيرة عربية أو أفريقية أو آسيوية.

وإذا كان المنهج الافتراضي يعتمد على المثير والاستجابة لمعرفة مدى تمكن المتعلم الهدف من اكتساب ما تعلمه، أو ما تلقاه من العملية التدريسية، فإن السؤال المطروح هو ماذا نعلم؟ وكيف نعلم؟ وما هي وسائل التشويش؟ وما هي وسائل الإيضاح؟ ولماذا نعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها؟

هذه الأسئلة وغيرها تيناها أصحاب التيار أو الاتجاه التداولي، أو المنهج التداولي، ولقد وضح أحد التداوليين مبادئ أو قواعد سماها قواعد التخاطب أو الحوار سميت باسمه «مبادئ غرايس (grice)» حيث يمكن

¹Voir : John Lyons : New

² ينظر: سميرة عبد الله الخالدي، أثر سياق الكلام عند سيبيويه ص112

³ . فرديناند دي سوسير: محاضرات في اللسانيات العامة: ترجمة عبد القادر قنيني، ص32،31.

⁴ ينظر: سميرة عبد الله الخالدي، أثر سياق الكلام عند سيبيويه ص113،112.

⁵ محمود السعداني: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، مصر، دط، 1962، ص53

⁶ ينظر: نهاد موسى نظرية النحو العربي، ص 43 ص 44

استثمار هذه القواعد في تعليمية اللغات للناطقين بها أو بغيرها، خاصة في المراحل الأولى من العملية التعليمية وهذه المبادئ هي كالاتي:⁷

1. قاعدة الكم:

- إخبار السامع بالقدر الذي يحتاجه دون زيادة.
- توفر القدر المطلوب من المعلومات.
- يجب أن لا توجز إلى حد الإخلال، ولا تطنب إلى حد الإفراط وتتوافق هذه القاعدة مع تقنيات الحذف والاختصار والاتساع في اللغة العربية، وقد أشار سيبيويه إلى هذه القواعد في كتابه.

2. قاعدة الكيف:

- عدم إعطاء المتكلم للمتعلّم معلومة لا يملك دليلاً على صدقها أو صحتها (عدم الإلغاز).
- لا تقل للمخاطب ما تعلم كذبه (باب الاستقامة في اللغة)
- لا تقل شيئاً تحتاج فيه إلى حجة، أي ما ليس لك عليه بينة (لا تقدم قواعد نحوية عشوائية).

هذه القاعدة تعتمد على القياس، في حالة انعدام قاعدة نحوية واضحة، مثلنا على ذلك: محمد رسول الله/ رسول الله محمد/ فالقاعدة هي أن كل اسم مرفوع معرف نبتدئ به الكلام، يعرب مبتدأ، وفي مثال: ضرب عيسى موسى: هنا يحدث إلغاز حيث إننا لانعرف من الضارب ومن المضروب، إذن في هذه الجملة نعتد على القاعدة الأصل، وهي فعل + فاعل (عيسى) + مفعول به (موسى)

3. قاعدة الورود:

تتمثل في مناسبة المقام لمقتضى الحال بقول سيبيويه: «وسمعت تكبيرات القوم، وكنت بعيداً عنهم ولكن على مرأى منهم؛ فقلت الهلال ورب الكعبة» أي الصيام تتضمن هذه القاعدة؛ أن لكل مقام مقال؛ فالتكبير دلالة على ظهور شهر رمضان، إذ لم تكن هناك وسائل التكنولوجيات الحديثة؛ فكانوا يعتمدون على الرؤية والإعلان بالتكبير؛ ومعنى هذا أن بعض الكلام، أو بعض السلوكيات تفهم من خلال سياقها الذي وردت فيه، أو كمثال سيبيويه: هذا جحر ضب خربٌ/ أو خربٍ/ فصفة (خربٌ) تعود على الجحر وليس على الحيوان (الضب).

4. قاعدة الكيفية:

وتشتمل على آداب الخطاب والحوار وطريقة الأداء:

كن واضحاً، لا تلغز، تجنب الغموض، تجنب الالتباس، ليكن خطابك للمتعلّم الهدف مركزاً، منظماً، كن مؤدباً، يقول سيبيويه: «قف على هذه الأشياء حيث وقفوا ثم فسّر»،⁸ وهو الأمر نفسه الذي أشار إليه أحد زعماء التداولية وهو العالم (ديكرو) Dicrot حيث سن قوانين للتواصل والتبليغ التي هي كالاتي:

1. قانون الاهتمام.

⁷ ينظر: حاكم عمارية، رسالة دكتوراه، تقنيات التبليغ عند سيبيويه 2012-2013 - ص 425 (الجزائر)
⁸ سيبيويه: كتاب..ج1، ص 266.

2. قانون الإخبارية.

3. قانون الاستقصاء.

4. قانون التلطيف.

وإذا كانت هذه القوانين متعلقة بترجمة المتكلم (معلمًا، خطيبًا) فالمستمع (متعلم، جمهور) حظ كذلك من الاهتمام نفسه الذي أولاه القدماء والمحدثون لدراسة المتكلم، ومن قواعد الاهتمام بالمتعلم الهدف ما يلي:

حسن سلامة السمع، حسن الانتباه، الرصيد اللغوي الكافي، الرغبة في التلقي وفي التواصل، القدرة على الربط والاستنتاج والتأويل، القدرة على الاعتراض والمناقشة والتأييد.

وحرّي بالذكر؛ أن الأسئلة التي تحاول التداوليات الإجابة عنها تتفق تماما مع ما تدعو إليه المناهج اللغوية العلمية الحديثة في العملية التعليمية التعلمية، أو في الخطاب التعليمي على وجه العموم وهي:

- من يتكلم؟ نوع المتكلم؟ معلم، شاعر، خطيب.
- إلى من نتكلم؟ نوع السامع؟ في درجة المتكلم نفسه؟ منصت جيد؟ نائم؟ غافل؟ متعلم؟.
- ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ نوع الرسالة ويحددها السياق؟ (مادة تعليمية، التعليم المباشر أو التعليم عن بعد).
- ما هي مصادر التشويش والإيضاح؟ الغموض، اللبس، الإلغاز مثال ذلك: رُوِيَ وَرُوِيَكَ بإضافة الكاف لمخاطبة من هو وسط جماعة، وحتى ينتبه المعني بالنداء والخطاب؛ إضافة الكاف هنا لرفع اللبس والإيضاح.
- كيف نتكلم بشيء ونريد شيئا آخر؟ المجاز والكناية والتأويل وهذا بالنسبة للطلبة في المراحل بعد الأولية كالمستوى الجامعي مثلا للطلبة الناطقين بغير العربية.

والإجابة عن هذه الأسئلة تستدعي استحضار مقاصد التخاطب (الإلقاء والأداء التعليمي) وأفعال اللغة ببعديها المقاصدي والمفالي والتداولي، وهذا تحده نية المتكلم (قصده) ووظيفة الكلام (المادة التعليمية) وسياق الموقف.

وإن كنا نحاول استثمار المبادئ التداولية في تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ فلأن التداولية تدرس اللغة في الاستعمال، أي معالجتها من خلال أدائها وظيفتها التواصلية ولذلك فإنها تهتم بدراسة كل السلوكيات والاستعمالات اللغوية لدى المتكلمين بلغة من اللغات في مجتمع معين؛ فالتداولية تكشف عن سنن وقوانين هذه السلوكيات، وتمثل معطيات التداولية ثورة حقيقية في مجالات متعددة، لأن المتعلم يعد محور العملية التعليمية بعد أن كان التركيز فيما سبق على المادة التعليمية، وتهدف المقاربة التداولية في تعليمية اللغات إلى اكتساب المتلقي كفاية تواصلية تمكنه من توظيف اللغة التي تعلمها في مختلف الوضعيات والمواقف الاجتماعية⁹.

وانسجاما مع هذا التصور؛ فإن المنهجية المقترحة في تعليم وتعلم اللغة العربية يجب أن تتبلور في زرع الرغبة لدى المتعلم الهدف وحثه على ممارسة النسق اللغوي بالتعبير الشفهي، ليتم كيف يسمع، يعيد، يسأل، يجيب، يلاحظ، ويعبر بعد ما يتلقى المبادئ الأولى من أبجديات حروف ومفردات اللغة العربية ومقارنتها بمخزونه حول الأشياء المحيطة به التي يفهمها بلغته الأم، فإنه منذ البداية ينبغي أن تبرمج النماذج المراد تقديمها للمتعلم للهدف قبلها في ذاكرة جهاز الحاسوب صوتا وصورة حتى يتمكن المتعلم من نطقها ومن ثم استيعابها وتشخيصها خاصة المفردات الأساسية الأكثر استعمالا في كل المجتمعات كأسماء الأشياء من أكل وشرب ووسائل نقل أو كتابة، أو

⁹ينظر: محمد الأخضر صبحي: اللسانيات التداولية وأثرها في تعليمية اللغات، مجلة منتدى الأستاذ، ع 03، قسنطينة، الجزائر، 2007، ص 37.

كأسماء الإنسان والحيوان، والملابس، وكالفعل؛ ماضي ومضارع وأمر إلى مفردات وعبارات الحياة والسلام والاحترام وهكذا....

ويشير الباحث محمد الدريبي العلوي قائلا: «والمنهجية على هذا الأساس عند واضعها تحرص على تدريب المتعلم على عملية التمييز والموازنة لتنمو لديه تدريجيا القدرة على الحكم، فالقراءة والكتابة والتمارين البنيوية وتمارين التفكير كلها نسق يخدم غاية تعليم وتعلم اللغة العربية»¹⁰.

يحلينا هذا الرأي على المقاربة البنائية للتعلم عند (جان بياجه) (1980-1986 Jean Praget) عالم السيكولوجيا والسوسولوجيا والمنطق والإبستمولوجيا الذي ركز في أبحاثه على النمو المعرفي، وإذا كان هذا العالم لم يطبق نظريته في مجال التربية والتعليم، إلا أن كثيرا من الباحثين قد استثمروها وقاموا بالمهمة، حيث إن نظريته تقوم على الاستيعاب والمواءمة والتوازن، فالطفل أو المتعلم بصفة عامة كلما وجد نفسه أمام شيء أو شخص أو موقف فإنه يستوعبه بشكل من الأشكال يلاحظه ويميزه ويفهمه، ويقوم بربطه بما يعرفه من قبل، أو يقوم بتصنيفه وتخزينه في الذهن، فإذا شاهد سيارة غريبة مثلا؛ فإنه يعتبرها سيارة في جميع الأحوال رغم غرابتها، وتأتي المواءمة بعد درجة الاستيعاب حيث تتم عملية تغيير المفاهيم والاستراتيجيات بحسب المعلومات الجديدة التي تلقاها ويسمي (ببياجه) هذه الاستراتيجيات (الاستيعاب والمواءمة) بالفئات أو التصنيفات الذهنية أو بالخطاطات الذهنية¹¹.

ويقود التوازن وهو ثالث درجة من درجات التعلم إلى تعديل الفروض الأساسية لدى المتعلم، حيث يمثل المتعلم من وجهة نظر (ببياجه) سلسلة من «النظريات» أو «الرؤى حول العالم»¹² وبعد كل المراحل المعرفية والسلوكية، يصبح المتعلم قادرا على اتخاذ القرارات بطريقة الاستقراء والاستنباط ومعالجة المشكلات (حل التمارين) وبشكل منظم، وهو قادر على التفكير في الأشياء أو الأفكار والصور الذهنية عن طريق تذكر وتصوير الأشياء؛ ومن هنا فالنمو المعرفي يكون نابعا من رغبة المتعلم ذاته لا بالتحفيز من قبل أطراف أخرى وعلى هذا الأساس فإن المقاربة البنائية في التعلم تنفتح على الممارسات البيداغوجية الفعالة»¹³.

وبتضافر كل من المقاربة البنائية (كتاب القواعد النحوية وحل التمارين...) والمقاربة التداولية (اكتساب الكفاية التواصلية) يمكن لمتعلم اللغة العربية الناطق بغيرها أن يتواصل وينتج مع الناطقين الأصل باللغة العربية التي تلقاها.

وعلى أساس ما ستقدمه البنائية والتداولية لتعليمية اللغة العربية أو أي لغة أخرى للناطقين بغيرها؛ لا بد من المرور بعدة مراحل أساسية أولها التركيز على المواد الأساسية التي يمكن تقديمها للمتعلم للهدف ومن هذه المواد:

1. تعليمية حروف اللغة العربية:

تختلف حروف اللغة العربية عن غيرها من اللغات؛ أولا في رسمها من اليمين إلى اليسار عكس جل لغات العالم، وهذا ربما قد يشكل عائقا في بداية الأمر حتى لو كانت العملية التعليمية تتم عبر الجهاز، ومن هنا تبدأ مهمة معلم اللغة العربية؛ وهي تدريب المتعلمين على كتابة هذه الحروف، إلا أن المرحلة التي تسبق مرحلة الكتابة هي مرحلة التعبير الشفهي الذي يعتمد على السماع الذي يجب التركيز عليه من أجل معرفة مخارج الأصوات العربية

¹⁰ قراءة في منهجية تدريس وحدة اللغة العربية من خلال أهداف وتوجيهات تربوية (المدرسة الابتدائية نموذجا)، كتاب اللسانيات وتعليم اللغة العربية وتعلمها، المغرب، 2002، ص47.

¹¹ ينظر: أحمد أوزي، التعليم والتعلم الفعال (بيداغوجيا منفتحة على الاكتشافات العلمية الحديثة حول الدماغ)، مؤسسة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2015، ص44-45.

¹² ينظر: المرجع نفسه، ص45-46.

¹³ نفسه، ص47.

التي من صفاتها الجهر والهمس والإمالة والإطباق والصفير والاستفال والاستعلاء وغيرها من الصفات التي ينبغي لمعلم العربية أن يكون مدركا لها.

2. تعليمية الكتابة:

لا يكفي الحاسوب وحده من أجل اكتساب الكفاية اللغوية التواصلية، بل لا بد من تعليمية كتابة ورسم الحروف العربية لأن الحركات الإعرابية الطويلة والقصيرة، بالإضافة إلى حروف العلة قد تشكل هي الأخرى التباسا عند محاولة كتابة المتلقي كلمات لا يعرف هل يضع الضمة أو الواو أو غيرها من الحركات، فمثلا في تصريف الفعل الماضي المعتل الآخر هل يكتبها بالألف المقصورة، أم بالألف الممدودة مثل: دعا، شكا، رمى، جرى، مشى، وعى التي تستدعي تحويلها إلى المضارع لمعرفة بأي ألف تكتب؟ بالإضافة إلى الأسماء والحروف وغيرها؛ كالأسماء الخمسة أو الستة (أب، أخ، حم، فو، ذو) بالإضافة إلى (هن) التي يحدث الغموض في إعرابها، وهكذا مع بقية ما يمكن أن يقع فيه الغموض.

3. تعليمية القراءة:

بعد تمكن المتعلم الهدف من معرفة الأصوات والحروف وتكوين الكلمات ثم الجمل فالنصوص، يصبح هذا المتعلم قادرا على استيعاب بعض المفاهيم الأساسية خاصة الجمل البسيطة الاسمية (محمد كاتب)، والجمل البسيطة الفعلية (دخل عمر، أكل سمير التفاحة، جاء علي مسرعا، جاء محمد مع عمر) وهكذا.

4. مرحلة التقويم الأولي:

تتمثل هذه المرحلة في اختبار المتعلم الهدف في المواد التي تعلمها في المرحلة الأولية؛ لمعرفة مدى استيعابه ومواءمته وتوازنه مع ما تلقاه من دروس، على أن تكون هذه الامتحانات بسيطة في حدود المادة العلمية التي تلقاها، ويمكن صياغة بعض التمارين على الشكل التالي:

امتحان إدراك حروف الجر:

ضع الحرف الناقص في مكان النقاط

- عاد محمد البيت.
- خرج التلاميذ المدرسة.
- جاء سمير أبيه.
- الكتاب المكتب.
- القلم المحفظة.

امتحان في النحو:

اضبط بالشكل التام الجمل التالية:

- الجو جميل.
- خرج عمر.
- أكل زيد الخبز.
- جاء الولد مسرعاً.
- نجح علي في الاختبار.
- رأيت سميرة في المدرسة.
- كان الجو جميلاً.
- إن البحر هادئ.

امتحان في الصرف:

صرف الأفعال الآتية من الماضي إلى المضارع مع الضمائر التالية (أنا، هو، هي، أنت)

- عاد، جرى، أمسك، قال، سعى، رأى.

امتحان في الإعراب:

أعرّب ما تحته خط

- نام الناس.
- ضرب محمد زيداً.
- العلم نورٌ.
- كان محمد مريضاً.
- إن العلم نافعٌ.

هات اسم الفاعل واسم المفعول من الأفعال التالية:

لعب، قرأ، أكل، استخرج، أطاع.

ضع الكلمات الآتية في جمل مفيدة:

يرسل، يكتب، يقرأ، يشكر، يفكر، يحب.

صحح الخطأ:

- ناولني الكتاب القواعد.
- الجو جميلاً كان.
- الماء محمد شرب.
- الأم إن مدرسة.
- رائع الفستان.

وبعد التصحيح والتقييم يتبين لمعلم العربية إن كانت طريقته في التدريس قد أتت أكلها، حيث إن نجاح التلاميذ في الامتحان الأول هو تحفيز للمرور إلى مراحل تعليمية تتجاوز البساطة الأولى، بحيث ينتقل إلى تدريب المتعلم الهدف على استيعاب قواعد نحوية أكثر صعوبة، بالإضافة إلى تكوين نصوص وفقرات حول موضوع معين، وحبذا لو يكون للموضوع علاقة بأحوال المجتمع أو بظهور تقنية جديدة حتى يتمكن المتعلم الهدف من

التعبير عنها باللغة العربية على أنه يكون قد فكر فيها بلغته الأم، ثم قام بترجمتها إلى اللغة الهدف، وقد يبدو هذا الأمر صعباً في البداية لأن المتعلم الهدف سيجرب المعنى وليس الترجمة الحرفية.

ونشير إلى أنه لم تعد هناك صعوبة في تلقي أية لغة ثانية كانت؛ وذلك أن هناك أوجه تشابه كثيرة بين جميع الخلق حيث «إن التشابه الذي يرى اللغويون المعاصرون أنه موجود بين لغات البشر ليس أمراً جديداً، بل كان نتيجة للبحوث اللغوية المتواصلة التي بدأها علماء اللغة في القرن السابع عشر، وهذا التشابه المفترض يعتمد على أسس قوية منها على سبيل المثال لا الحصر»¹⁴.

- أ. إن اللغات تتضمن أنماط نحوية متشابهة منها (الاسم والفعل).
- ب. إن الطفل قادر على اكتساب أي لغة إنسانية في فترة قصيرة نسبياً لا تزيد عن أربعة أعوام.
- ج. إن جميع البشر متشابهون في إدراكهم لما يحيط بهم، إنهم يجربون العالم المادي المحيط بهم بطرق متشابهة في جوهرها.
- د. إن جميع البشر يستخدمون عند الحديث جهازاً واحداً هو ما يطلق عليه أعضاء النطق، وتقوم هذه الأعضاء بإنتاج الكلام بطريقة متشابهة، والأمر كذلك فيما يتصل بالهواء الذي يحمل الكلام، وبأعضاء السمع التي تستقبله، بل إن الأمر هو فيما يتصل بالعمليات الفعلية التي تسبق إنتاج الكلام أو تعقبه.¹⁵

ويدعم هذا الرأي ما قال به دومار سياس (D.sais) من أن «قواعد اللغة عناصر موجودة في كل اللغات، هذه العناصر تؤلف ما يسمى (القواعد العامة) وفيها بالإضافة إلى هذه العناصر العامة؛ عناصر تختص فحسب بلغة معينة، هذه العناصر تؤلف القواعد الخاصة بكل لغة»¹⁶.

ويقول روجي بيكون (R.Pikone): «إن من يفهم قواعد لغة معينة، قادر على فهم نفس القواعد في لغة أخرى بقدر ما يتوفر فيها من عناصر جوهرية، وعدم قدرته على أن يتكلم أو يفهم لغة أخرى راجع إلى الكلمات وتوابع أشكالها وهذه هي الخواص العرضية للقواعد»¹⁷.

يستنتج مما قيل إن الإنسان في ظل هذا التشابه يستطيع أن يتعلم أي لغة غير لغته الأم، بل إنه حينما يتعلم لغة ثانية يتعاطم إدراكه شيئاً فشيئاً بالعناصر المشتركة بين لغته الأصل واللغة الهدف، وهو الأمر الذي يسمح بترجمة أي نص من لغة أصل إلى لغة هدف.¹⁸

وعلى الرغم من كل ما قيل وما سيقال في مجال تعليم اللغات للناطقين بغيرها؛ فإنها كلها تخضع إلى المنهج التقابلي لعرض المنهج المقارن حيث إن المنهج المقارن يتيح دراسة مجموعة من اللغات ترجع إلى أصل لغوي واحد، وتحمل مجموعة من الملامح والسمات المتشابهة فيما بينها (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) بينما المنهج التقابلي؛ فهو ذلك المنهج الذي لا يدرس اللغات ذات الأصل الواحد بل يقابل بين لغتين أو لهجتين، كما هو الشأن (العربية والتركية) (أو العربية والفرنسية)، وهو لا يهدف إلى التعرف على الأصل القديم أو فرص التشابه، بل يهدف إلى التعرف على الفروق الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين النظامين اللغويين، وإذا كان المنهج المقارن ذا هدف تاريخي يكشف أصل اللغات فإن المنهج التقابلي ذو هدف تطبيقي يتمثل في الاهتمام بتعلم اللغة وتدريبها،¹⁹ لذلك فإنه يمكن إخضاع اللغات إلى الحاسوب من أجل تعليمها وتعلمها للناطقين بها أو بغيرها.

وانطلاقاً من المنهج التقابلي؛ ظهرت المعالجة الآلية للغات من أجل تعليمها، فتمت برمجة الوسائط الإلكترونية عبر الحاسوب (معجماً، ودلالة، وأصواتاً، ونحواً، وصرفاً) من أجل تيسير العملية التعليمية والتعلمية.

¹⁴ سناء منعم، مصطفى بوعناني: اللسانيات الحاسوبية والترجمة الأولية (بعض الثوابت النظرية والإجرائية)، عالم الكتاب الجديد للنشر والتوزيع، الأردن، ط01، 2015، ص 197.

¹⁵ محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى اللغة، 1996، ص 106، نقلاً عن كعب اللسانيات الحاسوبية (المرجع السابق، ص 197).

¹⁶ نقلاً عن المرجع السابق، ص 197-1978.

¹⁷ نفسه، ص 198.

¹⁸ المرجع نفسه.

¹⁹ ينظر: اللسانيات النحوية والمعالم الأولية للغة العربية، مرجع سابق ص 204.

وعلى أساس تضافر المناهج، أشرت في بداية ورقتي البحثية إلى أن المنهج الوصفي وحده لا يكفي في اكتساب اللغات؛ وذلك أن اللغة كائن حي ينمو ويتطور والفكر الإنساني الخلاق الذي يسعى دائماً إلى خلق وابتكار كل الوسائل التي بإمكانها أن تيسر له السبيل في كل ما يحتاجه في أي مجال من مجال الحياة؛ وفي مقدمتها التواصل مع الآخر خاصة في ظل الرهانات والتحديات التي فرضتها وسائل التكنولوجيات الحديثة التي حولت العالم إلى قرية في مجالات متعددة، وإلى جزر متفرقة ومنعزلة في المجال الاجتماعي.

منفعة اللغة:

أسس جان لوك (Jean Luk) 1632-1704 منفعة اللغة على عنصرين: الأفكار المتنوعة التي تلازم الإنسان وتقع في صدره هاجسة بالسعادة والخير، والأصوات المنطوقة التي تترجم الأفكار إلى كلمات يتداولها الناس وتغدو واضحة لهم؛ ولقد أعطى لوك للأفكار وظيفتين رئيسيتين: إحداهما نقل الأفكار من ذهن إنسان إلى آخر وثانيتهما القدرة على تدوين أفكارنا كي نرجع إليها في المستقبل...، والمفردات أداة نقل الأفكار؛ وهي إشارات لحفظ الحاضر وتسجيل تجاربه، وعلى هذا الاعتبار فاللغة من منظور (لوك) في المعرفة لا تشكل منظومة مستقرة لأنها تجدد بالمفردات ولا هي بالمستقلة، إذ الوقائع المعيشة مرجع لها، وهي عبارة عن مجال للتعبير عن الأفكار باستخدام المفردات؛ فالنطق بالكلمة ينطوي على إخراج صوت مفهوم بمثابة إشارة تدل على فكرة لا يراها السامع، وإذا تطابقت فكرة المتحدث مع فكرة السامع يصبح فعل التواصل ناجحاً.²⁰

وعلى أساس نجاح فعل التواصل، فإن المعلم الناجح هو الذي يعرف كيف يستثمر المناهج العلمية (الوصفي والبنائي، والتداولي والتقابلي) في سيرورة العملية التعليمية سواء للناطقين باللغة الأصل أو للناطقين بغيرها؛ إذ إن تكامل هذه المناهج هو الذي يأتي أكله في تحقيق الكفاية التواصلية للمتعلم الهدف.

وعلى حد تعبير البروفيسور (محمد الحناش)؛ فإن إقبال الأجانب على تعلم اللغة العربية دليل على قوتها، لذلك وجب رقيمتها لعدة اعتبارات؛ أولها التواصل الناجح مع الآخر، وهذا التواصل يستنتج منه: أنه يجنب الدول العربية مشاكل الإرهاب؛ فتطور اللغة العربية هو قرار سياسي بالدرجة الأولى وهو قرار اقتصادي في درجة أخرى؛ لأنه يمثل استثماراً في المعرفة، وهي برامج تستثمر الإنسان كنتيجة طبيعية لذلك؛ وهذا سيجنب الدول العربية مشاكل العنف والتطرف ومشاكل الإرهاب - كما أنف الذكر-، إذ المجتمعات المعرفية تقل فيها الجرائم بصورة أكبر من البلدان التي تعوم في الجهل وتنبذ المعرفة، أو لا تهتم بالمعرفة.²¹

ويواصل (محمد الحناش) أستاذ الهندسة اللغوية الذي يقول بأن الهندسة اللغوية هي علم يشرح بنية اللغة العربية حتى نستخلص منها قوانين موجودة بالأساس بهدف إدخال هذه اللغة عصر التقنية وذلك بـ:²²

- رقمنة الكتاب المدرسي.
- وضع معجم إلكتروني ثنائي أو متعدد اللغات (العربية/الفرنسية)، (العربية/الإنجليزية) (العربية/التركية)، وهكذا حتى يتسنى لكل من له رغبة في تعلم اللغة العربية، أو ترجمة كلام المتواصل معه من العرب.
- اختبارات اللغة العربية في الحاسوب.
- برنامج الترجمة الآلية.
- رقمنة بصمة الصوت.

واستجابة لكل من يطلب اللغة العربية من الناطقين بغيرها عبر العالم؛ فقد قامت معظم الدول العربية وحتى الأجنبية بعقد ندوات ومؤتمرات لتعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها وأذكر على سبيل المثال: مؤتمرات

²⁰ ينظر: فيصل دراج: اللغة في زمن الانترنت (اللغة وقضايا الحياة والاختلاف)، المجلة الثقافية، ع90، 2016، مطبعة الجامعة الأردنية، الأردن، ص 14-15.

²¹ حوار البروفيسور (محمد الحناش)، مجلة التواصل اللساني (موقع إلكتروني)

²² نفسه.

معهد ابن سينا بكلية العلوم الإنسانية جامعة ليل بفرنسا، مؤتمر منتدى سور الأزيكية الذي نشرت أعماله في مجلة التواصل اللساني حول استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات؛ هذا المؤتمر الذي أقيم ما بين 10 و14 من شهر مارس 1992، حيث شارك فيه نخبة من علماء اللغة العربية، وحيث مهدت هذه الندوة لتعليمية اللغة العربية بغيرها عبر الوسائط الإلكترونية.

ولقد ألقى البروفيسور (محمد الحناش) محاضرة بعنوان (نظرية حاسوبية لسانية) لبناء معاجم آلية للغة العربية (محاولة في التأسيس)، حيث يهدف بحثه إلى تأسيس معجم آلي لنظام اللغة العربية يتكون من مجموعة من (الميكرو معاجم) يخصص كل واحد منها لمستوى لغوي محدد، والغاية من بناء هذه المعاجم هو تصنيف الظواهر اللغوية بهدف وصفها والتعرف على نظام اللغة العربية، الترجمة الآلية، التدقيق الإملائي ثم بناء معجم لغوي كبير للغة العربية يشمل جميع خصائص نظام اللغة العربية،²³ ويمكن الاستعانة ببعض إنجازات محمد الحناش التي يمكن استثمارها في تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها، وذلك بالرجوع إلى مجلة التواصل اللساني المجلد الأول لسنة 1993 من الصفحة 71 إلى الصفحة 75²⁴ التي يعرض فيها بنية المعجم الآلي عارضا نموذجا للحروف والأدوات في اللغة العربية، مضيفا معجما للمفردات البسيطة موضحا للأسماء البسيطة والمركبة.

وختاما؛ نقول إن تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها في كل أنحاء العالم، وليس للطلبة الأتراك فقط؛ تعتمد أولا على مهارة معلمها، وثانيا على رغبة المتعلم الهدف، خاصة أولئك الذين يطلبون العربية لأغراض متعددة كما سبق الذكر؛ تواصلية، تجارية، سياسية، مهنية، علمية، إعلامية، يضاف إلى مهارة المعلم ورغبة المتعلم حسن استغلال واستثمار كل الوسائل والوسائط، وكذا التجارب والنظريات والمحاضرات العلمية التي تشتغل في حقل تعليمية اللغات دون أن ننسى ما يمكن أن تقدمه التخصصات البيئية لهذا الحقل إذ تتضافر فيها أفكار المهندسين والفيلسوف والطبيب، وعالم الاجتماع، وعالم النفس، والأديب، واللساني، والاقتصادي والإعلامي لوضع استراتيجيات مدروسة ومحكمة تعتمد على توحيد وتكامل الرؤى في مجال تعليمية اللغات للناطقين بها أو بغيرها.

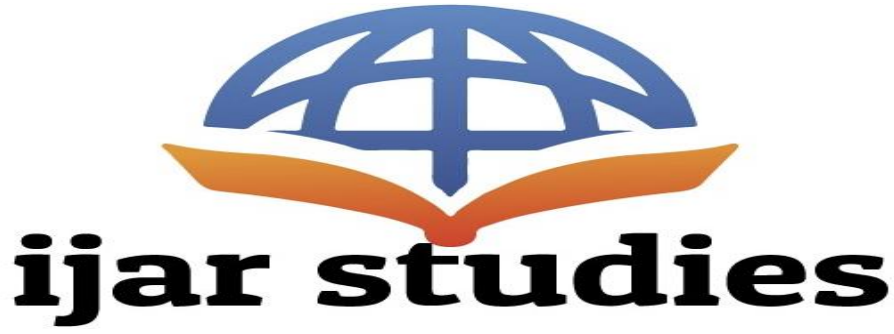
هوامش البحث:

- 1- ينظر: سميرة عبد الله الخالدي، أثر سياق الكلام عند سيوبه ص112
- 2- فرديناند دي سوسير: محاضرات في اللسانيات العامة: ترجمة عبد القادر قنيني، ص32،31.
- 3- ينظر: سميرة عبد الله الخالدي، أثر سياق الكلام عند سيوبه ص113،112.
- 4- محمود السعداني: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، مصر، دط، 1962، ص53
- 5- ينظر: نهاد موسى نظرية النحو العربي، ص43 ص44
- 6- ينظر: حاكم عمارية، رسالة دكتوراه، تقنيات التبليغ عند سيوبه 2012-2013 - ص425 (الجزائر)
- 7- سيوبه: كتاب..ج1، ص266.
- 8- ينظر: محمد الأخضر صبحي: اللسانيات التداولية وأثرها في تعليمية اللغات، مجلة منتدى الأستاذ، ع03، قسنطينة، الجزائر، 2007، ص37.
- 9- قراءة في منهجية تدريس وحدة اللغة العربية من خلال أهداف وتوجيهات تربوية (المدرسة الابتدائية نموذجا)، كتاب اللسانيات وتعليم اللغة العربية وتعلمها، المغرب، 2002، ص47.
- 10- سناء منعم، مصطفى بوعناني: اللسانيات الحاسوبية والترجمة الأولية (بعض الثوابت النظرية والإجرائية)، عالم الكتاب الجديد للنشر والتوزيع، الأردن، ط01، 2015، ص197.
- 11- محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى اللغة، 1996، ص106، نقلا عن كعب اللسانيات الحاسوبية (المرجع السابق، ص197).

²³ ينظر: محمد حناش: نظرية حاسوب لسانية، مجلة التواصل اللساني، سلسلة الندوات، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المجلد الأول، 1993، ص70.

²⁴ ينظر المرجع نفسه، ص71-72-73-74-75.

- 12- نقلا عن المرجع السابق، ص 197-1978.
- 13- نفسه، ص 198.
- 14- المرجع نفسه.
- 15- ينظر: اللسانيات النحوية والمعالم الأولية للغة العربية، مرجع سابق ص 204.
- 16- ينظر: فيصل دراج: اللغة في زمن الانترنت (اللغة وقضايا الحياة والاختلاف)، المجلة الثقافية، ع90، 2016، مطبعة الجامعة الأردنية، الأردن، ص 14-15.
- 17- ينظر: محمد حناش: نظرية حاسوب لسانية، مجلة التواصل اللساني، سلسلة الندوات، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المجلد الأول، 1993، ص 70.
- 18- ينظر المرجع نفسه، ص 71-72-73-74-75.



International Journal of Academic Researchs Studies Year:1, Number:1, December 2018, s.26-38

Article Arrival Date/ Yayın Geliş Tarihi
18.10.2018

The Publication Date/Yayınlanma Tarihi
23.12.2018

Dr. Lallam ABDENOUR

University Setif 2

djoud10@live.fr

التخطيط الحضري والتنمية المستدامة

المخلص:

يعد التخطيط الحضري من أهم العمليات التي بموجبها يتم النهوض والارتقاء بالمدينة ايكولوجيا واجتماعيا واقتصاديا، وذلك عن طريق تحقيق تنمية حضرية مستدامة، والتي تجعلنا نخطط بشكل مستديم اخذين بعين الاعتبار حق الأجيال القادمة فيما يمكن أن تحتاجه عملية التنمية من موارد طبيعية وغيرها وهذا الامر يستلزم منا معالجة المشكلات المتعلقة بالمدينة من كل جوانبها (فيزيقيا، اجتماعيا واقتصاديا) تمهيدا لتنميتها.

الكلمات المفتاحية:

التخطيط، الاستدامة، التخطيط الحضري، التنمية المستدامة

Urban Planning and Sustainable Development

Summary :

Urban planning is one of the most important processes by which the city is promoted and promoted ecologically, socially and economically by achieving sustainable urban development, which makes us plan in a sustainable manner, taking into account the right of future generations to what development process can require from natural and other resources.

This requires us to address the problems related to the city in all its aspects (Physically, socially and economically) in preparation for its development.

Keywords : planning, sustainability, urban planning, sustainable development

مقدمة:

تعتبر التنمية ذلك التغيير الإرادي للانتقال بالمجتمع من الحال الذي هو عليه فعلا إلى الحال الذي ينبغي أن يكون عليها أجلا، والتنمية هي تطور من حيث انتقالها بالمجتمع من طور إلى طور، كما أنها تمدن أيضا، حيث تحتوي داخلها على اتجاه التحول مما هو تقليدي إلى ما هو أحدث، فالغرض من التنمية هو تهيئة لبيئة تمكن الإنسان من التمتع بالحياة والعيش برفاهية، على اعتبار العنصر البشري عنصر حاسم في تنفيذ البرامج التنموية تخطيطا وأداء.

كما أن المدينة فضاء متميز هندسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، والإنسان هو الذي يشغل هذا الفضاء بكل تجلياته وتناقضاته. والاهتمام بتوفير الجوانب المادية للحياة في المدينة كما هو شائع غالبا ما يكون على حساب العناية بالحاجات الإنسانية غير المادية التي كثيرا ما تكون سبب في ظهور مشاكل اجتماعية تعطل من عملية التنمية، لذلك وجب أن نخطط للمدينة أو للحياة الحضرية بشكل مستديم.

الإشكالية:

تعتبر التنمية الحضرية مطلبا ملحا، في ظل ما تعانيه الكثير من المدن في العالم من مشاكل اجتماعية واقتصاديه وثقافية وبيئية، لاسيما تلك المدن التي تمر بتغيرات سريعة نتيجة للنمو الديمغرافي السريع من جهة والهجرة السكانية المتزايدة والمستمرة إليها من جهة أخرى، خاصة المدن الجزائرية منها، والتي شهدت في الآونة الأخيرة العديد من التغيرات الديمغرافية والاقتصادية والسياسية، الأمر الذي أثار بدوره العديد من المشكلات المتعلقة بها، "كظهور العشوائيات الحضرية والبناءات الفوضوية والأحياء المتخلفة وكذلك الاستغلال غير العقلاني للأرض" والناشئة أساسا عن تخلف دينامية التسيير والتخطيط والتنمية الحضرية وعدم مواكبته للديناميكية السكانية والاجتماعية للوسط الحضري، أي أن معدلات التحضر (ديمغرافيا) تفوقت على معدلات النمو الاقتصادي، وعدم قدرة المدينة على توفير التسهيلات الضرورية والخدمات الأساسية واستيعاب سكانها بالفاعلية المطلوبة.

لكن الإشكال لا يطرح على هذا المستوى فقط، أي أن القضاء على هذه المشكلات وإحداث تنمية حضرية بحيث تصبح للمدينة القدرة على توفير التسهيلات الضرورية والخدمات الأساسية واستيعاب سكانها بالفاعلية المطلوبة لا يكفي وحده، بل يجب الأخذ بعين الاعتبار حق الأجيال القادمة، أو ما يعرف بالتنمية الحضرية المستدامة، والتي تعمل على تطوير الأرض والمدن والمجتمعات بشرط أن تلبى حاجيات الحاضر دون أن تمس بحق الأجيال القادمة في تلبية حاجياتهم، لذلك أصبح التخطيط من أجل هذه التنمية مطلبا أكثر إلحاحا يأخذ مكان الصدارة خاصة عند بداية الاهتمام بالبرامج التي تهدف إلى تحسين البيئة التي يعيش فيها الفرد، وذلك من منطلق

أنه أي التخطيط- بمثابة التطبيق العلمي لتقنيات المعرفة، وبوصفه الوسيلة المثالية لتحقيق الطموحات والأمال من خلال برامج التنمية
وعليه جاء هذا البحث ليحدد كيف يكون التخطيط من أجل تنمية حضرية مستدامة؟

أولاً: التخطيط الحضري:

1 أنماط التخطيط الحضري وأهدافه:

أ- أنماط التخطيط الحضري:

ينقسم التخطيط الحضري إلى أنماط يبرز منهما نمطان أساسيان:

الأول يتمثل في التخطيط الفيزيقي والثاني التخطيط الاجتماعي بيد أنهما متداخلان، وعلى الأخص على المستوى المحلي، ذلك أن استخدام الأرض وشكل البناء والتخطيط الفيزيقي يعتمد اعتماداً كبيراً على قيم المجتمع وأنماط السلوك، وخلق قيم جديدة والمحافظة على القيم المرغوبة في الحياة الحضرية ووسائل إشباع هذه الحاجات، وأسلوب تحقيق التكامل الاجتماعي بين سكان المجتمع الحضري.

كذلك هناك التخطيط الإصلاحي والتخطيط الإبداعي الخلاق، ويهتم التخطيط الإصلاحي بإصلاح وعلاج المشكلات القائمة في المجتمع الحضري في مجالات الطرق والمرور وإعادة تنمية قلب المدينة أو جزء آخر منها، ويهدف التخطيط الإصلاحي إلى العلاج أو التعديل أما التوجيه الإبداعي فيعتمد على المستوى العام الشامل ويهتم بخلق مناطق حضرية جديدة متكاملة، ومخططة بشكل جيد ويأخذ هذا النمط من التخطيط في الاعتبار بالاتجاهات الحديثة في التخطيط الحضري، وذلك كالمناطق الخضراء وبرامج الصحة العامة والترويج العام وغير ذلك.

ويذهب البعض إلى القول بأن التخطيط الإصلاحي يعتبر مقدمة ضرورية للتخطيط الإبداعي وهكذا يتبين أن هناك نمطان للتخطيط الحضري فيزيقي واجتماعي مترابطان واقعيان ومتمايزان تحليلياً.

إن التخطيط الحضري يجب أن يسعى إلى تقوية النظم الاجتماعية وتنشيط الطاقة البشرية الكاملة، وتنمية التكامل الاجتماعي بتحسين العلاقات الاجتماعية بين الناس رغم أن التحديد للتخطيط الاجتماعي يعتبر إعادة توجيهه للتخطيط الحضري نحو أهداف اجتماعية. (حسن عبد الحميد رشوان، 2005: 57)

ب- أهداف التخطيط الحضري:

يستهدف التخطيط الحضري إلى الارتقاء بمعظم الترتيبات المساحية لأجزاء المدينة المترابطة، وتحسين ظروف البيئة الطبيعية في المواقع التي بنيت عليها المدينة، وفي المناطق المحيطة بها في حدود ما يمكن جمعه من أموال، وتشديد المباني، وتخطيط الأحياء والخدمات وإقامة البيئات السكنية المدروسة والملائمة صحياً واجتماعياً وثقافياً لفئات مختلفة من الأفراد، والتي تمكنهم من إشباع احتياجاتهم الأساسية البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية، حتى يتمكنوا من أداء أدوارهم المختلفة.

ويهدف التخطيط الحضري إلى إقامة مناطق سكنية، وذلك بتخصيص مساحات محددة وفي مواقع مناسبة لإقامة مساكن عليها ذات أحجام ونوعيات مختلفة لتناسب الأسر المختلفة من حيث الحجم والدخل والرغبات.

وتخطيط المساكن في شكل مجاورات سكنية أو ما يعرف بوحدتي الجيرة، والمجاورة أو وحدة الجيرة هي مجموعة متكاملة من المساكن بمرافقها العامة وخدماتها الضرورية، يحدها من الخارج حدود طبيعية مثل الأنهار وعوامل التضاريس أو طرق المواصلات، ولا يخضع شكل المجاورة إلى شكل ثابت متفق عليه، وإنما يأخذ أشكالاً متعددة تنتج عن شكل الموقع ومساحته.

ولا شك أن المسكن المخطط تخطيطاً جيداً في بيئة مناسبة، يعد هدفاً رئيسياً للتخطيط، حيث تستهدف الأسرة مسكناً يحقق لها الوقاية الصحية، ويوفر لها الخدمات الاجتماعية، ويعتمد على هذا الإمداد والخدمات، وعلى التركيب الاجتماعي في المنطقة، والعلاقات الاجتماعية بين السكان.

وفي مجال التنمية الجارية يستهدف التخطيط الحضري توفير مساحات للنشاطات التجارية في مواقع مريحة بالنسبة للزبائن منسجمة مع استعمال الأرض الأخرى.

وفي مجال التنمية الصناعية يهدف التخطيط الحضري إلى تشغيل عمال لكل أنواع التنمية الصناعية وتوفير مساحات كافية في أماكن مناسبة بالنسبة لسكني العمال ومتطلبات الصناعة.

ويسعى التخطيط الحضري في مجال النقل والمواصلات إلى توفير شبكة من الطرق ووسائل مواصلات لنقل السكان والسلع بطريقة اقتصادية مريحة وكفاءة عالية. وفي مجال المرافق والخدمات العامة يستهدف التخطيط الحضري توفير شبكة من المرافق العامة والخدمات المختلفة لسكان المدينة. (حسن عبد الحميد رشوان، 2005: 57) ولتحقيق هذه الأهداف لابد من فهم واضح لطبيعة المجتمعات المحلية الريفية والحضرية ومعرفة كيف يعيش الناس؟ وكيف يستهلكون؟ وكيف يعملون؟ وكيف يقضون أوقات فراغهم؟ وكيف يعالجون من الأمراض؟.

2 مبادئ التخطيط الحضري:

لكي يكون التخطيط الحضري مجدياً يجب مراعاة المبادئ الآتية:

أ- تطبيق المعرفة العلمية ومراعاة الأحكام والقيم السائدة:

يعد التخطيط على هذا النحو ليس بعمل عشوائي، إذ يستند إلى إطار واسع من المعرفة، ويدخل في هذا الإطار جمع المعلومات وتسجيلها ونشرها، وتتعلق هذه المعلومات بطبيعة الحياة الحضرية والإمكانات المتاحة والنظم الاجتماعية السائدة، والتحديات التي تواجه المخططين، ففي الولايات المتحدة الأمريكية يقوم مكتب الإحصاء بعمل إحصاءات على دخل الأسرة، وحجم العائلة، وإيجار المسكن، وظروف البناء، وامتلاك أو استئجار المباني، ومستويات التعليم، والتركيبة العمري والمهني، وأوجه الصرف على الإيجار والملابس والطعام والترفيه وضروريات الحياة الأخرى، ويعني ذلك الاستقراء العلمي والتحليل والتفسير. ومع ذلك فإن التخطيط لا يقتصر على مجرد الإحصاء الشامل لكل هذه النواحي، بل يضع في اعتباره القيم السائدة المستقرة داخل الوحدة التي تعبر عن الشعور العام السائد، ويعني ذلك أن التلازم والترابط بين حقائق العلم وقيم المجتمع ركن من أركان مفهوم التخطيط الحضري.

ب- الشمول:

اعتدنا في بلادنا أن تكون عملية الإصلاح جزئية، دون أن نضع خطة شاملة لعشرين سنة مثلاً: فنشق شارعاً أو نبنى مصنعاً، أو ننشئ حديقة دون أن تكون هناك خطة مدروسة، والواجب أن تكون الخطة شاملة لكل النواحي الحياتية: اقتصادية، واجتماعية، وعمرانية مرتبطة بعضها ببعض.

ت- أن تكون الخطة متكاملة مع التخطيط القومي:

يجب أن ينظر إلى التخطيط الحضري في المجتمع المحلي في إطار الخطة القومية الشاملة، ومتكاملة معها، بمعنى أن تقوم على أفق واسع يتضمن توجيه النمو الحضري، ومواجهة مشكلاته إلى جانب الأهداف الأخرى التي تهتم بها، فالخطة القومية على سبيل المثال تركز اهتمامها على عملية التحضر، وأوضاع المناطق الحضرية على المستوى الشامل، ولكن ينبغي أن يتكامل ذلك التركيز على منطقة جغرافية معينة تحتاج جهداً معيناً سواء لدعم تطورها أو الحيلولة دون تخلفها عن غيرها من المناطق الأخرى.

ث- الهدف من الخطة:

عند التخطيط الحضري يجب تحديد الهدف من هذه الخطة، وقد أشار "غالليون Gallion" و"ايزنر Eisner" إلى أن محاولة التخطيط دون تحديد واضح للهدف سوف تصبح عملية عشوائية لا يتوقع لها النجاح.

ج- المرونة:

لما كان من الصعوبة التنبؤ بما سوف تكون عليه ظروف المدينة بعد فترة من الزمن، فإنه يجب أن تكون الخطة، مرنة لتقابل الحاجات الجديدة التي تنشأ ولم تكن موجودة عند وضع الخطة

ح- التقسيم على مراحل:

لا اعتبارات مالية وعملية يجب أن تقسم الخطة على مراحل، وبدا يكون التغيير في المدينة تدريجياً، فتقسم التكاليف على عدة سنوات ولا تتعطل مصالح المدينة.

خ- إقناع الأهالي بالخطة:

سواء اشترك الأهالي بدرجة ما من درجات المشاركة، عن طريق الصحف أو المذياع أو التلفزيون أو المقابلات والمؤتمرات، أو لم يشتركوا في وضع الخطة البيئية، فإنه يجب أن يفهم سكان المدينة الخطوط العريضة

للتغيرات التي سوف تحدث في مدينتهم، وأسباب هذه التغيرات، كما يجب أن تعطى لهم الفرصة، لنقد وتوجيه المسؤولين إلى ما يرونه فيها حتى تخرج الخطة مستجيبة لحاجات الأهالي. (حسن عبد الحميد رشوان، 2005: 57)

3 ما يجب مراعاته أثناء تخطيط المدن:

اعتاد المهندسون إطلاق مصطلح "تخطيط المدن" على التخطيط المادي للمعيشة الحضرية، أي تحديد احتياجات المدينة من مساكن وطرق ومدارس وغيرها، ثم تحديد نسبة الأمكنة لإنشاء المباني التي سوف تضم هذه الألوان من النشاطات.

ومن مميزات تخطيط وبناء المدن الحديثة عملية النمو السريع لها والنزعة الظاهرة لالتحام عدد من القرى في تجمعات طبيعية ضخمة للمدن. ويزداد عدد السكان في هذه الحالة، وتتوسع رقعة الأرض تبعا لذلك، ويؤدي هذا إلى انشغال أجود الأراضي الزراعية بالمباني السكنية. ويمثل ذلك خطرا على صفحة الأرض الطبيعية والغابات الكبيرة، وتلوث أحواض المياه، ويتسم المحيط الجوي، فضلا عن ذلك فإن النمو أو التطور المستمر للمدن بمبانيها الحجرية المصمتة وكثافتها العالية يؤدي إلى عدم تعرضها للشمس، وتشجيرها الناقص.

وبنمو المدن يزداد المدى المتوسط لرحلات السكان وتنقلاتهم بوسائل النقل، فتزداد حدة نقل البضائع، ويزداد عدد وسائل النقل، مما يؤدي إلى التشبع المفرط لشبكة الشوارع بوسائل النقل، وإلى شل حركة المرور. ويبدو ذلك واضحا في كثير من مدن الولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها من الدول الرأسمالية.

والواقع أن الفصل بين الجوانب الاجتماعية والاقتصادية في التخطيط يكاد يكون مستحيلا. لذلك يرى أغلب الاجتماعيين أن تخطيط المدن يضم التخطيط السياسي والإداري والاقتصادي والاجتماعي. فالجوانب الاجتماعية والاقتصادية في التخطيط هي عملية واحدة متكاملة، وما التخطيط المادي إلا جزء من الخطة العامة الشاملة.

إن تخطيط المدينة محاولة لبناء الإطار الاجتماعي لنمو الشخصية الإنسانية المتوازنة في مجتمع متكامل قادر على تلبية رغبات الجميع وإعطائهم فرصا للحياة السعيدة. ومن ثم عندما نخطط للمدينة لابد أن يشترك في هذا التخطيط مجموعة من المتخصصين كالأخصائيين في شؤون المياه والطرق وبناء المصانع والإسكان والترفيه، هذا إلى جانب الاقتصاديين والإداريين وقادة المجتمع والمحامين ورجال المال والصحة العامة، فضلا عن علماء الاجتماع الذين يضمنون جهودهم لتحقيق القيم الإنسانية، وذلك حتى تتحقق الخطة على أحسن وجه.

وهكذا فإن كان جوهر العلم هو بحث عن الحقيقة، فإن الحقيقة التي يجب أن يبحث عنها المهندس المعماري هي اقتصاديات للشعب وأموره الاجتماعية وتقاليده وعاداته واحتياجاته وتطوره، والتي يجب أن تنعكس على أعماله وتصميماته.

وقد أكد "لويس ممفورد L.Mumford" إذ حدد معايير التخطيط، وذكر أن المخطط الحضري يجب أن يلم بخصائص الحياة الحضرية. وهنا يجد المخطط الحضري نفسه أمام صعوبة الاختيار بين النماذج المختلفة التي توجد في فكره.

واستخلص "ويفر Weaver" خصائص الطبقة الاجتماعية والعوامل السلافية التي تؤثر في عملية تجديد الحضر في الولايات المتحدة الأمريكية، واهتم بموضوع السلالة واعتبرها رابطة طبقية.

واعتبر "كلارنسبيري ClarencePerry" المدرسة مركزا للجيرة فهي تساعد على وجود الجيرة الفيزيقية في المجتمع المحلي، وتعمل على ظهور المصلحة العامة بين الجيران.

وفي ضوء ذلك ينبغي أن يلم المخطط الحضري بأكثر النظريات انتشارا في عملية التخطيط وبناء المدن وأبعاد تطورها في المستقبل، وهي:

- ✓ الأنظمة الحديثة لتوزيع السكان.
 - ✓ الهيكل التخطيطي للمدن الحديثة، والمدن التي يعاد بناؤها.
 - ✓ الأنواع الحديثة من مواد البناء والقطع الإنشائية.
 - ✓ الأنواع الحديثة لوسائل النقل.
- العديد من المسائل الأخرى المتعلقة بتصورات بناء مدن المستقبل. (حسن عبد الحميد رشوان، 2005: 57)

ثانيا: التنمية الحضرية:

1 المجالات الاجتماعية للتنمية الحضرية:

يطول الحديث عن المجالات الاجتماعية للتنمية خاصة وأن هناك عديد من الخدمات والأعمال تدخل ضمن إطار التنمية، فهي تتناول الأنشطة الاجتماعية والسلوكية التي تبذل المجتمع. وتتمثل هذه المجالات في الخدمات التدميمية وهي كل الخدمات التي تقوم على أساس النظرة البعيدة بما يجب أن تكون عليه عمليات التنمية في المجتمع أي تلك التي تعبر عن وجهة نظر المنمي الاجتماعي دعامة لقيام خطة التنمية ولهذه الخدمات التدميمية وظائف أساسية وجوهريّة، فهي التي يعتمد عليها المخططون الاجتماعيون في وضع خططهم وذلك مثل الخدمات التعليمية والصحية وغيرها من خدمات الضمان.

أ-التعليم:

يعتبر استثمار التعليم في أي مجتمع أمر مهم وضروري لتنمية ذلك المجتمع، ونظرا لأهمية التعليم في تحقيق التنمية وتطوير المجتمعات فإن عدد كبيرا من العلماء تناولوا أهمية العلم كعامل أساسي في تنمية المجتمعات المتخلفة، ويزودنا التاريخ بأمثلة عن أهمية التعليم في تحقيق التنمية في المجتمعات المتخلفة، وترجع الوثبة الكبرى التي وثبها اليابان إلى الاهتمام بالتعليم وذلك منذ نهاية القرن 19. فعلى الرغم من فقرها لموارد طبيعية نسبيا إلا أنها تقدمت كثيرا في العديد من الدول، وحققت شوطا بعيدا في مجالات التنمية وذلك بفضل اهتمامها بالتعليم أساسا. وعليه فإن التعليم في أي مجتمع يعتبر مرآة صادقة تعكس وتعبّر عن تقدم ذلك المجتمع أو تخلفه، فهو عنصر جوهري من عناصر التنمية، ومفتاح رئيسي من مفاتيح ازدهار ذلك المجتمع، فكما ارتفع المستوى التعليمي للفرد ازدادت قدراته الذهنية وإمكاناته على التفكير السليم المنطقي وإبداعاته بما يؤدي للمشاركة في دفع عجلة التنمية بالمجتمع. (محمد شفيق، بدون سنة: 150)

وبهذا المعنى تعد الأمية عدو التنمية ومعوق أساسي لجهودها، وهذا ما دفع كافة الدول المتقدمة إلى العمل ومواجهة الأمية ورفع مستويات التعليم في أوساط أبنائها باعتباره أحد مقومات التنمية، وعليه فالمؤسسة التعليمية التوجيهية التوعوية لأفراد المجتمع تعد مجالا هاما في مجال التنمية لذا عملت برامج التنمية الحضرية على تطوير هياكلها.

ب-الصحة:

إن المدن تنمو وتتقدم بتقديم تكنولوجيا الطب فالمستوى الصحي للسكان يؤثر تأثيرا كبيرا على قدراتهم الإنتاجية ومن ناحية أخرى فإن بناء المستشفيات الضخمة ذات التخصصات المختلفة إنما يعد مظهرا من مظاهر الحياة الحضرية. (حسن عبد الحميد رشوان، بدون سنة: 236) ومنه نجد بأن درجة التقدم في المجال العلمي والتكنولوجي الصحي يقتضي بالضرورة إحداث تغير في نسق القيم والعلاقات الاجتماعية، ومن ثم التفاعل وعليه يجب التكيف مع المستجدات الحديثة عن طريق دور التنمية الاجتماعية.

ومنذ فترة ليست طويلة وعمليات التطوير الدائمة تدب خطاها وكان لا بد لأن يكون التطوير سريعا ومجديا في المجتمع وأن يواكبه تطور سريع في النواحي الصحية التي تعتبر هامة ومسؤولة إلى حد كبير في انخفاض معدل الوفيات وانخفاض معدل الخصوبة نتيجة انحصار نمط الأسرة الممتدة والتحول إلى نوع العلاقات الاجتماعية لعمل الحافظ نحو تكوين الأسرة النووية.

2 معوقات التنمية الحضرية:

تعتبر عملية التنمية قضية معقدة ومتشابكة الجوانب، تختلف معوقاتها في عديد من الأبعاد المتداخلة فلها خصائص مختلفة ولكنها مترابطة ومتداخلة يعمل بعضها من خلال بعض ويؤثر بعضها في بعض، ومعوقات التنمية أو تحديات التقدم ومظاهر التخلف متعددة ومتباينة تبعا لظروف كل مجتمع وخصائصه وإن كنا نود أن نؤكد أن هذه المعوقات ليست على درجة واحدة الأهمية والتأثير في عملية التنمية، فإن لها أوزانها نسبية متفاوتة النقل فيما يتعلق بدرجة التأثير فقد يصل تأثير بعضها إلى حد الإعاقة الكاملة لعملية التنمية وقد يكون لبعضها مجرد دور المساهمة مع غيرها في هذه الإعاقة وبدرجة طفيفة وعموما يمكن أن نشير إلى أهم هذه المعوقات ديموغرافية كانت

أو اجتماعية وثقافية وإدارية وحتى اقتصادية والمقصود بالمعوقات العوامل التي تؤدي إلى الانحراف عن النموذج المثالي للتنمية وتحول دون تحقيق الأهداف التي تسعى إليها، فالمعوقات تعني اتجاهها سلوكيا سلبيًا والتي تتمثل فيما يلي:

أ- العوامل الديموغرافية:

من المعروف جليًا أن دول العالم الثالث تتميز بالنمو الديموغرافي كبير تسبب في وجود كثافة سكانية عالية جداً، الشيء الذي أدى بالضرورة إلى عدم إمكانية تحقيق توازن بين الموارد المتاحة والإنتاج من جهة ومتطلبات هذه الكثافة من جهة أخرى، وتبعاً لذلك انتشرت العديد من المشاكل الاجتماعية كسوء التغذية وقلة العلاج ونقص فرص التعليم والتكوين والعمل والسكن... إلخ وتعتبر سريعة متزايدة في معظم هذه الدول يلغي أثر الزيادة في الإنتاج والدخل فيما تجني ثمار الجهود المبذولة في المجالات المختلفة ولا يمكن التغلب على المشكلة السكانية إلا بتحقيق الزيادة في الإنتاج والدخل وبمعدلات كبيرة تفرق الزيادة السكانية. (أحمد مصطفى خاطر، 2002: 57)، كما أن الزيادة السكانية في الدول المتخلفة تعد كأحد معوقات التنمية.

ب-العوامل الاجتماعية:

من أهم العوائق الاجتماعية التي تعيق التنمية نذكر منها النظم الاجتماعية السائدة كنظام الملكية والقرابة، والنظام السياسي، وكذا الصراع ضد التغيير فبالنسبة للأول نجد أن النظم الاجتماعية خاصة منها التقليدية تعتبر من أهم معوقات عملية التنمية فمن ذلك نظام الملكية والقرابة، حيث أن رفض الأهالي للهيئات الحكومية وعدم السماح لهم بتنفيذ البرامج التنموية المسطرة التي تمس ممتلكاتهم يؤدي في الغالب إلى تعطيل وإلغاء هذه البرامج إلى جانب أنه يحول دون محاولة تسطير برامج أخرى في أي مجالات التنمية.

إلى جانب ذلك يمكننا القول أن النظام السياسي باعتباره أحد أهم الأنظمة الاجتماعية الحساسة يلعب دوراً أساسياً في عرقلة التنمية، كما يمكن أن يلعبه في دفع عجلتها إلى التقدم وذلك انطلاقاً من التخطيط السليم من جهة أولى، والتكامل والتنسيق من جهة ثانية وكذا عدم تجاهل المشاركة الفعلية في برامج التنمية فعلى اعتبار أن النظام السياسي هو المسؤول الأول عن تجسيد مثل هذه الإجراءات فهو الذي يسمح بالتخطيط الصحيح الهادف إلى تحقيق تنمية فعلية صحيحة التوجيه بحيث تخدم مصالح العامة من المجتمع ككل، انطلاقاً من ضرورة التكامل بين كل البرامج التنموية المسطرة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي، والأمر يكون هذا الأخير بمعونة الأهالي الذين يجبوا أيضاً أن يتكيفوا مع القيم الجديدة. (عبد الهادي الجوهري، بدون سنة: 136)

ج-العوامل الثقافية:

إذا كانت الثقافة تعبر عن ذلك الكل المعقد المركب من القيم والعادات والتقاليد والأعراف والمعايير المتعارف عليها في المجتمع. فإن اتسامها بالجمود، وعدم المرونة يحول دون تكيفها والمجتمع الحديث، بما يتضمنه من قيم وعادات سلوكية من شأنها أن تدعم سيرونة التنمية، التي تستهدف رفاهية الإنسان بصفة عامة وعليه كما سبق ذكره فالجمود يؤدي إلى رفض التجديد، وعدم اتسام الثقافة بالمرونة اللازمة الشيء الذي يعيق عملية التنمية ويساعد على تعطيلها ومن ذلك نجده مثلاً في العادات المرتبة باكتناز الأموال والاحتفاظ بالأرض. أو الاهتمام بأساليب غير منتجة، وضعف الميل للدخار. كل هذه العوامل لها الدور في خلق قاعدة ضعيفة للتنمية الحضرية وعلى هذا يقترح "عبد الهادي الجوهري" وآخرون للتخفيف من ذلك عدة خطوات:

✓ إجراء دراسات وبحوث علمية عديدة في محيط المعوقات الثقافية وبخاصة ما يتعلق من هذه الدراسة بأهداف التنمية.

✓ إجراء دراسات وبحوث علمية في محيط المعوقات الاجتماعية.

✓ وجود سياسة اجتماعية واضحة المعالم والأغراض والأهداف.

✓ تعاون المخططين الاجتماعيين والثقافيين والباحثين في مجال التنمية والعاملين في هذا الميدان على اختلاف

تخصصاتهم والجماهير. (عبد الهادي الجوهري، بدون سنة: 136)

وهكذا تتجلى أهمية إكفاء الوعي الاجتماعي والجماهيري بضرورة تقبل برامج التنمية كونها تهدف إلى تقدم المجتمع المحلي. ويتم ذلك من خلال إتاحة الفرص للأهالي من أجل المشاركة الفعلية في تسطير وتنفيذ البرامج والسهر على نجاحها.

د-العوامل المتعلقة بالتخطيط:

تتمثل المعوقات التخطيطية في عدم وضوح الهدف من التخطيط عن العاملين فيه أو التأثير به وعدم الدقة في اختيار الوسيلة المحققة للهدف وعدم القدرة على التحكم في الموقف المخطط له، بالإضافة إلى عدم توفر الدراسات والبحوث والإحصاءات عند الأجهزة المسؤولة خاصة على مستوى المجتمع، لأن التخطيط في حقيقة الأمر سهل تنسيق الجهود والعمليات الإدارية التي تقوم بها الأجهزة الحكومية لتنفيذ البرامج والمشروعات وتوظيف وتحويل الموارد البشرية والمادية لخدمة أغراض وأهداف خطط التنمية والمتابعة ويرجع سبب كون التخطيط كمعوق للتنمية الحضرية إلى ما يلي:

✓ نقص الوعي التخطيطي:

1- تعتبر عملية التخطيط للتنمية الحضرية عملية فنية وواعية في نفس الوقت ويستلزم ذكر أن يكون القائمون عليها على درجة عالية من الوعي بأهميتها، كما يجب أن يقوم بنشر الوعي التخطيطي بين جماهير الشعب ليقبل المنتجات الجديدة بالمجتمع ويعتبر نقص الوعي معوقاً أساسياً للتنمية. (إبراهيم عبد الهادي المليحي، بدون سنة: 166)

✓ نقص الإعلام المتخصص:

2- إن نقص الإعلام المتخصص في التنمية يجعل الكثير من المشروعات تنجز دون إجراء دراسات ومقاربات توجه عمليات التخطيط لأن هذه الأخيرة ليست حكرًا على الدولة أو السلطات المحلية فقط بل إن رجال الأعمال والمستثمرين والفلاحين كذلك مطالبين بالتخطيط من أجل تنمية مشاريعهم، وإن العامل الفعال الذي يمكن أن يساهم بشكل إيجابي في هذه العملية هو الإعلام المتخصص في التنمية الاجتماعية وتوجيه الإنسان نحو الإنتاج ووسائل النمو الذاتي وربط الفرد بمشكلات مجتمعهم وحماية ثقافته. (علي الكواري، بدون سنة: 113)

فضلا عن توجيه الإنسان وإعلامه بالمتغيرات المعاصرة وتبصيره بالتحديات المحيطة، وعلى هذا الأساس لا بد من توظيف الإعلام توظيفا وظيفيا من خلال تأثيره على إمكانية استيعاب المواطن لدوره في التنمية على مستوى مجتمعه وعلى مستوى وطنه وذلك ابتداء بالتأثير على نسق القيم وتوجيهها نحو الأحسن وكذلك على معطيات النشأة الاجتماعية.

ج-المعوقات الإدارية:

تعتبر المعوقات الإدارية من أهم المعوقات التي تواجه عملية التنمية وتحد من فعاليتها وذلك راجع إلى التعقيد على مستوى الإجراءات والبطء الشديد في تنفيذ القرارات وتناقص بعضها مع البعض الآخر بالإضافة إلى انتشار اللامبالاة والسلبية وعدم وضع الرجل المناسب بالمكان المناسب في كثير من الأحيان وسيطرت العوامل الشخصية على علاقات العمل الرسمية وإنجازاته وكذلك صعوبة التنسيق بين وحدات العمل الرسمية والإدارية الجديدة من ناحية أخرى وبينهما وبين الأجهزة التنفيذية القائمة من ناحية أخرى إلى:

✓ تجاهل المشاركة الشعبية:

إن تجاهل المشاركة الشعبية وخطورة عدم وضعها في الحساب سواء في مرحلة التخطيط والتنفيذ يعد من أكبر معوقات التنمية الحضرية، لأن دور المواطنين واستجابتهم للقرارات لها تأثيرها وانعكاساتها على إنجازات الخطة ومدى تحقيقها لأهدافها، ومن المعروف أن التغيير المنشود لا ينجز إلا إذا تم عن رغبة واقتناع وإرادة من الذين يحدثونه أو يتأثرون به، وإذا كان يعتبر اقتناع منهم سيقى المقاومة بالإضافة إلى أن المشاركة الشعبية في وضع الخطة وتنفيذها تعتبر قمة الممارسة الديمقراطية المتوازنة بجناحها السياسي والاجتماعي والاقتصادي وهذا هو جوهر عملية التنمية. (علي الكواري، بدون سنة: 113)

ومن الضروري مشاركة الجماهير في وضع تنفيذ خطة الكيفية التي تقلص من فوارق الاجتماعية، حيث أنه لا يمكن تصور أي نمو مع ثقافة الفوارق الاجتماعية وينطلق ذلك من أهمية المعرفة الدقيقة بالموارد والاستخدامات اللازمة لوضع الخطة التنموية التي تستلزم جهودا وتضحيات يقع فيها العبء الأكبر منها على أفراد الشعب جميعا.

ومن المعلوم أن تجاهل المشاركة الشعبية سرعان ما يؤدي إلى توقف وفتور لحماس أعضاء المؤسسات إلى أغراض أخرى تؤدي في النهاية إلى توقف النشاط كلي، لأن العلاقات القوية بين الأفراد والمؤسسات الاجتماعية لها أهمية كبيرة في إحداث تغيير إيجابي داخل المجتمع الذي يسوده التضامن.

✓ ضعف طرق وسائل الاتصال:

إن عدم توفر طرق وأساليب اتصال كافية وفعالة وسهلة ومفتوحة بين العمال والمسؤولين داخل لكل واحدة اقتصادية أو اجتماعية بين كل الهيئات والمؤسسات ذات العلاقة لمشاريع وخطط التنمية لخلق التفاعل والمتوازن والمتجدد بين الدولة والمواطن لتحقيق التوازن العضوي المتكامل بين الفئات المنتجة والمسيطر عليها يؤدي إلى عدم استمرارية التطور وتدفعهم منذ الوهلة الأولى من خلال توافر وسائل الاتصال الفعالة وعلاقتها بالجمهير والمؤسسات المعنية ليسهل ترشح بعض القيم الراقية والأخلاقيات والعادات التي تؤدي إلى زيادة القدرات التكيفية للمجتمع المحلي وكذا التغيير في الاتجاه الموجب في المجال العمراني والظروف الصعبة التي يمكن تغييرها عن طريق المشاريع الحكومية باشتراك المواطنين والمساهمة في إنجازها. (علي سعيدان، 1981:46)

✓ نقص الأجهزة الفعالة:

إن نقص الأجهزة الفعالة المتمثلة في أجهزة الرقابة والمتابعة والتنفيذ والتقييم يؤثر سلباً على تحول المشاريع والبرامج والخطط الإنمائية المرصدة على الورق وبالتالي تقليل من المشاركة الشعبية والحد منها وبالتالي يقلل اشتراك الناس عن كثب في العمليات الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر على حياتهم.

✓ نقص القيادات:

إن نقص القيادات الفعالة وخاصة المتخصصة يحد من تحريك الجماهير وتوجيهها نحو الأهداف التنموية المشتركة، لأن القيادات لهم دور هام يتمثل في التوعية والترشيد الذي من خلاله تستخدم الموارد المتاحة بأساليب راشدة وواعية، كما أن تواصل مثل هذا النوع من القيادات ليس أمراً سهلاً لأن اختيار القائد وتكوينه ورعايته أمر شاق وهو في نفس الوقت ضرورة من ضروريات المشاركة التنموية المتكاملة والمتوازنة ولكن السائد في دول العالم الثالث أن تشكيل القيادة يتوقف على عوامل الأقدمية والوظيفية أكثر استنادها على المهارة والأداء الفعليين كما أن هدف الحصول على أكثر كفاءة من أجل شغل الوظائف القيادية لم تحقق بشكل كامل.

3 التحديات التي تواجه عملية التنمية:

لقد شعرت شعوب الدول النامية بأن الاختبار الحقيقي لمقدرتها وإمكاناتها إنما يكمن بعد الاستقلال السياسي في قدرتها على تخليص اقتصادياتها من التبعية الأجنبية، وعلى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بمعدلات سريعة وعلى دفع عجلة التطور بسرعة فائقة من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد كانت أغلب الدول النامية تعيش في ظل أوضاع طبقية متخلفة، وتنتشر فيها كثير من الأزمات الاجتماعية ولذلك ما كادت هذه الدول تتحصل على حريتها السياسية حتى جعلت الاستقلال والتقدم الاجتماعي غايتها الكبرى ومطلبها الأساسي فاتجهت إلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية بكل ما لديها من طاقات وإمكانات لتقليل الفجوة الهائلة بينها وبين الدول المتقدمة.

وسوف نعرض في السطور القادمة لمجموعة من التحديات التي تواجه عملية التنمية في البلاد النامية باعتبار أن التنمية هي الهدف والغاية لأي عملية تخطيطية.

وتنقسم هذه التحديات التي تمثل في نفس الوقت صعوبات تواجه التنمية إلى:

أ- تحديات خارجية وتتمثل في:

✓ الاستناد إلى نماذج مستوردة لتفسير مشكلة التخلف في البلاد النامية.

✓ الحصول على معونات مشروطة.

✓ نقص رؤوس الأموال.

✓ عدم كفاية المدخرات.

✓ عدم القدرة على استيعاب التكنولوجيا.

✓ عدم تنوع الصادرات.

ب- التحديات الداخلية وتتمثل في:

- ✓ التحديات السكانية.
 - ✓ التحديات الاجتماعية (العادات والتقاليد والقيم الموروثة).
 - ✓ مشاكل الهجرة من الريف إلى المدن.
 - ✓ القرية تعطي أكثر مما تأخذ.
 - ✓ الجمود الاجتماعي بالريف يعرقل مسيرة التنمية الاقتصادية.
 - ✓ النظر بعين الشك والحذر تجاه السلطات الحكومية بالقرية.
 - ✓ ضعف الشعور بالمسؤولية الايجابية إزاء المجتمع ككل.
 - ✓ القيموتحدي التعليم.
 - ✓ تحديات ناتج عن الضياع في الموارد.
 - ✓ تحديات جهود التنمية الأساسية والتحديات المتعلقة بقطاع الزراعة.
 - ✓ مشكلات سوء توزيع الملكية وقوانين الإصلاح الزراعي.
 - ✓ المشكلات المتعلقة بالاستيطان ومشاكل التصنيع.
 - ✓ مشاكل المؤسسات الاجتماعية وتباين الدخل في البلاد النامية.
 - ✓ الطاقات البشرية والصحة والرفاهية الاجتماعية.
 - ✓ مشاكل معدلات النمو السكاني المرتفع والإسكان.
 - ✓ نقص الكفاية الإدارية.
 - ✓ القيادة وطرق الاتصال ومؤسسات التنمية.
 - ✓ عدم التكامل الاقتصادي والاجتماعي القومي.
- هذا وسوف نتناول بعض من هذه التحديات والتي تعتبر في نفس الوقت من المعوقات التي تقابل عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدول النامية.(سميرة كامل محمد،1996: 139،138)

ثالثا-الاستدامة والتخطيط للتنمية الحضرية:

1 التنمية المستدامة وأبعادها:

أ- التنمية المستدامة:

تتعدد تعريفات التنمية المستدامة، فثم ما يزيد على ستين تعريفا لهذا النوع من التنمية، ولكن الملفت للنظر أنها لم تستخدم استخداما صحيحا في جميع الأحوال، وعموما ورد مفهوم التنمية المستدامة لأول مرة في تقرير اللجنة العالمية للبيئة والتنمية عام 1987، وعرفت هذه التنمية في هذا التقرير على أنها: تلك التنمية التي تلبى حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجياتهم.

وعرف قاموس "ويبستر Webster" هذه التنمية على أنها تلك التنمية التي تستخدم الموارد الطبيعية دون أن تسمح باستنزافها أو تدميرها جزئيا أو كليا عرفها "وليام رولكز هاوس W.ruckelhaus" مدير حماية البيئة الأمريكية على أنها: تلك العملية التي تفر بضرورة تحقيق نمو اقتصادي يتلاءم مع قدرات البيئة، وذلك من منطلق أن التنمية الاقتصادية والمحافظة على البيئة هما عمليات متكاملة وليست متناقض، وبالتالي يمكن القول إن التنمية المستدامة تسعى لتحسين نوعية حياة الإنسان، ولكن ليس على حساب البيئة، وهي في معناها العام لا تخرج عن كونها عملية استخدام الموارد الطبيعية بطريقة عقلانية، بحيث لا يتجاوز هذا الاستخدام معدلات تجدها الطبيعة وبالذات في حالة الموارد غير المتجددة، إلى جانب محاولة البحث عن بدائل لهذه الموارد، لتستخدم رديفا لها لمحاولة الإبقاء عليها أطول فترة زمنية ممكنة، وفي كلتا الحالتين فإنه يجب أن تستخدم الموارد بطرق وأساليب لا تقضي إلى إنتاج نفايات بكميات تعجز البيئة عن امتصاصها وتحويلها وتمثيلها، على اعتبار أن مستقبل السكان وأمنهم في أي منطقة في العالم مرهون بمدى صحة البيئة التي يعيشون فيها .

وقد أصبحت الاستدامة - ومنذ قمة الأرض عام 1992 - مدرسة فكرية تنتشر في أنحاء العالم المختلفة، وخصوصاً في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وتبناها مجموعة من المؤسسات والهيئات الرسمية والأهلية، وتعمل من أجل تطبيقها، وكذلك الحال في العديد من الدول النامية بما في ذلك بعض الدول العربية وخصوصاً الأردن، وقد نجم عن انتشار أفكار الاستدامة على المستوى العالمي ظهور مفاهيم ومصطلحات جديدة مثل: ثقافة الاستدامة وفلسفة الاستدامة، أي تلك المجتمعات التي تطبق التنمية المستدامة وتسعى إلى تحسين مستويات الصحة العامة فيها، وتحقيق نوعية حياة جيدة لسكانها على أساس مبدأ العدالة الاجتماعية ومن خلال:

- ✓ مكافحة التلوث بأنواعه وأشكاله المختلفة.
- ✓ تقليص النفايات السائلة والصلبة لأقصى حد ممكن.
- ✓ زيادة إجراءات حماية البيئة من خلال المحافظة على الموارد الطبيعية واستغلالها بطريقة عقلانية.
- ✓ استغلال وتطوير الموارد المحلية بما يخدم الاقتصاد المحلي ويعمل على تحقيق النمو.
- ✓ مكافحة مشكلات التفكك الاجتماعي والفوضى وغياب الأمن واستشراء الخوف. (عثمان محمد غانم، ماجدة أحمد أبو زنت، 2007: 26، 25).

ب- أبعاد التنمية المستدامة:

التنمية المستدامة تنمية لا تركز على الجانب البيئي فقط بل تشمل أيضاً الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، فهي تنمية بثلاثة أبعاد مترابطة ومتكاملة في إطار تفاعلي، يتسم بالضبط والتنظيم والترشيد للموارد، ولا يكفي وصف هذه الأبعاد بأنها مترابطة معاً، بل لابد من الإشارة إشارة واضحة وصريحة إلى أن هذه الأبعاد مترابطة ومتداخلة ومتكاملة.

ويمكن التعامل مع هذه الأبعاد على أنها منظومات لمنظومة التنمية المستدامة، حيث تتكون كل منظومة فرعية من هذه المنظومات من عدد من المنظومات الفرعية الأخرى أو العناصر التي يمكن تحديدها فيما يلي:

- المنظومة الاقتصادية وتشمل:

النمو الاقتصادي المستديم، كفاء رأس المال، إشباع الحاجات الأساسية، العدالة الاقتصادية.

- المنظومة الاجتماعية:

المساواة في التوزيع، الحراك الاجتماعي، المشاركة الشعبية، التنوع الثقافي، استدامة المؤسسات.

- المنظومة البيئية:

✓ النظم الإيكولوجية، الطاقة، التنوع البيولوجي، الإنتاجية البيولوجية، القدرة على التكيف. (عثمان محمد غانم، ماجدة أحمد أبو زنت، 2007: 26، 25)

2 أهمية التخطيط للتنمية الحضرية:

لقد سبق وأوضحنا أن التخطيط أسلوب علمي يدر ويتنبأ ويعمل على تكييف موائمة الوسائل بالوصول إلى الأهداف، ولقد أصبح التخطيط السليم في عالمنا المعاصرة أهمية كبيرة وضرورية للتقدم وذلك لأسباب التالية:

- التخطيط ينظم البرامج والمشروعات في المجالات المختلفة وينسق بينها في الأنشطة المتكاملة في إطار قومي تعاوني يوفر الجهد والوقت والتكاليف ويضمن سلامة التنفيذ.
- يوازن التخطيط بين الموارد والاحتياجات ويعمل على استخدام الإمكانيات بأقصى طاقتها وعلى أحسن وجه دون أن يترك طاقات معطلة ومجالات للإسراف.
- يعمل التخطيط على دقة التنبؤ بالنتائج وما يتخللها من صعوبات يعالجها بالدراسة والفهم على أسس عملية من التحليل والبحث والتقويم الصحيح.
- يسهم التخطيط القومي في أن تنطلق وتنضبط كل العوامل المعوقة للنهوض وأن يقضي على الأوضاع التي تقف في سبيل تحقيق حياة أفضل للأجيال المعاصرة اللاحقة وذلك لأن التخطيط السليم هو القوة الدافعة التي تمكن الجهود الإنسانية من تحقيق غايتها.
- يحقق التخطيط الأهداف القومية التي رسمتها السياسة العامة للدولة.

- وتظهر أهمية التخطيط الحضري مع ظهور مشاكل المدن، حيث تحتاج المدن إلى مراكز للترفيه و وحدات للصحة العامة والمدارس ووسائل تنقية الجو من التلوث والإضاءة والإمداد بالمياه ومجاري الصرف وتنظيم حركة المرور. (حسن عبد الحميد رشوان، بدون سنة:236)
- ❖ وبدون التخطيط الحضري تنتشر الأحياء المتخلفة، فيحفر لإقامة المجاري المائية والإمداد بالمياه، ونشأة الطرق بعد إقامة المباني، وبدون التخطيط يمثل حي بأطفال في سن التعليم، وتفتقر منطقة أخرى إلى المدارس وتنتج هذه المشاكل عن النمو غير مخطط في فترة تتناسب وقدرة المجتمع على تشرب نتائج التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتغلب على الصعوبات والمعوقات.
- يعمل التخطيط على حل المشاكل الناتجة عن التنمية وإيجاد الحل المناسب للمعادلة الصعبة التي تواجه الدول النامية وذلك الحل الذي يوفق بين جميع الميادين.
- يعمل التخطيط على تحقيق الأهداف الاجتماعية التي يسعى الوصول إليها وهي الرفاهية وسعادة المجتمع جميعاً.

- مراعاة النواحي الاجتماعية في التخطيط الاقتصادي لتحقيق الشمول والتكامل في الخطط الشاملة.
- يساعد التخطيط في تنظيم الاستفادة من كل الطاقات البشرية المتاحة للعمل به وتحقيق العدالة الكاملة وكذا يمكن الشعب من المشاركة الفعالة في اقتراح الخطط ومتابعتها وتقويمها. (محمد عبد الفتاح محمود، بدون سنة:155)

3 أهداف التخطيط للتنمية:

- يسعى التخطيط إلى تحقيق الأهداف التي ينشدها المجتمع وهي تنصب نحو تحقيق التنمية الشاملة (اقتصادية، اجتماعية) ولا شك أن حجم وطبيعة الأهداف التي ينشدها المجتمع والتي تركز على عوامل أساسية هي:
- حجم وطبيعة الموارد المادية والمالية والبشرية المتاحة للمجتمع.
- طبيعة هيكل الاقتصاد القومي القائم.
- طبيعة البيان الاقتصادي المراد تحقيقه للاقتصاد القومي.
- أسلوب التنمية الذي أستخدم في الماضي القريب.
- مرحلة التطور التي تمر بها الدولة موضع التنمية.
- دور التنظيم السياسي القائم في الجوانب القومية خاصة الاقتصادية منها أهداف التخطيط الاجتماعي للعملية.

- دور الدولة في مختلف الجوانب الاجتماعية والسياسية. (حسن عبد الحميد رشوان، بدون سنة: 156).
- وعموماً فإن التخطيط بمفهومه وفلسفته تستهدف التنمية بكل أهدافها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي تركز بدورها على:

- تتمثل التنمية حقيقة المعركة الشاقة التي تواجه الدول النامية بعد أن قامت طويلاً من التخلف بصورة مختلفة في ظل الاستعمار فهي في سعيها الطويل نحو التنمية تستهدف استقلالاً اقتصادياً وتحرراً اجتماعياً لتدعيم استقلالها السياسي الذي فازت به فلا يمكن أن يكون حقيقياً إلا إذا أمكن لها أن تدعمه وتسانده بالقدرة الاقتصادية الذاتية وبالتطور الاجتماعي المستمر والضروري بما يتفق ومتطلبات التنمية.
- لا تقتصر التنمية على التطور والتقدم الاقتصادي ولكنها في الحقيقة شاملة للتغيير والتطور الاجتماعي وما يستهدفه من تطوير للعنصر البشري وثقل معدنه ليصبح أكثر صلاحية وولاء للأسرة والمجتمع بأسره.
- لهذا فإن التنمية بكل أبعادها عملية متكاملة، مستمرة مخططة جماعية ويشير التكامل هنا إلى أنها عملية متكاملة بكل جوانبها الاقتصادية والاجتماعية ولكل مستوياتها القومية والإقليمية وبكل أبعادها الطويلة المتوسطة وقصير المدى.

ونشير استمرارية إلى المدى الطويل الذي يحقق نمواً ذاتياً للاقتصاد القومي والذي يتطلب أن يكون مخطط باعتبار التخطيط كأسلوب إنمائي لأنه يعتمد على التنبؤ بالمستقبل من خلال الواقع والاستعداد المستمر بما يتاح للمجتمع من موارد وإمكانات وطاقات وما تتطلبه الجماهير من احتياجات ورغبات، وجماعة التنمية ترجع أن الجماهير لا يمكن أن تعطي الجهد والمال إلا إذا أمنت بأن التنمية يجني ثمارها السواء الأعظم من الشعب وأن كل


من الجماهير يأخذ على أساس ما يعطي من جهد وعمل وهذا ما يميز التنمية بكل فلسفتها وأهدافها الاقتصادية والاجتماعية من التقدم الاقتصادي الذي قد يستهدف تطوير وتحسين الأداء ومراعاة كل الجوانب تمكن من النهوض بالمجتمع ثقافيا واجتماعيا.

■ إن نجاح عملية التنمية يتوقف على مدى كبير التكامل والتنسيق بين مختلف المجالات الاقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية⁽²⁰⁾. (محمد عبد الفتاح محمود، بدون سنة:158)
خاتمة:

مع كل هذا يجد التخطيط لنفسه مكانة بارزة في الوقت الحالي للنهوض بالمجتمع وتحقيق تنمية حضرية مستدامة في ظل النمو السريع الذي تتميز بهالمدن في العصر الحديث، وتزايد الكثافة السكانية، الأمر الذي جعل مهمة الوفاء بالمتطلبات الاجتماعية والاقتصادية لهذا النمو مسألة تنطوي على مصاعب جمة، إلى جانب الحاجة إلى تخصصات دقيقة تتربط فيما بينها، من خلال إطار معين يحقق أعلى درجات الاتساق والتنظيم.

المراجع

- 1- أحمد مصطفى خاطر(2002م)، التنمية الاجتماعية (المفاهيم الاساسية-نماذج ممارسة)، المكتب الجامعي، الاسكندرية.
- 2- إبراهيم عبد الهادي المليحي(بدون سنة) العولمة و أثرها في التخطيط الاجتماعي، المكتب الحديث، القاهرة.
- 3- حسن عبد الحميد رشوان(2005م)، التخطيط الحضري، مركز الاسكندرية للكتاب.
- 4- محمد شفيق (بدون سنة)، التنمية والمشكلات الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
- 5- حسن عبد الحميد رشوان (بدون سنة)، دور المتغيرات الاجتماعية في التنمية الحضرية(دراسة في علم الاجتماع الحضري)، الاسكندرية.
- 6- عبد الهادي الجوهري (بدون سنة)، دراسات في التنمية الاجتماعية، مكتبة النهضة، القاهرة.
- 7- علي الكواري (بدون سنة)، نحو إستراتيجية بديلة للتنمية الشاملة، مركز الدراسات الوحدة العربية.
- 8- علي سعيدان (1981م)، بيروقراطية الادارة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 9- سميرة كامل محمد (1996م)، التخطيط من أجل التنمية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
- 10- عثمان محمد غانم، ماجدة أحمد أبو زنت (2007م)، التنمية المستدامة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان.
- 11- محمد عبد الفتاح محمود (بدون سنة)، التنمية الاجتماعية من منظور الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية، جامعة الإسكندرية.



ijar studies

International Journal of Academic Researchs Studies Year:1, Number:1, December 2018, s.39-50

Article Arrival Date/ Yayın Geliş Tarihi
21.11.2018

The Publication Date/Yayınlanma Tarihi
22.12.2018

Assoc. Prof. Dr. Aicha OUADAH

Glizan University

oumyoucef2013@gmail.com

تجليات الأشكال التراثية الشعبية في رواية لونجة والغول للروائية زهور ونيسي

الملخص:

يعدّ التراث الشعبي أهمّ رافد من روافد الهوية الثقافية لمجتمع من المجتمعات، يعكس ذلك التراكم الفكري والثقافي والسلوكي للشعوب، يجسّد جوانب هامّة من حياته من خلال ما أبدعته المخيلة الجماعية من قصص وأشعار وأمثال وأغاني وعادات وتقاليد وطقوس ومعتقدات شعبية وغيرها من المأثورات الشعبية التي مثلت روح الشعب وأصالته وخصوصيته التي انماز بها عن غيره من الشعوب.

ولقد غدت الكتابة الروائية الشكل الأدبي الأقدر على رصد جملة التحولات العميقة التي مسّت جميع مجالات الحياة، فعالجت القضايا الجوهرية المطروحة على ساحة المجتمعات، فحظيت بالصدارة والتميّز لطبيعتها المتناغمة مع واقع الإنسان المعاصر واهتماماته، وانفتحتها على باقي تشكيلات الفعل الإبداعي التعبيري بدخولها عالم التجريب والتحديث بإضفاء روح الجديد لعوالمها والإفادة من أشكال تعبيرية، مما زادها تنوعاً وثراءً.

وأضحت الرواية الجزائرية المعاصرة نموذجاً إبداعياً يعبر عن واقع الشعب الجزائري وقضاياها الاجتماعية استطاعت أن تجعل من التراث الشعبي مادته الخام التي تجسد أصالته وحبّه لماضيه وتاريخه وعاداته وتقاليده، مستعملة أدوات تعبيرية حديثة باستطاعتها قراءة هذا الموروث المحليّ واحتوائه وبعثه من جديد برواية عميقة تعكس تمسك الروائي بهويته وأصالته، ليربط بين الماضي والحاضر من أجل صنع أرضية متزنة نحو مستقبل معاصر إيجابي.

وقد اتخذت الروائية زهور ونيسي من رائعتها "الونجة والغول" سبيلاً لمحاكاة الموروث الشعبي والاشتغال عليه والعمل على استثمار ما فيه حتى يخرج منجزها الإبداعي في هذه الحلة التي تجمع فيه بين الأصالة والمعاصرة، بين القديم والجديد، حيث شكّل الموروث الشعبي أحد أهمّ التيمات الأساسية في خطابها السردي، موظفة بذلك معالم النص السردي ليتم تحويل الأشكال التراثية الشعبية المحلية لما يواكب مجريات العصر ومستجداته.

وبناء على ما سبق، يمكننا طرح التساؤلات الآتية:

- ما هو أثر الموروث الشعبي المحلي في التشكيل الإبداعي الجديد لرواية لونجة والغول؟
- فيم تمثلت الأشكال التراثية الشعبية التي اشتغلت عليها الأديبة في منجزها السردي؟
- ما الغرض من استدعاء الساردة للمادة التراثية الشعبية في عملها الإبداعي؟

سنحاول الإجابة على التساؤلات المطروحة وذلك بالتعرض لطبيعة العلاقة القائمة بين النص التراثي الشعبي المحليّ والنص السردي قيد الدراسة، من خلال التعرف على مكانة النص التراثي في نظر الأديبة زهور ونيسي.

The impersonation of The People's heritage Figures in Lonja and The Ogre's Novel For The Novelist "Zhour Ounissi"

Summary:

The people's heritage is considered the most important element of the cultural identity element of one of the communities, it reflects those intellectual, cultural and behavioural accumulation of nations, it impersonates an important sides of its life through what the collective imagination innovated of stories, poems, idioms, songs, customs and traditions, rituals and a public beliefs and others of the people's memorized tracks that represented their spirit and origin, in the addition to the privacy they were featured by from other nations.

And contemporary Algerian novel became a creative model that expresses the reality of the Algerian people and their social cases, it could make the people's heritage it's distinct material, using a modern expressive tools that can read this local heritage, contain it and refresh it again with a deep vision in order to work on it, and doing efforts to exploit what includes till its creative accomplishment came out in this dress that it gathers in both origin and the contemporary between the old and new.

And according to what it was said before, we can ask the following questions:

What is the effect of local people's heritage in the new creative composition of Lonja and the ogre's novel ?

What are the people's heritage figures that the novel is it worked on in her narrative work ?

Keywords: novel, stories, poems, idioms, songs, customs and traditions, rituals

مقدمة:

إنّ النظرة إلى التراث الشعبي كانت تحمل الكثير من الازدراء والتهميش، لكن سرعان ما تلاشت بعد ما أدرك الباحثين أنه "يحيوي من منابع الإلهام وكنوز الفن والحكمة ما هو جدير بالالتفات إليه والاسترفاد منه" (سوكولوف، 2000 ص13). واعتبرت مادته التراثية مادة ثقافية يمكن تحويلها، أو رأسمالاتها رمزياً يمكن صرفه أو استثماره، أو منجماً معرفياً يصلح التنقيب فيه (حرب، 1994، ص83).

ولقد عرفت الإنسانية تحوُّلاً عميقاً في شتى مجالات الحياة، وما يمكن الجزم به هو أن "تراثنا جزء من التراث الإنساني... وتبعاً لذلك لا بدّ لنا من الانفتاح على هذا التراث الإنساني... وأننا مطالبون بالإنصات إلى صوت التطوُّر والعصر، ونعمل على فهم تراثنا في ضوء ما يتحقق من معارف وعلوم حديثة، لأن بهذا الصنيع يمكننا جعل تراثنا عصرياً وإنسانياً في العصر الحديث" (يقطين، 2006 ص60-61)، ذلك لأنه لا يمكن التغافل عن هذا التطوُّر الهائل والسريع الذي مسَّ العالم بأكمله، وذلك بربطه بعملية إحياء تراثنا الشعبي والعمل على بعثه من جديد.

ثم إن معظم الدارسين للآداب قد فطنوا منذ فترة طويلة إلى هذه الحقيقة الهامة، فمضوا يربطون الإنتاج الأدبي الذي يبده الأفراد المتميزون القادرون على التعبير باللغة الأدبية المتفوقة بإنتاج الشعب، أو بالأدب الشعبي القريب إلى حسن العامة (خورشيد، 1991، ص11). "حيث اعتبرت المادة التراثية تحمله من زخم معرفي ثقافي وفني أدبي، أهم رافد يتكئ عليه الخطاب الفني المعاصر عموماً والسردية منه على وجه الخصوص... مما يحقق له سيرورة الانفتاح على أزمنة لاحقة تخلقها عقول تعي ضرورة تأصيل الحداثة بالعودة المستلهمة لما صلح من التراث" (منصوري، 2011-2012 ص13)، ذلك أن المسعى من احتضانه يعود إلى تحديد خصوصية المجتمع وتمييزه عن غيره من المجتمعات، مما جعل الحديث عنه والعمل على دراسته "حاجة ملحة فرضتها إشكالية البحث في القيم الثقافية والفكرية الأصيلة للشخصية الوطنية، فالأدب الشعبي يعد أحد أهم الركائز الثقافية الوطنية، والبحث في مجاله يعد بحثاً أصيلاً مرتبطاً بالكيان الثقافي لأية أمة من الأمم البشرية. إن هذه الحاجة بدون شك يملئها الواجب ومسؤولية إثبات الذات، وتحديد هويتها وتدعيم بقائها واستمرارية صمودها في خضم هذا التهافت الفكري السياسي، الثقافي والأيدولوجي" (السعيد، ص2).

لقد أثبت التراث الشعبي قدرته على "الوفاء بحاجات المجتمع الشعورية والمعنوية، ذلك لأنها تحقق الحيلة وتعين على حركة التاريخ وتكبر من شأن القيم الإنسانية العليا، وتبرز الخصائص القومية والملامح الوطنية والمثل الاجتماعية" (يونس، 1973، ص45)، فاعتبر بذلك الاغتراف منه وتشكيل معالمه في الرواية تشكيلاً تجريبياً وتميزاً يرفعه إلى مصاف العالمية.

وقد ارتأيت أن تكون رواية "الونجة والغول" للكاتبة زهور ونيسي نموذجاً لهذه الدراسة، وحتى نتمكن من ذلك علينا أن نتعرف على ملخص هذا النص الروائي.

ملخص الرواية:

"الونجة والغول" إحدى روايات زهور ونيسي التي تعكس لنا حالة الشعب الجزائري قبيل اندلاع ثورة التحرير الكبرى، وأثناءها، حيث ركزت فيها على أسرة فقيرة، تصور من خلالها البؤس والحرمان والجوع الذي كانت تعانيه معظم طبقات المجتمع في ظلّ غاصب وحشي، نهب خيرات الشعب وحاول مسح هويته، ليجعل من الجزائر الوطن الثاني لفرنسا الأمّ، وقد استطاعت الروائية أن تجعل من بطلتها "مليكة" وحياتها المتذبذبة رمزا للجزائر الجريحة التي عانت المحن والشدائد، إلى أن جاء يوم بلغ فيه الظلم والإهانة والغبن أقصاه، فانتفض الشعب ثائراً رافضاً الذل والممارسات الوحشية للمستعمر، وقرر الكفاح والنضال إلى يأن يسترجع كرامته وحرية المسلوب، ليتّوج هذا المسار النضالي بعرض بهيج وجزائر حديثة، جزائر الاستقلال التي ساهم في خلاصها كل فرد من أفراد الشعب الجزائري.

توظيف الأشكال التراثية الشعبية في رواية لونجة والغول:

تعتبر المادة التراثية الشعبية عن ماضي الشعب وهويته الثقافية التي تميزه عن غيره من الشعوب، ومثلت أشكاله الشعبية مادة خام مكنت الأدباء من خلق نصوص جديدة من خلال استثمارها والعمل على توظيفها، ونذكر منها: القصة الشعبية بمختلف أنواعها، المثل الشعبي، اللغز الشعر الشعبي، الأغنية الشعبية، العادات والتقاليد، المعتقدات الشعبية وغيرها. وقد حاولت الأدبية زهور ونيسي توظيف معظمها في روايتها الخالدة "الونجة والغول"، منها:

1- القصة الخرافية:

تحتل القصص الخرافية مكانا واسعا بين أشكال الموروث الشعبي، لما لها من حضور قوي في السهرات الليلية وجلسات السمر بين أفراد المجتمع الجزائري، وهي "قصة اخترعها الخيال الشعبي وأضاف لها جانبا خرافيا للتعبير عن عقيدة خاصة يؤمن بها الناس، أو فكرة معينة تتحسس لها الجماهير" (روزلين، 2007، ص162)، "تنبثق من مجال الاهتمام الروحي للشعب... ومن ثم فهي تصوّر عادات الشعوب ومعتقداتهم وحياتهم البدائية القائمة على التمسك بوحدة الشعب وأماله إزاء حوادث عصره" (العوبي، دت، ص26).

وتسعى القصة الخرافية إلى "إبراز مثال من مثل الحياة في أدقّ معانيها، وإذا نبعت الخرافة من عالم الغيب، فهي تصوّر حقا وعلى تعداد ألوانها صراعا حادا قد عرفه العالم منذ بدء تاريخه البشري، وهو الصراع المستمر بين دواعي الخير وحوافز الشرّ، كما تخيّل الإنسان على مرّ الزمان لذلك تبدو الخرافة مملوءة بوقائع خيالية قد تكون حقيقة في الأصل" (روزلين، ص161). تمتلئ أحداثها بالعجيب والخارق وتغلب عليها أعمال وطقوسا سحرية يلعب فيها الجن والغول أدوارا رئيسة تحلّق بالمتلقي إلى أجواء ساحرة، وأماكن غريبة لا تمت بصلة إلى الفضاء الذي يعيش فيه، فتشذّر انتباهه وتزيد من شوقه ورغبته فيسماعها أكثر من مرة.

والقصة التي بين أيدينا تحمل عنوان "الونجة والغول" هذه العنوان التي تحيلنا إلى توظيف الكاتبة للقصة الخرافية، هذا النمط من القصص الشعبي يلقي رواجاً كبيراً في أوساط المجتمع فقد استنقت الساردة هذه العتبة النصية من قصة "الونجة بنت الغول"، تلك الفتاة الجميلة التي اختطف الغول أمها وتزوج منها قصراً، فأنجبتها مثلها تماماً لا تشبه هذا الكائن الوحشي في شيء.

فقد كان أحد الأمراء يسقي حصانه عند البئر ببطء شديد، وقد استاءت منه "ستوت"- المرأة العجوز التي تمثل الدهاء والخبث- فقررت أن تستفزه وترسله إلى الجحيم، فعلمت قائلة: "هل تظنّ نفسك تملك لونجة بنت الغول؟ انتاب الأمير الفضول وتحزّت فيه مشاعر الدهشة والغرابة من هذا القول، لكنّه اكتفى بالصمت إلى أن يجد الفرصة السانحة لمعرفة المجهول.

قام الأمير بإحضار هذه العجوز بحجة المرض، وطلب منها تحضير حساء من يدها ثم أدخل يدها في القدر وطلب منها معرفة من استفزه بامتلاكها، فأخبرته أنها فتاة فانتة تبهر كل من يراها لكن أبوها غول، كان قد اختطف أمها وتزوجها غضبا، فأنجبت له بنتا تحاكي الشمس في بهائها وشدة جمالها تشبهها وحدها، وقد توفيت أمها فخاف عليها أبوها من الهروب، فوضعها في برج عال من قصره- وحددت له مكان القصر- محروسة بكلاب شرسة، وقد رغب ملوك وأمراء الزواج منها لكنهم لقوا حتفهم قبل الوصول إليها.

عندئذ قرر الأمير الرحيل للبحث عنها، رغم أن العجوز قد حذرته من الصعاب التي ستواجهه أثناء هذه الرحلة. لكنّه لجأ إلى حكيم البلدة قبل سفره، فذلل له الصعاب وأعلمه بأسرار اجتياز هذه الطريق وكيفية الوصول إلى مبتغاه.

ركب الأمير المخاطر وجازف بحياته من أجل محبوبته، وتمكّن من الوصول إليها، وأخبرها بحبه لها، فساعدته هي الأخرى وهربا معا، رغم انكشاف أمريهما عند الغول، إلا أن ذلك كان متأخرا وعادا معا إلى البلدة حيث فرح أبويه الملكان بها وأقاموا لهما عرسا بهيجا سبع أيام وسبع ليال.

إن هذا العنوان مستوحى من الثقافة الشعبية الجزائرية، ولكنه يحيل في الرواية إلى بعد رمزي أرادت من ورائها الكاتبة زهور ونيسي أن تكون **لونجة** رمز للجزائر المغتصبة، الجزائر التي مورس عليها كل محاولات التغريب والطمس للهوية والجذور والتاريخ وكل ما يمت بصلة إلى خصوصيتها ووجودها أما الغول فقد رمزت به للاستعمار الفرنسي الذي صادر حرية هذا الوطن الأبوي ليمارس كل أنواع الوحشية ضد أبنائها العزل بهدف استغلال خيراتها وفرنستها معتبرا إياه قاصرا تحتاج إلى من يأخذ بيدها إلى المدنية والحضارة.

إن عنوان مثل "لونجة والغول" يحقق شكل من أشكال التناص بواسطة توظيف القصص الشعبي كخلفية تسمح للقارئ تأويل العمل بعد قراءته (قويسم، 2011، ص30). هذه الآلية التي طبعت الموروث الشعبي بطابع الحدثة.

وتستشهد الساردة بنفس القصة في معرض حديث كمال لزوجته **مليكة** -بطلة هذه الرواية- بعد وفاتها إثر مخاض عسير: "**مليكة**... أنت **لونجة** بنت الغول، أندرين من هي **لونجة** بنت الغول؟ تلك التي تحكي عنها جداتنا تلك الفتاة الجميلة التي لا يمكن ان يصل إليها أحد لأنها تسكن قسرا عظيما عالية أبراجه تناطح السحاب هو قصر الغول..." (ونيسي ص279).

لقد حظيت بطلة الرواية بقسط وافر من الجمال، وهو ما جعل الروائية ترمز إليها بلونجة هذا الاسم الذي يرمز إلى كل فتاة تحمل الجمال الفئان، إنها مليكة الفتاة التي عاشت عدم الاستقرار في حياتها، حيث أعجبت بابن جارتها، لكنها لم تلق منه ذلك الحب الجاد فتزوجت من **أحمد** الشاب الخلق المحترم بين أفراد أسرته لكنه سرعان ما استشهد في أول معركة له ضد المستعمر، فعاشت معه أحلى أيام حياتها، وعرفت معه معنى الحب الحقيقي، وأنجب منه ولدا سمي باسمه، وتجد نفسها بعد ذلك زوجة لأخيها كمال هذا الذي كانت تعتبره أختها، تعيش معه حياة أختوية في غرفة واحدة دون علم أحد، لكنها سرعان ما تحبته عند التحاقه بالنضال السري مع جبهة التحرير الوطني، فعاشت معه أياما جميلة، أثمرت ابنة اسمها **نؤارة**، لكن تموت البطلة اثر ولادة عسيرة وظروف أمنية صعبة.

أما الغول، فهو ذلك الكائن الوحشي الذي نجد له مكانا وحضورا كبيرا في القصص الخرافية الجزائرية، إنه من أكل لحم البشر، ويعتبر شخصية أساسية في هذه القصص، يؤدي وظيفة مهمة فيها، قد تكون إيجابية من خلال مساعدته البطل في تحقيق مبتغاه إن هو أحسن التصرف معه، وقد تكون سلبية فيعيق مسار البطل ويثنيه عن الوصول إلى هدفه المنشود لكن القصة دائما تجعل الإنسان ينتصر على هذه الكائنات العجيبة بذكائه وإيمانه القوي.

كما استثمرت الكاتبة قصة خرافية أخرى من التراث الشعبي في معرض حديثها عن العجائز التي كانت تجلس أمام مقبرة الولي الصالح، وكانت كل واحدة منهن تحكي حكايتها وتبث شكواها للأخرى "عجائز لهن ألف حكاية وحكاية، بدايتها مع امرأة، ونهايتها سوف لن تكون إلا مع امرأة، لم توضع بعد رحم الزمن الآتي..." (ونيسي، ص249)، "وكانهن عجائز القمر عندما يلتقين" (م ن، ص ن)، هذه القصة الشعبية (montada.echoroukonline.com) التي تحكي أنه كان في قرية سبع عجائز تطلقن في صغرهن منذ الأيام الأولى من زواجهن، ولم يتزوجن بعدها، إذ كن يجتمعن مرة في كل شهر في ليلة اكتمال القمر في مكان تحت شجرة وتروي كل واحدة منهن سبب طلاقها، فذكرت الأولى أنها كانت فتاة جميلة شاع جمالها بين الناس، وبعد زواجها بسبعة أيام خرجت إلى الحوش فأعجبها عنقود عنب، استعانت بأتان، لكنه بمجرد أن مسكت في أغصان الشجرة هربت وتركتها معلقة، ودخلت حماها وحموها فوجدها معلقة، فتم الإجماع بطلاقها، وشاعت بين الناس قصتها، فلم يتقدم أحد لخطبتها. وذكرت الثانية أن والدها زوجها صغيرة جدا إلى عائلة ذات صيت وأب الزوج الأمر النهائي، وبعد اكتمال أسبوع من زواجها قامت بتحضير العشاء، ولكنها أكثرت الماء في الأكل، وعند نضجه ظهرت أن المرق كان عائنا فوق سطح الطعام، فأنقصت منه في أنبية وخبأتها في نافذة المطبخ، فلما نظر حموها إلى الأكل قال لها: "المرا المراقبة مرزاقه" فقالت له: "ما شفتش اللي في التاقه" وكان بخيلا، فاستاء لهذا التبذير، وكان ذلك سببا في طلاقها... وهكذا كان لكل واحدة منهن حكاية في تطليقها إلى آخر القصة الخرافية.

القصة، والتي استثمرت الجبهة مواهبها، فجعلتها تعمل في الدعاية والإعلام لصالح الثورة الجزائرية، وهو مثل مفاده التخفيف من هول المصيبة التي قد تصيب الإنسان في مجرى حياته. فهي تعبر عن الحالة الاجتماعية التي يعيشها الشعب الجزائري إبان الثورة التحريرية وما لاقاه من قتل وتشريد وما خلفه من أرامل ويتامى، فقد أصبحت المصيبة واحدة والموت أصبح أمرا عاديا لذا على مليكة أن تصبر لأن مصير زوجها هو مصير جلّ الأزواج وأبناء الجزائر. فالمثل "فهيتجسيدأقيموتقاليدومعتقداتوسلوكالشعبالحقيقية"، لأنها انعكاس للبيئة التي نشأ فيها" (صفوت، د. ت، 5).

تقول الأديبة على لسان البطلة-مليكة-: "إذا ذهب الجمال بقيت علاماته" (ونيسي، ص255) ويقال بصيغة أخرى في الغرب الجزائري: "بروح الشوب و يبقى مراسمو"، يشير المثل في هذا النص السردي إلى أن الجمال لا يزول مع الكبر تماما، بل يبقى أثره الذي يدلّ عليه، رغم إرهاق السنون وجهد الهموم والكروب. وقد خاطبت به مليكة خالتي البهجة عندما أخبرتها أنها كانت جميلة في صغرها، وقد عبرت به على اعتبار أن كلامها صادق، ويشهد لها بذلك العلامات التي تركها هذا الجمال فيما بعد.

لقد تعددت موضوعاتنا لأمثالا لشعبية التي وظفتها الروائية زهور ونيسي في رواية "الونجة والغول"، فجاءت معبرة عن الواقع المعيش للشخصيات الروائية من جهة، ومهارات الروائي المبدع و"وقد اتعلا المزج بينها في جنسها عيسر ديجديد، استلهم المثل كبنية سردية موروثة تحمل طابعا خاصا أساسها الترميز والقناع هدفها المغزى والحكمة والاتعاضلأجل تحقيقاياتاسامية منطقتها تغيير الواقع" (منصوري، ص52)، والتي كثيرا ما يعتمد على السخرية والاستهزاء إزاء مواقف متعددة.

3- الأغنية الشعبية:

تمثل الأغنية الشعبية سجل حافل بعادات الجماعة الشعبية وتقاليدها ومعتقداتها الشعبية من خلال جمعها بين الكلمة واللحن، أبدعها فرد ثم ذاب وسط الجماعة، تتداول شفويا من جيل لآخر، وهي إبداع شعري شعرية يخضع للحن والموسيقى، تعبر عن واقع المجتمعات في شتى المجالات.

ويرى ألكسندر هجرتي كراب أن الأغنية الشعبية "قصيدة شعرية ملحنة مجهولة المؤلف كانت تشيع بين الناس في الأزمنة الماضية وما تزال حية ليو منا هذا" (هجرتي، 1967، ص48).

ويعرفها فرانك كيدسون بأنها: "الأغنية التي نشأت بين الشعب وتداولها أفرادها، فاستقرت بينهم قبل أن يقوم الجامعون بتدوينها وقبل أن تتناولها طبقة المغنين المحترفين" (شمس الدين، 2008، ص16). هذا التداول الذي يجعلها عرضة للتعديل والتغيير والتحوير بما يناسب متطلبات العصر، وإلى ما تعترى الذاكرة الجماعية من تلف ونسيان.

إن "الموهبة تعتبر فردية ولكن الاهتمامات الروحية ومضمون الخبرة ذات صفة مشتركة بين الجميع" (هاوزر 1980، ص299)، لهذا نجد متن الأغنية سريع الانتشار والتداول بين الناس مقارنة بمؤلفها، لما يحمله هذا الشكل من مضمون إنساني يعبر عن اهتمامات الجماعة وهمومها.

والأغنية الشعبية تختلف عن غيرها من سائر أشكال التعبير الشعبي في كونها تؤدي عن طريق الكلمة و اللحن معا، ومن ثم كان البحث في الأغنية الشعبية ذو شقين، شق يختص بالكلمة و شق يختص بالحن والموسيقى (ابراهيم 1981، ص265)، ترتبط بوجودان الشعب وصدق أحاسيسه في التعبير عن مكنوناته النفسية وهمومه الاجتماعية ومواقفه الأيديولوجية في بيئته، لتجد الأغنية الشعبية رواجاً كبيراً وتأثيراً مباشراً في المتلقي.

ومن جملة الأغاني التي ذكرتها الروائية على لسان البطلة "مليكة" وغيرها من الشخصيات ما يلي: "اغم ساعة في الحياة يا من عينك بكاية، اللي مكتوبة تكون راهي الدنيا ساعة..." (ونيسي، ص251). إن الأغنية الشعبية التي تحمل هذه الكلمات تريد أن تبلغنا أن الحياة لحظتان: لحظة فرح ولحظة حزن، وما هو

مقدّر عند الله لا يغيره الحزن والقلق والخوف من المجهول، لهذا علينا أن نعيش كل لحظة منفردة عن الأخرى، وإلا فإننا سنكون ممن عاشوا الحزن والأتراح وحدهما في هذه الدنيا.

كما أوردت لنا المبدعة شيئاً من أغنية أخرى على لسان **خالتيا لبهجة** وبلسان حزين: "الجندي خويا ما تعديش عليّ، تشوفك فرنسا وتقتلك بالغدرة، الجندي خوي" (ونيسي، ص256) هذه الأغنية التي تخاطب الجندي أو الثوري الذي يدافع عن الوطن في صفوف الجيش الوطني أو جبهة التحرير أو غيرها من أشكال المقاومة التي لجأ إليها الفرد الجزائري حتى يجلي العدو من أرضه الجريحة التي تئنّ تحت وطأة الذل والاستبداد ومحو الهوية وطمس الخصوصية، وقد فتحت **خالتيا لبهجة** بهذه الكلمات جراح **مليكة** التي وجدتتها غارقة في دموعها، تتذكر ما مرّت به خلال هذه الفترة القصيرة من حياتها.

لقد جاءت الأغنية الشعبية لتقدّم لنا تفسير للنظرة إلى التراث الشعبي الجزائري الأصيل الذي استطاع أن يتماشى مع الحياة الاجتماعية المعاصرة، ويلبي ذوق الجماهير رغم عراقته وقدمه في التاريخ.

4- المعتقدات الشعبية:

تعتبر المعتقدات جملة ما يسرح في عقل الجماعة الشعبية من ظن ومعتقد وتخمين إزاء موضوعات ذات الصلة بالموروث الشعبي، الذي جاء نتيجة تراكمات ومخلفات الحضارات السابقة والمتوالية عبر الزمن. و"مهما يكون من الأمر، فإنه لمن العسر العسير الإحاطة بجميع معتقدات أي مجتمع، نظرا لكونها مخبأة في صدور الناس، إذ لا تلقن من الآخرين، ولكنها تختمر في صدور أصحابها وتتشكل بصورة يلعب فيها الخيال الشعبي دوره ليعطيها طابعا خاصا" (رشدي، 1971، ص121).

ويمكن أن تصنيف المعتقدات الشعبية إلى موضوعات أساسية، هي: الأولياء، السحر الأحلام الروح، النظرة إلى العام، الكائنات فوق الطبيعة، الطب الشعبي، العفاريات والجان (المخلف، 1996، ص153). وكلّ ما يرتبط بتخمين الإنسان وطريقة تفسيره للأشياء المحيطة به.

كما "ترتبط هذه الاعتقادات من حيث نوعيتها وأساليب ممارستها بطرق التفكير والمعيشة التي يميّز بها الإنسان ... وقد تداخلت هذه الاعتقادات بالدين" (بوسماحة، 2008، ص59-60)، فكانت من ضمن ما يعتقد بحضوره القوي والتميّز زيارة الأولياء الصالحين والاستغاثة بهم، والتقرب منهم عن طريق إقامة النذور وإطعام الطعام، سبيلا إلى انقراج أزماتهم وحلّ مشاكلهم.

ومن منطلق رواية "الونجة والغول" نجد بنية التراث الشعبي حاضرة بقوة من خلال جملة من الأمثال الشعبية والأغاني وكذا المعتقدات المتعارف عليها بين الناس حيث نقرأ على لسان الساردة مايلي: "...إنهم جميعا يقصدون اتجاها واحدا (سيدعبد الرحمن) مقبرته يقصدون بركته يوم النذر جميعهم يحسن عملية الانتظار، انتظار لقيمات وجود بها احدهم ممن نذروا للقطب الرباني أن يجودوا على الفقراء حوله الساكنين على الأرضة تحت رعايته، قصعة كسكي أو سلّة خبز لأنّ الحاجة قد قضيت ببركة الشيخ المبارك، إنه يوم الصدقة، فيه يغشّ الناس أنفسهم، يغتنمون الفرصة حيث يكون الله فيه رحيمًا فقط، وليس شديد العقاب، وسيدي عبد الرحمن الرجل الصالح هو معبرهم إلى الله..." (ونيسي، ص248).

فالاعتقاد في أولياء الصالحين ظاهرة اجتماعية تكتسح معظم المجتمعات العربية والجزائرية على وجه التحديد فالولي في نظرهم "المؤمن النقي الذبّو التواضع لله المنغير معصية، أو الذي يتولنا الحسب جانهو تعال يحفظه وحر استهعلنا الدوام منكلنا نواع المعاصي، ويديم توفيقه علنا الطاعات" (الفضالة، 2005، ص128)، فحظي بذلك بالاحترام والتبجيل إلى درجة التقديس، وهو ما أكد عليه **محمد جلاوي**: "لذا تشكلت حولهم هالة من التقديس والتعظيم فأغلبية الشرائح الاجتماعية يومها تثبت لهم الولاء المطلق، باعتبارهم كما جرى الاعتقاد الوساطة التعبدية بين العبد والخالق، وتؤمن بقدراتهم الخارقة في حل القضايا المستعصية، وتوجه إليهم بالتضرع و الثناء قصد بما يحضون به من بركة وشفاعة عند الله" (جلاوي، 2009، ص244).

لقد رأت العامة أن الولي ذلك الوسيط بين العبد وربّه نظرا للعلاقة الوثيقة التي أوجدها من خلال عبادته وطاعته وإخلاصه لله عزّ وجل، حيث أكرمه الله جزاء عمله كرامات خفية وظاهرة للعيان، رفعتهم في المعتقد الشعبي إلى أعلى المدارج والمرتبات.

ثم إن من جملة الكرامات التي أجراها المولى عزوجل على يد أوليائه تفريج الكروب والشفاء من العلل والأسقام والبركة في الحياة وانجاب البنين والبنات، وتزويج الثيب والأبكار ، وكلّ ما من شأنه أن يحبط عزيمة الإنسان، فهم "ولاة العالم، والحلّ والعقد منوط بهم، وتدبير العالم موصول بهمتمهم" (بدران، 1974، ص113).

وسيدي **عبدالرحمنالثعالبي** أشهر أولياء العاصمة، والذي يعود نسبه لقبيلة الثعالبة، التي قطنت سهل المتيجة وبقيت محافظة على سيادتها حتى نهاية القرن الثامن الهجري، ويعتبر هذا الولي الصالح من أشهر فقهاء الجزائر درس في تونس ثمّ القاهرة (Devoulx,p37-38)، أحبّه الشعب الجزائري والعاصمي على وجه التحديد، فجعلوا من ضريحه ملاذا يلجأ إليه الزوار من كلّ مكان لحلّ مشاكلهم وتفريج كروبهم وبحثا منهم على السكينة والأمان، يعتقدون ببركته وقرته على تحقيق الأماني وتنفسا لمن ضاقت عليه الحياة.

يقوم زوار سيدي **عبدالرحمنالثعالبي** بطقوس وممارسات غريبة كالطواف على قبره سبع مرّات ويطلبون منه العون وإيصال دعواتهم إلى الله، وإشعال الشموع ومسح الوجوه بقطعة القماش التي غطت ضريحه، فيرون أن زيارته تجلب الحظ وتقيهم الهموم والمصائب وتمنحهم السكينة والطمأنينة من خلال الاعتقاد فيه والتسليم الكلي بما حباه الله به من كرامات ومزايا.

وبناء على ما تقدّم، يمكن القول أن التبرك بأولياء الله الصالحين معتقد شعبي واسع الانتشار بين فئات المجتمع الجزائري، نظرا لما تجلبه لهم هذه الطقوس والممارسات من خير وبركة، الأمر الذي ذكرت الكاتبة أنه لا يجوز شرعا، لأن الأمر مرفوض جملة وتفصيلا عند أهل العلم والشرعية، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لم يعط ذلك حتى لأفضل الخلق المصطفى صلى الله عليه وسلّم، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ" (البقرة/186). ويبقى لنا في هذه الحالة التحليل دون الحكم، لأن الأمر ليس من اختصاصنا.

خاتمة:

في الأخير ، توصلنا إلى جملة من النتائج والتي تمت صياغتها في النقاط الآتية:

- لقد خاضت رواية لونجة والغول للأديبة **زهور ونيسي** عالم التجريب المتمثل في استثمار التراث الشعبي وإحياءه عن طريق آليات حديثة كالتناص والانزياح وغيرها من أجل خلق نص سردي جديد يفتح للمتلقي مجالا واسعا للقراءة والتأويل واستخراج الدلالات العميقة والإضاءات الجمالية الفنية للنص الابداعي.
- استفادت الروائية **زهور ونيسي** من المادة التراثية الشعبية وأشكالها التعبيرية لتنتج لنا نصا جديدا يربط بين التراث والحداثة، التقليد والتجريب، الأصالة والمعاصرة، فمنحت بذلك نصها الاستمرارية والخلود عبر الزمن.
- لقد جعلت الروائية من النص التراثي أرضية تنطلق منها نحو الابداع والرقي والتميز ، وفق آليات جديدة منحت المتلقي الانتقال بين الماضي والحاضر، بين التاريخ والواقع المعيش.
- أثبتت الكاتبة من خلال الرواية قيد الدراسة أن الموروث الشعبي نص إبداعي قابل للتحويل والاستمرار والاستثمار عبر مختلف الأزمان، وذلك لقربه الدائم من ذوق الشعب وفهمه وتطلعاته في الحياة.

- اشتغال الأديبة على التراث الشعبي والاستفادة من أشكاله الشعبية كالقصة الخرافية والمثل الشعبي والأغنية الشعبية والمعتقدات الشعبية، يجعلنا نقول أنها سعت إلى تأصيل الرواية الجزائرية ورفع التهمة عنها في تأثرها وانبهارها بالرواية الغربية، والأخذ عنها.
- أكدت الكاتبة من خلال هذا العمل الأدبي والعودة من خلاله إلى الموروث الشعبي على حبها وتقديرها له ولكل ما يمت بصلة إلى الوطنية والأصالة من أجل إبراز خصوصية هذا الشعب وتميزه عن غيره من شعوب العالم.
- إن الاعتراف من التراث الشعبي الجزائري في رسم معالم النص الروائي "لونجة والغول" أمر ملح أملاه الراهن الثقافي الجزائري، ذلك حتى تتمكن الروائية من صد هجمات التغريب وعولمة العالم، والحفاظ على الهوية والخصوصية الوطنية والثقافية للمجتمع الجزائري.
- **القرآن الكريم**
- **قائمة المصادر والمراجع:**
 - أ- **المصادر:**
 - 1- زهور ونيسي، الرواية-2- صدرت عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية الجزائر 2007.
 - ب- **المراجع بالعربية:**
 - 1- ابراهيم بدران وسلوى الخماش، دراسات في العقلية العربية- الخرافة- دار الحقيقة للطباعة والنشر 1974.
 - 2- أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، ط3، القاهرة- مصر 1971.
 - 3- أسماء قويسم، إيمان لطرش، الواقع والتاريخ في رواية لونجة والغول، رسالة ماستر في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري- قسنطينة الجزائر 2011.
 - 4- أرنولد هاووزر، فلسفة تاريخ الفن، ترجمة رمزي عبدة، دار الحقيقة، الطبعة الأولى 1980.
 - 5- ألكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، تر. أحمد رشدي صالح، وزارة الثقافة المصرية، مؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب، القاهرة- مصر 1967.
 - 6- حسن علي المخلف، توظيف التراث في مسرح سعد الله ونوس، الأردن 1996.
 - 7- رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، 2002.
 - 8- رابح العوبي، أنواع الشعر الشعبي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة- الجزائر.
 - 9- روزلين ليلي قريش، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007.
 - 10- سعيد يقطين، السرد العربي- مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، 2006.
 - 11- صالح حسن الفضالة، كرامات مغربية بعيون شرقية، الرباط- المغرب 2005.
 - 12- عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة دار السبيل، الجزائر 2008.
 - 13- عبد الحميد يونس، الدفاع عن الفولكلور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.
 - 14- علي حرب، أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر، دار الطليعة، بيروت- لبنان 1994.
 - 15- فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، دار الشروق، القاهرة- مصر 1991.
 - 16- مجدي محمد شمس الدين، الأغنية الشعبية ببن الدراسات الشرقية والغربية الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة- مصر، 2008.

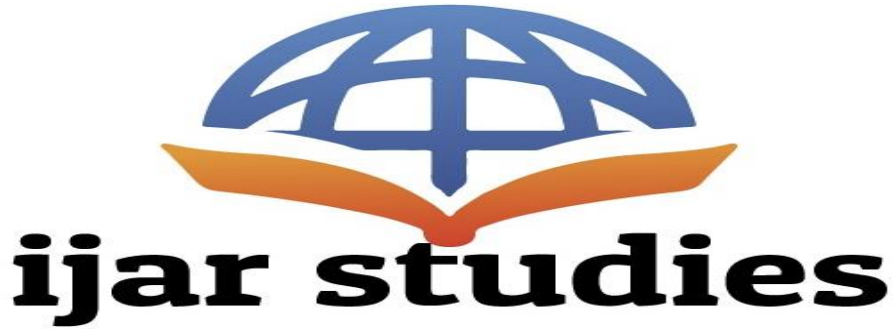
- 17- محمد جلاوي، تطوّر الشعر القبائلي وخصائصه- بين التقليد والحداثة، المحافظة السامية للأمازيغية، تيزي وزو- الجزائر 2009.
- 18- محمد السعيد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، المطبوعات الجامعية الجزائر.
- 19- محمد صفوت، الأمثال الشعبية، دار مصر للطباعة، مصر.
- 20- محمود اسماعيل صيني وآخرون، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، 1992.
- 21- نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، ط3، القاهرة 1981.
- 22- نجوى منصور، الموروث السردي في الرواية الجزائرية- روايات الطاهر وطار وواسيني الأعرج أنموذج- مقاربة تحليلية تأويلية، دكتوراه العلوم في الأدب الحديث 2011-2012.
- 23- يوري سوكلوف، الفولكلور- قضاياها وتاريخه، تر. حلمي شعراوي وعبد الحميد حواس، مكتبة الدراسات الشعبية، ط2، 2000.

ج- المراجع بالأجنبية:

- 1- Albert Devoulx, Les édifices religieux de l'ancien Alger, Typographie Bastide, Alger.

د- مواقع النت:

- 1- أماني أريس، جوائز القمر montada.echoroukonline.com



International Journal of Academic Researchs Studies Year:1, Number:1, December 2018, s.51-57

Article Arrival Date/ Yayın Geliş Tarihi
20.10.2018

The Publication Date/Yayınlanma Tarihi
23.12.2018

Yenni PATRIANI

Bengkulu University /Indonesia

vevenpatient72@gmail.com

&

Achmad Ja'far SODİK

Bengkulu University /Indonesia

طريقة الترجمة الحرفية في فهم الكتب العربية

الملخص

طريقة الترجمة الحرفية في فهم الكتب العربية مهمة جدا وخاصة لكشف نظام اللغتين, و تعريف الشبه والاختلاف. والهدف من هذا البحث هو أن يعبر عن طريقة الترجمة الحرفية في فهم الكتب العربية من خلال هدف الطريقة، والمزايا، والنقائص. والنتائج في هذا البحث هي أن هذه الطريقة الترجمة الحرفية في فهم الكتب العربية لها المزايا والنقائص. وأما المزايا فهي تسهل المترجم لفهم الكتب العربية لأن طريقة الترجمة الحرفية استبدال كلمة بكلمة أخرى مقابلة في لغة ثانية. وتراعي في النصوص محاكاة الأصل في عدد كلماتها ونظمها وترتيبها. وتخفى المعنى المراد من الأصل بسبب اختلاف اللغتين وطبيعتها في استعمال الكلام للمعاني المرادة. والنقائص منها تؤدي إلى تغيير المعنى وتجريدها؛ لأن كل اللغة لها خصائص لا يمكن ترجمتها. وتكون المعنى مستحيلا لعدم تشابه البنية اللغوية. وتظل ناقصة وسيئة للغاية وقد تكون سببا في تخريب اللغة وفسادها.

Abstract

Literal translation method in understanding Arabic books is very important, especially for the detection of language systems, definitions of similarities and differences. The aims of this study are to express literal translation methods in understanding Arabic books through the purpose of methods, advantages, and disadvantages. The results of this study shows that literal translation methods in understanding Arabic books have advantages and disadvantages. The advantages of this method include making easier for translators to understand Arabic books because the literal translation method replaces other words with the others in the target language, figuring out the original texts of the number of words, systems and their structures. In edition, it can hide its original meaning because of differences in language and its nature in the use of speech for the intended meaning. The disadvantage of the literal translation method is that it can cause displaces meaning of the intended word because each language has untranslatable properties. It causes difficulties in the meaning of the word in question because there is no similarity in the structures of the language. It causes damage to language because of poor in target language.

Keywords: Method, Translate, Literal, understanding, Arabic Books

كما كنا على سبيل المعرفة بأن الترجمة أمر هام للغاية في تبادل العلوم والمعارف والحضارة، ولا سيما في عصر تدويل الحياة الإعلامية والإقتصادية والسياسة كيومنا هذا، وقال منصور و كوستياوان (2002: 5) إن نشاط الترجمة تجري من سريع إلى أسرع ومن كثير إلى أكثر. وكذلك قاله قادر (1979: 60) إن تحسين الترجمة متعلق باستخدام الطريقة، لأنها هي الأسلوب الذي يستخدمه المترجم في معالجة نشاط ومشكلات الترجمة لتحقيق الوصول إلى اللغة المقصودة بأيسر السبل وأقل الوقت.

وإذا كانت الترجمة بغير استخدام الطريقة فالمترجم يجد المشكلات الأساسية التي لا تصح في ترجمة النصوص العربية إلى النصوص الإندونيسية، لأن أركان النص العربي أربعة وهي الفصاحة و البلاغة و البيان و الإعراب كما قاله مبارك (264). فالفصاحة تعنى الوضوح و الصفاء، و البلاغة يراد بها بلوغ نفسية القارئ أو السامع للتأثير عليه و الوضوح في تبليغ المعنى إليه. و يميز بعض العلماء بينهما جاعلين البلاغة في المعاني، و الفصاحة في الألفاظ و أما البيان ثالثهما و أهمهما و يجمع بينهما إنه قمة الوضوح مع الإلتقان و حسن استخراج المعنى و إحكام المبنى. أما الإعراب فيه يتضح من النص القصد وتتجلى عناصر معناه بتبيين كيفية تراطب مكونات مبناه.

إضافة إلى ذلك، يرى الباحثان أنّ طريقة الترجمة الحرفية في فهم الكتب العربية مهمة جدا لكشف نظام اللغتين، و تعريف الشبه والاختلاف عنهما، والبحث في الجملة وهي إحدى مواد النحو. ولا شك أنّ طريقة الترجمة الحرفية مستخدمة في تعمق نصوص العربية مثل النشرات والمجلات والجرائد وخاصة في تعمق الكتب العربية لأنها من مصادر العلوم الدينية.

وانطلاقا مما سبق، فإن الباحثان يريدان أن يبحثا عن هذا الموضوع "طريقة الترجمة الحرفية في فهم

الكتب العربية"

مفهوم طريقة الترجمة الحرفية

وقبل أن يبحث الباحثان في هذا البحث، يقدمان مفاهيم المصطلحات من كلمة الطريقة والترجمة. وعند إبراهيم (د.س : 31) بأن تعريف الترجمة هي التخطيطية الشاملة التي تتعلق بالترجمة ولا تعارض مع اتجاه الفكر. وكذلك قاله أمم (1975:92) إن الترجمة هي الوسيلة التي يتبعها المترجم لفهم النصوص العربية إلى النصوص الإندونيسية. وقال أبرشى (195: 376) إن الترجمة هي الأسلوب الذي يستخدمه المترجم في معالجة نشاط الترجمة لتحقيق الوصول من لغة الأصل إلى لغة النقل بأيسر السبل وأقل الوقت. و أما الترجمة عند ابن بردة هي محاولة نقل الفكرة من اللغة المترجمة عنها (لغة الأصل) إلى اللغة المترجمة إليها (لغة النقل). والترجمة الحرفية عند أحمد هي استبدال كلمة بكلمة أخرى مقابلة لها لافى لغة ثانية.

ومن هذا البيان السابق يستطيع الباحثان أن يستنبطوا أنّ طريقة الترجمة الحرفية هي الأسلوب أو الوسيلة أو السلوك أو تخطيط الشاملة التي يستعملها المترجم لتحقيق الوصول من اللغة المترجمة عنها إلى اللغة المترجمة إليها استبدال كلمة بكلمة أخرى مقابلة لها لافى لغة ثانية.

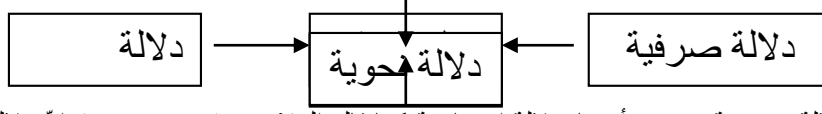
أسس الترجمة

فإن للترجمة أساسين وهما التفكير و التعبير كما قاله منصور و كوستياوان (2002: 25)، إذ أن المترجم مثل كاتب، أي أن عمله صوغ الأفكار في كلمات موجهة إلى قارئ. ومن الجدير بالذكر أنّ الترجمة تتطلب جهدا أشق من الجهد الذي يتطلبه الإنشاء أو التأليف. والمترجم يكون محصورا في كلام المؤلف وأفكاره ومعانيه.

لذا، فلا ننسى أن الترجمة كثير المزالق بالنسبة للمترجم الذي لم يتزود بثقافة واسعة شاملة، ومن جانب آخر أنّ حاجتنا إلى الترجمة أكثر من حاجتنا إلى التأليف.

عوامل الترجمة الحرفية

ينقسم هذه العوامل إلى أربع دلالات: دلالة معجمية، ودلالة صرفية، ودلالة نحوية، ودلالة بلاغية. وهذه العوامل تصوّر فيما يلي:



أولا دلالة معجمية وتسمى أيضا بدلالة اجتماعية كما قاله الغلاييني (1972: 160) إنّ دلالة معجمية توجه كل عنايتنا إليها في دراسة واستعمال اللغة، ألا وهي معاني الكلمات والمفردات. وفي دلالة معجمية لا بد على المترجم أن يختار المعجم مناسب بلغة النقل. وثانيا دلالة صرفية هي دلالة تستمد عن طريق الصيغ وبنيتها. وقال الغلاييني (1972: 214) إنّ لكل فعل أوزان نكتفي بـ 18 بابا من الأفعال الثلاثية والرابعة والخماسية والسادسية التي نجمها في 6351111 وتصرفها اللغوي والإصطلاحي ومعرفة زيادة حروفها الشائعة، مثل التعديّة والمطاوعة والمشاركة، ويجب على المترجم الجيد أن يستعيب مباحث الصرف والنحو، لأنهما من العوامل اللغوية الأساسية. وكذلك الغلاييني في كتابه (1972: 215) أنه قال إنّ أهم مباحث الصرف المعنية هي تقسيم الفعل من حيث الزمان، والصحة والعلة والتجرد والزيادة والجمود والتصريف، والتعدي واللزوم، وبنائه للفاعل أو المفعول، وتقسيم الاسم من حيث كونه مفردا أو مثنى أو جموعا، وكونه مذكرا أو مؤنثا، ونكرة ومعرفة، ومن حيث الجمود والاشقاق، وكونه منقوصا أو مقصورا، وكونه منسوبا وكونه مصغرا.

وثالثا دلالة نحوية هي أن يحتم نظام الجملة العربية ترتيبا مخصوصا لتكون الجملة التي يفهم مرادها. والنحو عند الهاشمي (د.س: 6) هو قواعد يعرف بها أحوال وأخر الكلمات. والنحو في مجال الترجمة هو النحو التطبيقي بل تطبيق النحو على مفهومه الحديث حيث لم يعد النحو قاصرا على إعراب الكلمات، وإنما امتد واتسع واشتمل العلاقة بين أواخر الكلمات وبينما تدل عليه من معنى وطريقة بناء الجملة وترتيب علاقاتها. والأهداف في دراسة النحو كما قاله عتيق (1985: 7) فيما يلي:

صون اللسان عن الخطاء، وحفظ القلم من الزلل، وتكوين عادات لغوي سليمة، وتعويد تعويد المترجم قوة الملاحظة والتفكير المنطقي المرتب. ورابعا دلالة بلاغية هي دلالة تستمد عن طريق الأساليب المتنوعة من المجاز والقصر والخارج عن مقتضى الظاهر. وتحتوى على ثلاثة علوم وهي: علم المعاني، وعلم البيان، والبديع. ويجب على المترجم معرفة عن دراسة بلاغية. ومن أهميتها: أن يعرف المترجم عن الجملة الفعلية والجملة الاسمية في علم البلاغة، والقصر: معناه، وأدواته، وترجمته، والمجاز والكناية، والاقتناس والجملة المعترضة وكذلك أنواع الخبر وغيرها.

أدوات الترجمة

وقال منصور وكوستياوان (2002: 30) إنّ من أدوات الترجمة فيما يلي:

الأولى إجادة اللغتين، قال إبراهيم زكي خورشيد: يشترط في المترجم الجيد أن يجيد اللغة المستهدفة أكثر وأكثر من اللغة الأصل، وإجاد اللغتين كما أسلفنا. إجادة أربعة دلالات، دلالة معجمية وصرفية ونحوية وبلاغية. والثانية معرفة طبيعة اللغتين وخصائصها. ومن خصائص اللغة العربية الاهتمام بالفعل (الجملة الفعلية) بالإضافة إلى الاهتمام بالجملة الاسمية، على أن اللغة الإندونيسية تهتم بالجملة الاسمية اهتماما دائما إلا في الأسلوب. والثالثة المعارف الواسعة. وعلى المترجم الجيد أن يكون واسع المعارف عن فروع المعرفة المختلفة فضلا عن تمكنه من اللغة الأجنبية. والرابعة المعاجم. هي الأداة الأخيرة من أدوات الترجمة.

أساليب الترجمة

هناك قاعدة عامة للترجمة، هي الفهم للترجمة لا الترجمة للفهم. وتتم الترجمة كما قاله منصور وكوستياوان (2002: 42) على ثلاثة مراحل:

الأولى، الإمعان في قراءة النص بصحة تحليل صيغ كلماته وتراكيبه وأنماطه ومواقع إعراب كلماته، ومعرفة معاني كلماته، وأساليبه. والثانية استيعاب الفكرة، لكي يفهم النص المراد ترجمته بعد أن يقرأ بامعان. والثالثة نقل الفكرة بلغة مستهدفة سليمة وتعابير صحيحة.

طريقة الترجمة الحرفية في فهم الكتب العربية

ومن المعروف أن الكتب العربية لها دور كبير في ترقية العلوم الإسلامية بل كونها مستقرا في إقامة صرح الحضارة والمدينة منذ ربوع البلاد الإسلامية. وكذلك في تكوين وتطوير حضارة وثقافة الأمة لأنه أوعية المعارف والمعلومات التي هي كانت من شرط تنميتها وتطورها.

وبناء على ذلك فينبغي للمترجم أن يهتم ويطلع التراث المكتوب و المدون في الكتب العربية. ويحتاج المترجم إلى اللغة العربية في فهم و تعمق الكتب العربية؛ لأنها تكتب كثيرا بالعربية. فلذلك إمعان اللغة العربية امر مهم و ضروري للمترجم الذي يريد فهم و تعمقها، ولكن قد عرف الباحثان: أن تعلم اللغة الأجنبية ليس بالأمر السهل أو الهين لكنها مع البحث والدراسة أمكن الوصول إلى عدة طرق في وقت قصر وبجهد. وقال إبراهيم (د.س : 31) إن نجاح الترجمة يرتبط ويتعلق بالطرق المستخدمة. ومن هنا ينبغي للمترجم أن ينصف أن ترجمة الكتب العربية هي ليست بالأمر السهل ولكنها تحتاج إلى الإهتمام بطريقة مناسبة.

وعندما رأى الكاتب في الواقع أن المعهد الإسلامي لا يزال مستخدما النظام التقليدي والطريقة التقليدية في ترجمة الكتب العربية، ومن المعلوم أن ما يراد به هو طريقة الترجمة الحرفية لأن هذه الطريقة من أنسب وأصلح طرق الترجمة في فهم الكتب العربية.

وانطلقا مما سبق فيقصد الكاتب هنا الفعالية لطريقة الترجمة الحرفية في فهم الكتب العربية. وفي هذه الفعاليات تنقسم على مبحثين: الفعالية من ناحية أهدافها والفعالية من ناحية تقويمها.

الفعالية من ناحية أهدافها

قال طعيمة إن لكل نشاط الترجمة أهداف معينة. وللوصول إلى الهدف المراد نحتاج إلى الطريقة المناسبة. فطريقة الترجمة الحرفية هي مناسبة في فهم الكتب العربية بل هي أنسب وأصلح طرق الترجمة في فهم الكتب العربية. والهدف من هذه الطريقة هنا تركز على اعتبار معنى كل المفردات في موضعها. وفي هذه الطريقة فيقوم المترجم بحفظ واسترجاع القواعد النحوية والتراكيب الأبنية ونقاس المفردات اللغوية معادلة. وبعبارة أخرى أن هذه الطريقة أداة إلى إخفاء المعنى المراد من الأصل بسبب اختلاف اللغتين وطبيعتهما في استعمال الكلام للمعاني المرادة استحسانا.

ومن هنا يجدر الكاتب أن يراجع إلى أن الأهداف الرئيسية في فهم الكتب العربية هي تمكين المترجم من الاتصال بمصادر الثقافة العربية. للوصول إلى ذلك يجب على كل المترجم أن يلم بطريقة الترجمة الحرفية. وإذا كان المطلوب كذلك فالإلمام بها هناك أمر مهم و ضروري له. ولكل الأمر هناك لا يقتصر على الإلمام بطريقة الترجمة الحرفية فقط. بل يجب على كل المترجم أن يعترف خصائص اللغة العربية بالمقارنة إليها ويفهمها باللغة الهدف يعني بوسيلة الترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الإندونيسية. وذلك لم يتحقق إلا باستخدام طريقة الترجمة الحرفية، لأن هذه الطريقة هي أقرب طرق الترجمة للمترجم في فهم الكتب العربية. وعند حافظ (1412: 14) إن الهدف من طريقة الترجمة الحرفية هو تخريج المترجم المثقف ثقافة أدبية عالية وذوي قدرات عقلية مدربة على حفظ النصوص العربية وعلى الاستنباط المنطقي للنصوص التي تحويها الكتب المقررة الحافلة بكنوز ثقافة اللغة العربية.

واعتمادا على البيان أو الشرح السابق يريد الباحثان أن يؤكد أيضا أن طريقة الترجمة الحرفية لها دور عظيم في فهم الكتب العربية قديمة كانت حديثة. لا طريقة أصلح و أنسب في فهمها إلا بطريقة الترجمة الحرفية لأنها أقرب للمترجم لتحقيق الهدف المراد يعني لفهم الكتب العربية.

الفعالية من ناحية تقويمها

قبل أن يقدم الباحثان لتقييم هذه الطريقة سيعرض المزايا والنقائص كما قاله منصور و كوستياوان (2002: 21). ومن مزايا هذه الطريقة فيما يلي :

الأولى أنها تسهل المترجم لفهم الكتب العربية لأن طريقة الترجمة الحرفية استبدال كلمة بكلمة أخرى مقابلة في لغة ثانية. والثانية أنها تراعي في النصوص محاكاة الأصل في عدد كلماتها ونظمها وترتيبها. والثالثة أنها تخفي المعنى المراد من الأصل بسبب اختلاف اللغتين وطبيعتها في استعمال الكلام للمعاني المرادة.

وأما نقائص هذه الطريقة فهي كما يلي :

الأولى أنها تؤدي إلى تغيير المعنى وتجريدها لأن كل اللغة لها خصائص لا يمكن ترجمتها. والثانية أنها تكون المعنى مستحيلا لعدم تشابه البنية اللغوية والثالثة أنها تظل ناقصة وسيئة للغاية وقد تكون سببا في تخريب اللغة وافسادها.

وبعد التأمل والنظر إلى البيان السابق قد عرف الباحثان أن لكل طرق الترجمة مزايا ونقائص، وتلك المزايا والنقائص التي كانت في طريقة الترجمة الحرفية تمكن المترجم أن يحسن ترجمته؛ لأن الترجمة الحرفية تطلق العالجة في ضعف وصعوبته في فهم الكتب العربية.

معروفا أن هذه الطريقة نقائص لاسيما عندما أراد المترجم أن يترجم النصوص العربية. ويجد المفردات ليست في لغة المستهدفة، ولذلك المترجم أن تراعي المفردات حتى لا يزال في فهمها. ولا بد عليه أن يملك المعارف المكافئة والثقافة من لغة الأصل ونجاح تعليق المعنى بغيره مطابق بالمعارف وتراكم لغة الأصل.


ومن جهة أخرى لا بد على المترجم أن يعالج كل المشكلات في الترجمة لأن تطبيق الترجمة يحتاج حل المشكلات حتى يكون الترجمة ناجحة باهرة لا يتمكن عن المزالق.

الخلاصة

استخلص الباحثان في هذا البحث هو إن طريقة الترجمة الحرفية هي طريقة الترجمة الحرفية هي الأسلوب أو الوسيلة أو السلوك أو تخطيط الشاملة التي يستعملها المترجم لتحقيق الوصول من اللغة المترجمة عنها إلى اللغة المترجمة إليها استبدال كلمة بكلمة أخرى مقابلة لها لافى لغة ثانية. و في هذه الطريقة المزايا والنقائص. وعلى المترجم أن يحسن ترجمته؛ لأن الترجمة الحرفية تطلق العالجة في ضعف وصعوبته في فهم الكتب العربية.

المراجع

- عبد القادر، محمد، *طرق التعليم اللغة العربية*، القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 1979
- المبارك، محمد، *فقه اللغة و خصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصلية في التجديد والوليد*، دمشق : دار الفكر، بلا عام
- إبراهيم، عبد العليم، *الموجه الفني لمدرس اللغة العربية*، مصر: دار المعارف، بدون السنة
- الأبراشي، محمد عطية، *روح التربية والتعليم*، القاهرة: دار الإحياء العربية، 1950.
- أحمد، محمد عبد القادر، *طرق التعليم اللغة العربية*، القاهرة: مكتبة النهضة للمصرية، 1979.
- الغلاييني، مصطفى، *جامع الدروس*، بيروت : المكتبة العصرية، 1972.
- الهاشمي، أحمد، *القواعد الأساسية للغة العربية*، جاكرتا : ديناميكيا بركة أو تما، بلا سنة،
- عتيق، عبد العزيز، *علم البيان*، بيروت : دار النهضة العربية، 1985
- طعيمة، رشيد أحمد، *تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهجه وأساليبه*، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية العلوم والثقافة الرباط، 1989.
- عبد الحافظ، محمود الفراج، *مذكرة الدورات التربوية*، جاكرتا: جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية معهد العلوم الإسلامية والعربية في إندونيسيا، 1412.
- Burdah, Ibnu, *Menjadi Penerjemah Metode Dan Wawasan Menerjemah Arab*, (Yogyakarta : Tiara Wacana, 2004)
- Kustiawan, Mansyur, *دليل الكاتب والمترجم* (Jakarta: PT Moro Segoro Agung, 2002)
- Umam, Chatib, *Pedoman Pengajaran Bahasa Arab Pada Perguruan Tinggi Agama/IAIN*, (Jakarta: Depag RI, 1975)



ijar studies

International Journal of Academic Researchs Studies Year:1, Number:1, December 2018, s.58-75

Article Arrival Date/ Yayın Geliş Tarihi
10.09 2018

The Publication Date/Yayınlanma Tarihi
23.12.2018

Dr. Fawzya Saidahmed Taha ELSAYED
Open University/Khartoum-Sudan
bakara2023@gmail.com

الجريمة فى القانون السودانى

الملخص :

الجريمة هى العنف والتهديد بإستخدام القوة القاتلة ضد الأشخاص وممتلكاتهم،و ضد الدول وإستقرارها فى وقت السلم . لقد جاءت أهداف الدراسة لمعالجة أحد المشكلات التى تؤرق المجتمع الدولى للوصول للأسباب الحقيقية التى أدت لإنتشار ظاهرة الجريمة التى تناولها المشرع السودانى . جاءت مشكلة الدراسة فى كيفية مكافحة الجريمة ، والجريمة الساسية خاصة ، حتى لا تسيئ العلاقات الدبلوماسية بين البلدان . تكمن أهمية هذه الدراسة على الوقوف على الآليات القانونية . التى جاء بها القانون السودانى لمكافحة الجريمة والوقاية منها ، والجهود الوطنية والتعاون الدولى للتصدى للجريمة . التى لها علاقة مباشرة بالجريمة المنظمة . ذلك بالبحث فى المواجهة القانونية لجرائم الإرهاب فى القانون السودانى ، من خلال أحكام قانون مكافحة الإرهاب لسنة 2001 ، قانون تمويل الإرهاب لسنة 2014.

الكلمات المفتاحية :-

الجرائم -الجريمة المنظمة - القانون السودانى- التعاون الدولى -الجهود الوطنية

The Crime in Sudanese Law

Summary

The Crime this violence and threat by using lethal force against people, their property against states and their stability in peaceful times, This study is intended to tackle a problem that disturb the international community in order to reach the real reasons which led to the spread of the Crime phenomenon that has been addressed by the Sudanese legislator. Therefore, the problem of study is how to combat, the Crime especially political terrorism, so as not to disturb the relations between countries.

The Importance of this study is to identify the legal mechanisms provided by the Sudanese Law to combat and prevent this crimes, besides, the national and international efforts to fight terrorist crimes, Which have a direct relation to the organized crime. by searching in the legal confrontation of such crimes in Sudanese law, through the provisions of the Terrorism Act of 2001 and the Terrorism Financing Act of 2014.

Key words: The Crimes, Organized Crime, Sudanese Law, International Cooperation, National Efforts

أولاً: التعريف بالموضوع

تعتبر الجريمة خطراً جسيماً يواجه الحضارة الإنسانية قاطعة أوصال الود والإخوة الإنسانية ، مهدد المجتمع الدولى بالتمديد ، وأن جهود الكتاب والمهمومين بقضايا الأمن والسلم الدوليين مازالت مستمرة فى تحليل أسباب الجريمة . فانتشار ظاهرت الجريمة من القطرية إلى الإقليمية تعتبر من أخطر الجرائم التى تهدد المجتمع بأسره ، حتى أصبحت ظاهرة دولية تشغل العالم وتهدد أمنه واستقراره . و إن ضرورة إبراز مضمون الالتزام الدولى باحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية من مضمون المعاهدات والمواثيق الدولية وهو من أهم المفاهيم السائدة للعدالة لدى الأمم المتحدة، والعدالة الجنائية والعدالة الانتقالية . ثم فإننا قد نجد أنفسنا أمام معادلة صعبة فى الوقت الذى تسعى فيه المجتمعات للمصالحة والعفو نتيجة لظروف تمر بها حيث ترى أن من مصلحتها حماية المجتمع من الفوضى والشعور بعدم الأمان.

ثانياً: أهمية البحث:

- تعد ظاهرة الجريمة أكبر خطر يستهدف أمن الأفراد وممتلكاتهم فضلاً عن أنها تستهدف أمن الدولة وإستقرارها .
- يعالج أحد المشكلات التى تؤرق المجتمع ، الدولى والتى تشكل تهديداً صارخاً للسلم والأمن الدوليين ، والتى لها علاقة مباشرة بالجريمة المنظمة ، مثل جريمة غسيل الأموال ، وتمويل الإرهاب .
- يساهم فى المواجهة القانونية للجريمة فى القانون السودانى ، من خلال أحكام قانون مكافحة الجريمة .

أهداف البحث :

- دراسة الأسباب الحقيقية التى أدت إلى إنتشار الجريمة ، من خلال التطرق إلى العوامل المسببة لها .

_ بيان صور جرائم التى تناولها المشرع السودانى.

- الوقوف على الآليات القانونية التى جاء بها القانون السودانى لمكافحة الجرائم الوقائية . والضمانات المتعلقة بالعقوبة وغيرها من المبادئ التى وضعت لحفظ حق الإنسان من الانتهاكات التى تقع على حقوقه . من الجرائم اللاإنسانية وهى الجرائم ذات الطابع الدولى كالإبادة الجماعية والفساد والإرهاب والحروب وظاهرة الإفلات من العقاب ومن ثم، فإن تناول هذا الموضوع بأبعاده المختلفة، وبصفة خاصة، موضوع الجريمة ضد الإنسانية يمكن النظر إليها من جهات نظر مختلفة . بإستعراض الجهود الوطنية للتصدى للجريمة، من خلال إبراز دور المؤسسات والمجتمع المدنى فى التصدى لظاهرت الجريمة.

ثالثاً : مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث فى التساؤلات التى أوردها على النحو التالى :-

1. يجب وضع الحلول الممكنة أو المطالبة بإعادة تقسيم السياسات الجنائية بظاهرة الجريمة..
2. ماهى حقوق الأشخاص الذين يرتكبون الجرائم الخطيرة ضد الإنسانية. وما موقف القانون الجنائى السودانى ؟
4. عدم الإلمام بالاعتراف القانونى لحقوق جميع البشر فى السودان خصوصاً أولئك الذين ينتمون إلى أكثر الجماعات المتفرقة والذين يتعرضون للإنتهاكات الوحشية وخاصة من الإرهاب والجريمة المنظمة فالباحث يتساءل ما موقف القانون أو الدستور السودانى على كفالة حق الانسان بالأمن ؟

خامسا : منهج الدراسة:

تتطلب طبيعة الدراسة وتعدد مجالاتها نقد اقتضى ذلك استخدام عدد من المناهج العلمية أوجزها فيما يلى:-

1. المنهج الوصفى... وهو منهج يقوم على وصف الظاهرة أو المشكلة موضوع الدراسة من جوانبها المختلفة ، ثم تحليل المعلومات المتعلقة بها والمتغيرات المؤثرة فيها .

2. المنهج الوثائقي ... وكما يطلق عليه اصطلاحاً المنهج التاريخي، حيث أسندت هذه الدراسة على عدد من النصوص الدستورية القانونية (التشريعية). الصادرة عن الجهات المختصة والتي نظمت عملية الجريمة وفقاً لما هو متعارف عليه في النظم الجنائية المعاصرة (المقارنة) على الرغم من الاختلافات في الروى التي تنطلق منها تلك الأفكار القانونية لمعنى الجريمة ومخاطرتها .

يأمل الباحث لذلك أن يكون اختياره لهذا الموضوع إسهاماً في الحد من صور الاعتداء على حق كل إنسان وانتهاكها.

سابعاً : خطة البحث

تم تقسيم الدراسة على الشكل التالى :-

المبحث الاول : الجريمة وأثرها على المجتمع .

المبحث الثانى : صور الجريمة فى القانون السودانى .

المبحث الثالث : الآليات القانونية لمكافحة الجريمة والوقاية منها . .

المبحث الرابع : (استنتاجات الدراسة) .

أولاً : نتائج الدراسة .

ثانياً : توصيات الدراسة

المبحث الأول

الجريمة

وأثرها على المجتمع

تعتبر الجريمة خطراً حقيقياً يواجه الحضارة الإنسانية والمجتمع البشرى بأجمعه ، وأن الأنشطة الإجرامية أصبحت تمارس على نطاق واسع عبر الزمان والمكان ، كما أن خطورة الجريمة تزداد أيضاً بالنظر إلى الأعداد الكبيرة للمنظمات الإرهابية والتي أصبحت تمارس العنف غير الإخلاقى وغير المبرورالتي تستخدم أسلحة ومعدات حديثة كما تزداد خطورتها أيضاً فى إمتلاكها بعض الأسلحة غير التقليدية وينطبق ذات الأمر على الدول التى تمارس عمليات إجرامية فى الدولة على نطاق واسع وشرعيتها من . وعليه سوف نطرق فى هذا البحث والذى تكمن حدوده فى أنه يتناول مفهوم الجريمة وتعريفها وأسبابها حيث أنها مشكلة عالمية وعلاقتها بالمنظمات الإرهابية فى المطالب الآتية:-

المطلب الأول : الجريمة

وأسبابها

يرى بعض العلماء المتخصصين أن وضع تعريف محدد للجريمة هو أمر مستبعد ،ذلك لأن الجريمة تعتبر أحد الظواهر الإجتماعية المختلفة الأبعاد حيث يختلط فيها العنصر النفسى بالعنصر الإجتماعى والثقافى والتاريخى والأمنى والسياسى ، وهذه العناصر تتميز بالغموض وتختلط فيها الطبائع البشرية مع غيرها من الأمزجة الأخرى .

فتناول هذا الموضوع وفقا لوضع السودان يساعد كثيرا فى اقرار نوعا من التوازن فى حل القضايا ذات الطابع الاجرامى الذى يمكن أن يظهر أثر النزاعات المسلحة الداخلية وإستخدام التهديد والقوة. ولذلك نجد أن هذا البحث يعالج مسألة الجريمة فى جوانبها القانونية والتشريعية والسياسية والاخلاقية .

فالجريمة هى ثقافة وفكر لدى جماعة أو قطاع من البشر يؤمنون بأنه لا سبيل للوصول إلى أهدافهم إلا من خلال سلوك طريق العنف والترويع فى مواجهة مرتكبي جرائم وانتهاكات حقوق الانسان . إذا ماهى الجريمة ؟؟ .

الفرع الأول : تعريف الجريمة

نص القانون الجنائى السودانى لسنة 1991م : الجريمة هى كل فعل أو امتناع عن فعل نص عليه القانون

فالجريمة هى ظاهره قديمة قدم الإنسان نفسه ، فهى ظاهره عرفها المجتمع البشرى وهى أول جريمة وقعت فى الأرض بين قابيل وهابيل وذلك منذ قرون بعيدة ولكن الأمر الذى يثير القلق هو تلك الأبعاد الخطيرة التى إتخذتها الظاهره منذ بداية

القرن العشرين وحتى الآن ، وقد تم تنفيذ آلاف العمليات الإجرامية ، وبذلك أصبحت الجريمة تؤرق المجتمع الدولى بأسره . وسوف نشير لبعض الجرائم التى أصبحت تؤرق المجتمع الدولى والتى سوف نعتبرها مثال لأخطر الجرائم وهى الجرائم ضد الإنسانية وهى العدوان والحرب والخطف والإبادة الجماعية وأكثرها الإرهاب وعلاقتها بالجريمة المنظمة .

1 - تعريف الجريمة إصطلاحا :

الجريمة هى كلمة تدل على الرهبة والخوف والفرع بإستخدام التهديد والقوة المسلحة القاتلة ضد الأشخاص وضد الممتلكات فى وقت السلم من أجل إكراه طرف ثالث على تلبية مايطمع به ولخلق جو من أجل الرعبة والرهبة .

أ/عبد الله داود سالم بلال عالم ، يانير 2010 م ، مكافحة الإرهاب بين النظرية والتطبيق ، ص13

(وهى فرنسية وتعنى الزعر أو الرهبة (Terreur) وتعنى الترويع أو الرعب وايضا كلمة (Terror)أما فى اللغة الإنجليزية) أو الرعب .

(1) إصطلاحا يعنى: التخويف بالقتل أو الخطف أو التدمير أو كل هذه الكلمات مجتمعة.

المصدر لسان العرب ، المحيط / ص1233

2- معنى الجريمة فى القرآن الكريم :-

وردت كلمة الجريمة فى القرآن الكريم فى مواضع مختلفة بمعانى مختلفة فمنها الخوف والفرع كما فى قوله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (سورة الأنفال الآية 60).

ومنها التعبد فى قوله تعالى (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِنَاءَ يَتَّبِعُوهُمَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا فَقَاتِلْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) سورة الحديد الآية (27) .

الفرع الثانى : شرعية الجرائم والعقوبات :

وأن الشرعية الجنائية تقتضى وأنه لاجريمة ولا عقوبة إلا بنص

وهى قاعدة أساسية فى المجال الجنائى ، وهى قاعدة تحمى الفرد من خطورت التجريم والعقاب بغير تشريع صادر عن السلطة التشريعية المعيرة عن إرادة الشعب وسيادته ، ولذلك نص قانون الإجراءات الجنائية لسنة 1991م فى المادة (4) (د) على أن يحظر الإعتداء على نفس المتهم :-

الجريمة فى القانون السودانى

فنصت المادة (43)(2) منه على أنه (لايجوز لسلطات التحرى أوأى شخص آخر التأثير على أى من طرف التحرى بالإغراء أو الإكراه أو الأذى لحمله على الأذلاء بأى أقوال أو معلومات أو إمتناع عن ذلك) ثم جاءت المادة (83) من ذلك القانون لتضع أهم المبادئ المتعلقة بالكرامة الإنسانية والانسان فمنها :-

يعامل المقبوض عليه بما يحفظ كرامة الإنسان ولايجوز إيذاؤه بدنيا أو معنويا وتوفر له الرعاية الطبية المناسبة ، كما نصت أيضاً على عدة مبادئ من اجل حفاظ الإنسانية وهى من حقوق المتهم الدستورية .

كما نصت المادة (41) لسنة 1971 م من الدستور المصرى على أن : (الحرية الشخصية حق طبيعى ، وهى مصونة لا تمس ، وفيما عدا حالة التلبس ، لايجوز القبض على أحد أو تفتيشه أو حبسه أو تقييد حريته بأى قيد أو منعه من التنقل إلا بأمر تستلزمه ضرورة التحقيق وصيانة أمن المجتمع) وأن لاجريمة ولا عقوبة إلا بقانون تفرضها المادة السابقة وهذه المادة كما ذكرنا أنها تقر أن الحرية الشخصية حق طبيعى مصون بالحماية الدستورية والجنائية . ولذلك ربطة بين شرعية الجرائم والعقوبات وضمن حماية الحرية الشخصية ، ويترتب على هذا الربط عدة نتائج تتمثل فى وجوب صدور نصوص التجريم والعقاب من السلطة المختصة ، وأن تحدد الأفعال المجرمة مسبقا وبصورة قاطعة ، وأن يكون لكل جريمة ركن مادى لا تقوم بغيره ، وضرورة التناسب فى الجرائم والعقوبات ، وقيام المسؤولية الجنائية على الشخصية ، وعدم رجعية قانون العقوبات .

أولا : احترام مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات :

ويقتضى هذا المبدأ وجوب صدور نصوص التجريم والعقاب من السلطة التشريعية .

وينص الدستور السودانى على أنه (لاجريمة ولا عقوبة إلا بنص) وتنص المادة أن التشريع هو الذى ينص بذلك والذى تختص به السلطة التشريعية ، وعلى ذلك لايجوز إنشاء جريمة ولا تقرير عقوبة إلا بتشريع تقرر هذه السلطة ، ولذلك ولا بد من التحديد والتدقيق للأفعال المجرمة .

ثانيا : شخصية المسؤولية الجنائية

تعد الجريمة مخالفة لأوامر المشرع ، لذا تقضى قواعد العدالة أن يعاقب من إقترفها . لهذا أكدت المدادة بنصها(لاجريمة ولا عقوبة إلا بنص) وهذا ما يؤكد مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات ، بأن تكون العقوبة شخصية لمن إقترفها.

أ.د. يس عمر يوسف ، 2007/ ، 238

د. محمود الليدى ، 2010 ، 447

ثالثا : الجرائم الإرهابية

الجرائم الإرهابية يقصد بها كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذا لمشروع اجرامى فردى أو جماعى ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالأموال العامة أو الخاصة أو بأحد المرافق أو الممتلكات العامة أو الخاصة أو إحتلالها أو الإستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الإستراتيجية القومية للخطر .

يرى الباحث : أن الجرائم الإرهابية فى القانون السودانى ترتكز على عنصرين أساسيين هما:-

العنصر المادى :

وهو فعل العنف أو التهديد أيا كانت بواعثه أو أغراضه .

العنصر المعنوى :

وهو ان يهدف الجانى إلى إلقاء الرعب بين الناس وترويعهم والإخلال بالأمن .

المادة (2) من قانون مكافحة الجرائم الإرهابية من القانون السودانى لسنة 2001

المطلب الثانى : الجريمة المنظمة

الجريمة المنظمة تتماثل مع الجريمة الإرهابية لأن كل منهما بمثابة تعبير عن عنف منظم تقوده جماعات ومنظمات ذات قدرات وإمكانيات تنظيمية مثيرة تخطط لأعمالها بسرية تامة وتنفذ عملياتها فى معظم الأحيان بدقة متناهية . كما تتماثل مع الإرهاب فى بعض الأساليب التى تتبعها تلك المنظمات الإجرامية لتحقيق أهدافها حيث عادة ماتعتمد تلك المنظمات على إحداث حالة من الذعر والخوف والرهبه فى أوساط المستهدفين لتسهيل تحقيق أهدافها ، هذا فضلا عن إمكانية قيام تعاون بين المنظمات الإجرامية والمنظمات الإرهابية ، وقد يصل هذا التعاون إلى درجة كبيرة من التنسيق لتحقيق أهداف كل منهما . لذلك سوف نشير لتعريف الجريمة المنظمة وعلاقتها بالجريمة لإرهابية.

الفرع الأول : تعريف الجريمة المنظمة أو الجريمة عبر الوطنية وعلاقتها بالجريمة لإرهابية :

عرفت الجريمة عبر الوطنية فى مؤتمر الأمم المتحدة الخامس لمكافحة الجريمة ومعاملة المذنبين بجنيف 1975م بأنها (أى نشاط إجرامى معقدا على نطاق واسع تنظمه مجموعات من الأشخاص على درجة عالية من التنظيم وتهدف إلى تحقيق ثراء للمشاركين فيها على حساب المجتمع وأفراده ، وهى غالبا ماتتم عن طريق الإهمال التام للقانون) وتتضمن جرائم الأشخاص وتكون مرتبطة فى بعض الأحيان بالفساد السياسى .

كما عرفتها إتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية فى نوفمبر سنة 2000م (يقصد بتعبير جماعة إجرامية جماعات ذات هيكل تنظيمى مؤلفة من ثلاثة أشخاص أو أكثر موجودة لفترة من الزمن وتعمل بصورة متضافرة بهدف إرتكاب واحدة أو أكثر من الجرائم الخطيرة أو الأفعال المجرمة وفقا لهذه الإتفاقية ومن أجل الحصول وبشكل مباشر أو غير مباشر على منفعة مالية أو منفعة مادية أخرى)

كما عرفتها الشرطة الدولية فى عام 1988م (أى فعل مروع أو إرتباط مجموعة من الأشخاص للقيام بنشاط غير قانونى مستمر بغرض توليد أرباح بصرف النظر عن الحدود الوطنية .

د. عبد الناصر حريز ، الطبعة 96، الإرهاب السياسى-القاهرة - دار الفكر العربى - ص120.

من تلك التعريفات يتضح أن الجريمة عبر الوطنية لها خصائص معينة وهى :-

- أن تقوم به مجموعة ذات هيكل تنظيمى تتكون من ثلاث أشخاص أو أكثر .

- أن يكون هدفها الأساسى هدف ربحى مادى لجلب المال.

- أن يكون نشاطها الإجرامى مستمرا مخططا له.

-أن ترتكب جريمة من الجرائم الخطيرة .

- أن تستخدم العنف فى عملها .

رأى الباحث: يرى الباحث مما تقدم أن الجريمة عبر الوطنية من أخطر الجرائم وهذا لما تستخدمه من تهديد وعنف وأساليب وحشية ضد الإنسانية والمجتمع بأكمله والوطن معا فى كل مقوماتها الإقتصادية وغيرها .

الفرع الثانى : علاقة الجريمة المنظمة بالجرائم الأخرى :

إن إتجاه الجريمة بصفة عامة إلى مرحلة التنظيم أدى إلى بروزها كنموذج من نماذج ظاهرة الإرهاب الدولى وخاصة ذات الطابع السياسى ، ويتضح من ذلك أن الجريمة المنظمة وجه من أوجه الإرهاب الدولى وذلك فضلا عن كونه أحد أدوات تمويل بعض المنظمات الإرهابية وأحد أشكال تنفيذ بعض العلمليات .

د. عبد الناصر حريز - نفس المرجع السابق - نفس الصفحة

ولقد عرف القانون السودانى الجريمة الإرهابية من قانون مكافحة الإرهاب بالآتى (يقصد بها أى فعل أو الشروع فيه يرتكب تنفيذا لقصد إرهابى ويشمل الأفعال والجرائم الإرهابية المنصوص عليها فى الإتفاقيات التى وقعت عليها حكومة السودان وصادق عليها وفق أحكام الدستور عدا ما تم استيفاءه أو التحفظ عليه .

ومن هذا التعريف نجد أن هناك بعض الخصائص التى تختص بها الجريمة الإرهابية :-

المادة (2) من قانون مكافحة الإرهاب من القانون السودانى لسنة 2001م

- إن المنظمات الإرهابية تهدف إلى تحقيق مطالب سياسية عكس الجريمة عبر الوطنية التى هدفها الأساسى مادية كما ذكرنا سابقاً .

- الجريمة الإرهابية يمكن أن تقع من شخص واحد ويمكن أن ينتهى عهدها بمجرد اتمامها دون الجريمة عبر الوطنية التى من صفتها الإستمرارية .

-تتعرض المنظمات الإرهابية وصف مايقومون به بإعتباره جرائم وقد يقومون فى كثير من الأحيان بعد ارتكابهم جرائم بالإعلان عن مسئوليتهم وإصدار تصريحات سياسية ويعتمدون على وسائل الإعلام لتفسير أفعالهم وعملياتهم عكس الجريمة عبر الوطنية التى تحافظ على سريتها .

المبحث الثانى

صور الجريمة

إن الجريمة كلمة مبنية لها معنى ذو صور متعددة يجمعها الإخافة والترؤيع للأمنين ، وقد تجاوزت الإخافة والترؤيع إلى إزهاق الأنفس البرينة - وإتلاف الأموال المعصومة أو نهبها ، وهناك الأعراض المصونة ، وشق عصا الجماعة ومن ثم تغيير النعم لتحل محلها الفتن والنقم ويظهر الفساد فى الأرض وتعم الفوضى وعدم الشعور بالأمان وتهب على خلق شبحة المخيف ومن هذا سوف نشير فى هذا المبحث لصور الجريمة المتعددة وأثرها على الأفراد ثم نشير لصور الجريمة فى القانون السودانى فى المطالب الآتية :-

المطلب الأول " : الجريمة وأثرها على الافراد

إن قضية ارتكاب الجريمة أصبحت من أهم القضايا التى أثاره قلق الاوساط العربية والدولية وذلك من الأثار السيئة التى تخلفها على أفراد الأمة ومجتمعاتها وأمنها وإيمانها والدولة .ولذلك سوف نشير لتلك الأثار من خلال تحديد عناصر الجريمة وصورها وذلك لماتتركه من أثار سلبية سيئة على الأفراد والمجتمع بأثره ثم نشير للعمل الإجرامى وانماطه . فى الفروع الآتية :

الفرع الأول : عناصر العمل الإجرامى :-

أن الجريمة الإرهابية عبارته عن عملية رعب تتكون من ثلاثة عناصر وهى : فعل العنف والخوف ، أو التهديد التى تصيب المجتمع بسبب الفعل الناجم عن أقصى درجات الخوف الذى أصاب الضحايا المحتملة ، واخيراً التأثيرات التى

تصيب المجتمع بسبب العنف أو التهديد بإستخدامه نتاج الخوف . إذا ماهى أهم عناصر الجريمة ؟

د. عيد الله دلاى - مكافحة الإرهاب بين النظرية والتطبيق - ، مرجع سابق ، ص67

وتتمثل العناصر الإجرامية بالآتية :-

- العنصر المفترض :- يتمثل فى وجود مشروع إجرامى بمعنى وجود عزم على ارتكاب جرائم معينة ، ويلاحظ أن هذا العزم فى حد ذاته بإعتباره مرحلة من مراحل الجريمة لا تتجاوز التفكير ، كما يجوز ان تكون من الجرائم التى تقع على المصلحة العامة ، أو الجرائم التى تقع على الأفراد فالقصد لهذه الجريمة أن تكون موضوع المشروع الإجرامى ، أو المصمم عليها من الفاعل من الجرائم الضارة بأمن الحكومة كما قد تكون الجريمة المصمم على ارتكابها مشروعاً إجرامياً من الأشخاص أياً كان عددهم .

د. محمد محمود سعيد ، 9951 ، جرائم الإرهاب جامعة حلب سابقاً - ص18

-العنصر المادى : هو كل إستخدام القوة أو العنف أو التهديد أو الترؤيع كما ذكرنا سابقاً

- الإخلال بالنظام العام وذلك خلال الباعث على مفارقة العمل وتعريض سلامة المجتمع للخطر وأيضا تعريض أمن المجتمع للخطر وهو الأمن العام بوجود المظاهرات والتجمعات الغير قانونية.

الخلاصة : العمل الإجرامى : يعد كل فعل يبدأ بتنفيذ الجريمة ، ويقترفه الفاعل بهدف الإخلال بالنظام أو تعريضه للخطر متى كان من شأن هذا الفعل إثارة الرعب بين الأفراد أو المساس بحقوقهم العامة أو تعريضها للخطر ، أو كان من شأنه الإضرار بالبيئة أو الأموال أو الإعتداء على الأملاك أو الإنتفاع بها ، أو إعاقة أداء السلطات العامة ، أو دور العبادة أو أعمال معاهد العلم ، أو تعطيل تطبيق القانون فمن خلال عناصر العمل الإجرامى والجمع بين هذه الأمور جميعا يسهل تحديد الفاصل الذى يميز العمل الإرهابى عن غيره من الأعمال الأخرى .

الفرع الثانى : العمل الإجرامى وأنماط الجريمة :-

تتعدد أنماط الجريمة ويتباين مداها ونطاقها وأطراف والفاعلين والطبيعة والأهداف ومع هذا التعدد والتنوع تبرز صعوبة محاولة الإحاطة بكافة صور الجريمة وأنماطه إلا أنه ثمة معايير رئيسية يمكن إبرازها وذكرها ، وعلى أساسها يمكن التمييز :-

د.سر أنور على ، الطبعة 1996 ، الإرهاب بين التجريم والمرض ، جامعة الإسكندرية ، ص308

أولاً:- الإنماط الرئيسية للجريمة.الإجرام شاعت ممارسته فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، حيث كان يقوم على حركات فوضوية أساسها هدم ركائز ودعائم الدولة ، أما الثانى فهو الإجرام الذى نعيشه ونتعايشه فى الوقت الحالى ويشمل معظم الحركات الإجرامية فى القرن الحالى وهذا النمط يعود إلى حوالى عشرين أو ثلاثون سنة ، ويتميز بالطابع الجماعى أكثر منه الصفة الفردية .

معيار الفاعلين : نميز طبقا لهذا المعيار بين الإجرام الفردى سواء قاموا به بمفردهم أو مع جماعة منظمة ويوجه هذا الإجرام ضد نظام قائم أو ضد دولة معينة . أما إجرام الدولة هو الذى تقوده الدولة من خلال مجموعة الأعمال والسياسات الحكومية التى تستهدف نشر الرعب بين المواطنين ويقوم على المستوى الداخلى والخارجى .

معيار النطاق : أو النطاق الإقليمى ويقصد به ما يشملته الإجرام من ناحية اقليمية أى أن جنسية الفاعلين والمتتلين فى الجريمة من نفس الجنسية بشرط الا يكون هناك مساهمة أو دعم من خارج الدولة . وعكس الاجرام الدولى .

د. محمد محمود سعيد - جرائم الإرهاب - مرجع سابق ص18-

أما المعيار الطبيعى : فهو ذلك الإجرام الثورى الذى يسعى مرتكبه إلى إحداث تغييرات أساسية وجزرية وهو الذى يستهدف السلطة ويعمل على تغيير النظام الإجتماعى والسياسى القائم . ويقوم على النظام الرأسى مالى . أما الإجرام الإنفصال الذى يستهدف الإخلال بممارسة السيادة .

الإجرام الإنتحارى : وهو الذى يضحى الشخص بنفسه ويعتمد فيه على نمط المتفجرات ويكون ضد أهداف حيوية مثل السفارات والمطارات والقواعد العسكرية .

ومن الملاحظ وفى السنوات الأخيرة ظهر نوعان من الإجرام وهما الإجرام الفكرى وهو يستهدف محو الفكر القائم وغرس فكر جديد أو كما يسمى بالإجرام اللغوى وهذا مما يقدمه فى شكل الإتصالات والإعلام والآراء من التوعيه والمنشورات والمطبوعات وبرامج وندوات والوسائل المرئية والمسموعة . يوجد أيضا الإجرام النفسى يعنى ممارسة الضغوط على شخص ما من خلال نشر الأكاذيب والإتهامات بصورة مستمرة حتى تنهار معنويات الشخص ويفقد توازنه وعادة ما يعتمد هذا النمط على حسابات مدروسة بدقة بالغة .

ثانيا :- الأسباب الإجرامية :

د . محمد إبراهيم الطراونه-2011م ،أساليب مكافحة الإرهاب، الندوة العلمية التصدى للفكر الإرهابى والحد من

تجنيد الشباب ،الرياض ، ص10.

الجريمة فى القانون السودانى

تتعدد الأساليب والوسائل التى تلجأ إليها المجموعات الإجرامية لتحقيق أهدافها وغايتها كما تتطور تلك الأساليب وتختلف باختلاف المكان والزمان وبإختلاف الإمكانيات والقيادات ، وتتفاوت بتفاوت الأهداف والتنظيمات من حيث الحجم والتنظيم والتخطيط والدقة التى قد تتفاوت بتفاوت الأهداف والتنظيمات من حيث الحجم والتنظيم والتخطيط والدقة التى تتوفر جميعها أو بعض منها ، على أنه يمكن القول بوجود نمط عام مشترك من الأساليب الإجرامية و يرتكز بصورة أساسية على :-

-إختطاف الطائرات-إختطاف الأفراد وأخذ الرهائن -زرع المتفجرات وإلقاء القنابل.

من خلال هذه العناصر يمكن أن نستخلص أن العنصر الأخير وهو لقاء القنابل وزرع المتفجرات والذى كان له دور كبير فى انتشار الظاهرة الإجرامية فى أوساط المجتمع السودانى . التى قد يلجأ إليها المجرمين لسهولة الحصول عليه من تأثيرات نفسية وجسدية كما أنها لا تحتاج لمهارات فنية فإنها تستهدف أكبر خسائر فأصوات المتفجرات هى أكثر رعبه ورهبه وهذا من ردود الفعل من التأثير النفسى .

د-محمد إبراهيم الطراونه-، نفس المرجع السابق- ص10.

المطلب الثانى: صور الجريمة فى القانون السودانى

تستهدف الجريمة فى المقام الأول الأمن والسلم فى كافة مستوياته المحلية والإقليمية والدولية ويحول دون الإستقرار الأمنى والذى هو إستهداف الإستقرار السياسى والإقتصادى والإجتماعى والثقافى . وبذلك تعتبر الجريمة من أهم مهددات الأمن القومى ، التى تستخدم القوة والعنف أو التهديد بهما ويقصد خلق جو من الفوضى والرعب والترجيع لدى السلطات أو الجمهور مما يهدد الإستقرار السياسى وترك آثار سياسية سلبية .

ونصت المادة (2) من قانون مكافحة الجرائم الإرهابية من القانون السودانى لسنة 2001 على الآتى:- يقصد بها كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذا لمشروع إجرامى فردى أو جماعى ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترديعهم بإيدانهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالأموال العامة أو الخاصة أو بأحد المرافق أو الممتلكات العامة أو الخاصة أو إحتلالها أو الإستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الإستراتيجية القومية للخطر. ولذا سوف نشير فى هذا المطلب إلى دوافع الجريمة ثم صورها فى الفروع الآتية :-

الفرع الأول : دوافع الجريمة

تتعدد الدوافع التى تقود الفرد إلى ارتكاب الجريمة ، والظروف التى يعيش فيها والضغوط التى يتعرض لها والتى سوف نحصرها فى ثلاث جوانب وهى :

- الجوانب السيكولوجية :-

وهى لها دور فعال وخاصة عندما تتعرض لبعض الإضطرابات التى تأخذ صورة أمراض نفسية أو تقلبات نفسية حادة وقد تكون وراثية ، كما قد تكون بسبب ضغوط عصبية مفاجئة نتيجة لمواقف معينة .

-أما الجوانب المادية : وذلك عندما تنثير المزاعم بين الحاجة والإشباع وهذه الدوافع تكون من الدوافع الكامنة وراء لجوء بعض الأفراد إلى الأنشطة الإجرامية . وهناك أيضا الجوانب الوجدانية وهذه ترتبط بالإعلام عند الإعلانات التى تعمل من أجلها المنظمات الإرهابية حيث تجد تلك الحوادث الإجرامية وردود فعلها قد تكون متعاطفة ومؤيدة لقضايا المجرمين ومن ثم ينخرطون مع الإرهابيين .

وهناك دوافع على مستوى وطنى وعلى مستوى دولى وهى :-

1/ دوافع الإجرام على المستوى الوطنى : هناك بعض العوامل المساعدة على مستوى الدولة الواحدة ويكون ذلك بإختلاف الظروف التاريخية أو الجغرافية والإقتصادية والعرقية والإثنية وغيرها ويمكن إرجاع الإجرام على هذا المستوى إلى تلك العوامل الآتية وهى :

-الحرمان الإقتصادى والإجتماعى : وهذه العوامل تنحصر فى الفقر والحرمان الإقتصادى والأوضاع السيئة التى يضع فيها الشعب من المشاق والمناعب وعدم المساواة فى التعامل وعدم نشر الوعى .

- استبداد الفئآت الحاكمة : وذلك بخروج الحكام من حدود الصلاحيه الدستورية المخولة لهم واستبدالهم وطغيانهم وذلك كما حدث فى روسيا وكان الإستبداد هو الدافع الوحيد والحركى للقوى الإجرامية .

-الدوافع الثورية : نجد بعض الأوضاع القائمة فى المجتمع تمارس نشاطها الإجرامى ضد الأحزاب والشخصيات ذات الميول الثورى .

الدوافع الدينية والدعوى : قد تؤثر النزعة الدينية فى تكوين وممارسة الإجرام وذلك بمحاولة فرض النظم الدينية على السلطة بواسطة الضغط والعنف .

الدوافع العنصرية : من بين الدوافع التى تكمن وراء الإجرام الدوافع العنصرية ذات طابعة عنصرية وذلك لتولد الكراهية والبغضاء لدى بعض الطوائف فى المجتمع ضد عناصر عرقية أو دينية معينة لإعتقادهم بأن هناك محاولات لتضييق مجال أنشطتهم وإقتلاع جزورهم من المجتمع ، مما يجعل مثل هذه الطوائف والجماعات أنظمة تمارس أنشطة إجرامية لإعلاء أصواتهم .

على سبيل المثال لتلك الصراعات الإثنية والعرقية فى كل من جنوب السودان وجبال النوبة وجنوب النيل الأزرق والشرق وخاصة فى إقليم دارفور التى تولدت نتيجة لبعض الممارسات القبلية الخاطئة والتصرفات الحكومية غير المقبولة فى نظر بعض أبناء المنطقة وهذا ما أدى إلى أزمة سياسية دولية والذى أدى فى المحصلة النهائية إلى إزهاق القوى السياسية والحكومة من جهات النظر بين الفرقاء فى النزاعات الإثنية والعرقية من جهة وبين من لديهم توجهات سياسية والحكومة من جهة أخرى وذلك الإعتقاد لبعض العناصر ذات التوجه والتعصب العرقى والقبلى بأن مايدور فى الإقليم لأغراض إقصاء بعض القبائل أو حجب أصواتهم وفى ذات الوقت لم تتمكن الحكومة من إزالة ذلك المفهوم ، مع وجود أطماع دولية وأيدى خفية تحول دون تحقيق السلام واستقرار كامل فى السودان .

دوافع الإجرام على المستوى الدولى : الإجرام على المستوى الدولى له عدة صور كإختطاف الطائرات لتحقيق لأغراض سياسية وإحتجاز الرهائن وخطف السياح والموظفين ذوى الحماية الدولية وإغتيالهم ، هذا فضلا عن إنتشار عمليات تفجير السفارات والسفن والناقلات الدولية ، إلا أن أهم عمليات وصور الإجرام على المستوى الدولى يكمن فى الجريمة السياسية وهى تعتبر من الجرائم الموجهة ضد النظام السياسى القائم فى الدولة ووحدة وسلامة أراضيها وعلاقتها بالدول الأخرى.

د عبدالله داود ، مكافحة الإرهاب ، مرجع سابق ، 52-55.

رأى الباحث : يرى الباحث من الصعب حصر الدوافع الإجرامية والمنظمات وذلك يأتى على خلفية صعوبة تعريف الإجرام والمجرمين على المستوى الدولى والمحلى على حد سواء فى الوقت الذى يظهر فيه مصطلح الإجرام برعاية دولة ضد دولة أو دولة ضد شعبيها لإنتهاج أساليب القمع والإزلال مما زاد الأمر تعقيدا وذلك فضلا عن الإختلاف الكبير فى وجهات النظر حول مفهوم الإجرام والمجرمين مما جعل الكل يفسر حسب إتجاهاته وبما يخدم مصالحه ويحسبه البعض إجرام والآخر نضال من أجل الحرية والتحرر الوطنى من أجل إجلاء المستعمر وكذلك ما أفرزته الحملة العالمية بقيادة واشنطنون فى أعقاب أحداث 11 سبتمبر أيلول 2001م بإسم الحرب على الإرهاب مما جعل المفهوم ذاته يموج فى جوه من الفوضى اللغوية والفكرية فى الأدب النظرى والعلمى الأمر الذى أفرغه عن محتواه وجعل العالم كله يخضع لنظام إجرام دولى .

الفرع الثانى : الجريمة فى القانون السودانى :-

تختلف أساليب الجريمة بإختلاف الجهات التى تقوم بها ، ويستهدف الإجرام فى المقام الأول الأمن والسلام فى كافة مستوياته محلية والإقليمية والدولية وبحول دون الإستقرار السياسى والإقتصادى والإجتماعى .

أولا : سوف نشير لصور الجريمة عامة :-

إذا الجريمة كلمة لها معانى ذو صور متعددة يجمعها الإخافة والترويح للأمنين ، وقد تجاوز الإخافة إلى إزهاق الأنفس البرينة ، وإتلاف الأموال المعصومة أو نهبها أو هناك الأعراض المصونة ، وشق عصا الجماعة ومن ثم تغير النعم لتحل محلها النعم والفتن ويظهر الفساد فى الأرض . ولذلك يعتبر إختلاف البشر فى المراكب الجوية والمراكب الأرضية المنشأ فى الشوارع أو إغتيال الزعماء أو التفجيرات فى منشآت الدول ومنشآت رعاياها لتدمير مصالحهم يعتبر صورة من صور الجريمة الرهابية .

أولا : صور الجريمة فى القوانين الأخرى :

مثال ذلك التخطيط للإنقلابات على رؤساء الدول وقتل نوابهم فى مرافق الدول من غير طريق شرعى وبإسلوب فوضى وكذلك السطو على المحلات التجارية ومخازن الأموال وما قامت به عمل الجماعات المسلحة فى بعض الأقطار التى تصول وتجول بإسم الجهاد . ومثال لذلك الواقعة القانونية الآتية :

وهى الحركة الإ جرامية المشؤومة التى قامت بها العصابات المتطرفة التى دخلت البيت الحرام يوم الثلاثاء أول يوم من الأشهر الحرم عام 1400 هجرى . ومعهم مهديهم المدعو محمد بن عبد الله القحطاني يرافقة جهيمان بن سيف العتيبي ومعهم ذخيرة يطالبون ببيعة المهدي المزوم تحت وطأة الضغط والقتل والترويح والرهبه د. زيدان محمد هادى المدخلى -- الطبعة الأولى - 1417هـ الإرهاب وآثاره على الأفراد والأمم جده- فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية- ص12 .

ثانيا : صور الجريمة فى السودان :-

أهم الأحداث والهجمات الإجرامية التى وقعت على السودان وخاصة على منطقة الخرطوم ،والتي تلخصت فى الوقائع القانونية الآتية :-

فى يوم 23 أكتوبر 2012 يوم الجمعة فى مستودع الزخيرة السودانية وقع إنفجار بهجوم إسرائيلى يستهدف الأسلحة المخصصة لحماس وليس إنفجار داخلى كما تزعم البعض ، فقد تزعمت الحكومة السودانية ووفقا لتقرير صحيفة العرب أن الإنفجار الذى وقع فى معسكر التدريب العسكرى فى منطقة الجبلى شمال العاصمة الخرطوم وفى وقت مبكر صباح يوم الجمعة سببه حريق محلى وقد قال المتحدث بإسم الجيش السودانى الصوارمى خالد سعد أن الإنفجار ليس له علاقة خارجية أو محاولة تخريبية داخلية .

وذكر الرئيس عمر البشير أن بلاده لم تعد دولة راعية للإرهاب وذكرت الصحيفة أن البشير إلتقى مع رئيس المكتب السياسى لحماس خالد مشعل فى العاصمة القطرية الدوحة . ولقد ذكرت إسرائيل أنها ضربت الأراضى السودانية بثلاث غارات جوية فى مارس 2009 م دمرت قافلة الشحانات فى شرق السودان وأبضا مصنع أسلحة اليرموك التابعة للتصنيع العسكرى السودانى والتى تقع بالقرب من ضاحية (أبو آدم) جنوبى الخرطوم وسط منطقة مأهولة بالسكان فى أكتوبر 2012 م ، وأبضا وجهة إسرائيل ضربة جوية أخرى أسفر عن مقتل أربعة أشخاص قزفت بها حافلة اتهمتها بحمل أسلحة للفلسطينيين ثم دمرت سفينة فى ميناء بورسودان فى يونيو 2009م. هذا ما ذكرته صحيفة الراكوبه / موقع صحيفة الراكوبه www.sudanakhbar.com السودان لحظة بلحظة

وهذه الهجمات وجهة لرعب السودانين وإخافتهم وهذا ما حدث بالفعل لكل المواطنين من زعر وخوف وهلع .

وإتهالت انفجارات أخرى وهى إنفجار الناتج من القصف المدفعى لمدينة كادقلى جنوب كردفان بواسطة قوات الحركة الشعبية وكان هذا القصف يوم 23 أكتوبر/ تشرين الأول ، وأسفر عن مقتل 10 مدنيين وزاد الناس ذعرا فى المدينة وهذا ماجعلهم Aljazeera.net يفرون منها . هذا ما أكده موقع الأنترنت الجزيرة . **موقع الجزيرة نت**

- حادثة مصنع الدواء فى عاصمة السودان الخرطوم:-شهدت الخرطوم(بحرى) حدثا لم تشهده من قبل فقد قصفت الصواريخ الأمريكية من طراز (توما هوك) أكبر مصنع للتصنيع الدوائى فى السودان وهو مصنع الشفاء ببحرى وقد شغلت هذه الجريمة كل العالم والتى خرجت على إثرها المظاهرات فى معظم دول العالم يدين هذا العدوان على السودان حتى أن

مراكز القرار فى الولايات المتحدة لم تكن راضية عن هذا القصف وكان سبب هذا القصف اتهامهم بأن المصنع أى مصنع الشفاء ينتج اسلحة كيميائية ، وذكر وزراء الدولة فى الخارجية إن استخبارات وزارة الدفاع البريطانية نفت تلك التقارير بأن المصنع ينتج اسلحة كيميائية .

وبالرغم من كل هذا وبعد مرور ستة عشر سنة مازالت أمريكا تمارس ضغوطها على السودان وتضعه فى قائمة موقع

الدولة الراعية للإرهاب . . .
صحيفة الإنتباهة alintibaha.net

- أيضا هناك محاولات وقوع إشباكات بين الوحدات العسكرية وعناصر الشرطة السودانية فى حلايب مما حدا بإعلان الرئيس مبارك على طرد (70) شرطيا سودانيا من نقاط المراقبة فى حلايب ، وعلى حد تعبير خبراء عسكريين غربيين أنه قد بدأ واضحا إستعداد مصر لإحتمال القيام بعمل عسكري وقائى ضد السودان . ولقد شن الرئيس المصرى أعنف هجوم على الخرطوم وأن الأزمة التى شهدتها الخرطوم والقاهرة قد بلغت طورا مماثلا لأزمة عام 1958م التى وصلت إلى مرحلة حشد الجيوش ودق طبول الحرب بين البلدين ، والتهديد بنقل ملف حلايب إلى مجلس الأمن الدولى ، إلا أنه قد غلب العقل على الإنفعال للرئيس الراحل جمال عبد الناصر حين قرر سحب وحداته العسكرية من الحلايب لى يخمد حريق الأزمة .

د. حسين شريف الإرهاب الدولى- مرجع سابق ص 80.

د. عبدالله داود -مكافحة الإرهاب - مرجع سابق ص 52.

المبحث الثالث

الآليات القانونية لمكافحة الجريمة والوقاية منها

لقد افرز تطور المجتمعات البشرية، وتشابك العلاقات بين الدول المختلفة نوعا جديدا من الجرائم وهى الجرائم ذات الطابع الإجرامى الخطير ،والتي وجد أن اعضاء المجتمع الدولى ضرورة الوقوف مجتمعين فى مواجهتها بما لايسمح لمن يرتكبونها أو يقفون وراء ارتكابها بالافلات من العقاب .

. وعليه سوف نشير للمحاكمات والآليات ثم نطرق لكيفية الوقاية من الجريمة والقوانين الحاكمة وبذلك نقسم هذا المبحث للمطالب الآتية :-

المطلب الأول : الآليات القانونية

وقد اسهم الناشطون والاكاديميون على حد سواء فى تعداد الاسباب إلى إقرار مبدأ عالمية العقاب ، الذى يجعل العالم باسره كيانا اجتماعيا واحد وذلك من خلال فرض الحماية الجنائية على جميع اعضاء المجتمع ومعاينة مرتكبى الجرائم فى اى مكان يفرؤا اليه وتقديمهم للمحاكمة ولذلك سوف نشير لتلك الآليات القانونية المتمثلة فى المحاكم الجنائية السودانية لمعاينة المجرمين فى الفروع الآتية :

د. سهيل حسين الفتلاوى ، ط1432/1هـ-2011 ، القضاء الدولى الجنائى ، موسوعة القانون

الدولى الجنائى ،دار الثقافة للنشر والتوزيع /ص17

الفرع الأول : الآليات القانونية لمحاربة الجريمة

من الملاحظ أن الجوانب القانونية تعد من أعمق الجوانب والأشكاليات التى ارتبطت بالعدالة الجنائية ، وخاصة عندما رفضت الدول الأوروبية مسألة انشاء محكمة جنائية دولية دائمة تختص بمحاكمة الأشخاص الذين يرتكبون جرائم ضد الإنسانية .

فحماية حقوق الانسان وحرياته الأساسية مازالت ناقصة فى الوقت الحالى على الصعيد الدولى وذلك لعدم تحديد هذه الحقوق والحريات وتعريفها على نحو دقيق وعدم توفير النظام الكفيل باحترامها الفعلى، بل عدم وجود جهاز يتولى توقيع العقاب

على من ينتهكون هذه الحقوق، ولقد عرفت هذه الأشكاليات تطورا واطارا تجريبيا من خلال المحاكمات التى جرت فى اعقاب الحربين الاولى والثانية و المحاكم الخاصة بنظام روما . كأحدى تطبيقات مفهوم الجريمة.

د.أحمد ابو الوفا، 1985، مشكلة عدم الظهور محكمة العدل الدولية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص5.

أولا : نصوص مواد مكافحة الجرائم ا ضد الإنسانية فى القانون السودانى :-

والتي سوف نشير إليها من خلال التعريفات الآتية :

الإرهاب : كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواحدة أو أغراضه يقع تنفيذا لمشروع إجرامى فردى أو جماعى ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم وحريرتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالأموال العامة أو الخاصة أو بأحد المرافق أو الممتلكات العامة أو الخاصة أو إحتلالها أو الإستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الإستراتيجية القومية للخطر.

أما الجريمة الإرهابية:- يقصد بها كل فعل أو الشروع فيه يرتكب تنفيذا لقصد إرهابى ويشمل الأفعال والجرائم الإرهابية المنصوص عليها فى الإتفاقيات التى وقعت عليها حكومة السودان وصادق عليها وفق أحكام الدستور عدا ما تم استثناءه أو التحفظ عليه .

الجريمة السياسية (يقصد بها التعدى على رؤساء الدول الحاكمة وزوجاتهم أو أصولهم أو فروعهم أو رؤساء الحكومات أو الوزراء أو الأشخاص المتمتعين بحماية دولية بمن فيهم السفراء والدبلوماسين ، والتعدى على مقر البعثات الدبلوماسية أو مقر السكن الخاص أو الو سائل النقل الخاصة بهم) .

ثانيا :- تطبيق قانون مكافحة الإرهاب فى القانون السودانى :-

يطبق هذا القانون :-

المادة (3)أ- كل شخص يتهم بارتكاب جريمة إرهابية أو بالشروع فى ارتكابها أو التحريض عليها داخل السودان أو خارجه متى كانت الجريمة ماسة بمصالح السودان أو إقتصاده أو أمنه القومى أو أمنه الإجتماعى .

ب- الجرائم الإرهابية التى تقع على أى وسيلة من وسائل النقل أو على متنها .

ج- كل شخص يرتكب جريمة إرهابية أو يشرع فى ارتكابها أو التحريض عليها داخل السودان أو على أى من وسائل النقل السودانية إذا كانت الجريمة ماسة بمصالح أو أمن أى دولة لها علاقة أو مصالح فى السودان أو تقع على أى أجنبى داخل السودان أو أقام فيه وفق القانون .

د- كل شخص يتهم بارتكاب جريمة إرهابية أو الشروع فيها أو التحريض عليها خارج السودان إذا كان الفعل الإرهابى معاقبا عليه بموجب أحكام هذا القانون أو أى قانون آخر سارى فى السودان ومعاقبا عليه أيضا بموجب أحكام القانون فى الدولة التى ترتكب فيها ووافقت الدولة التى وقعت فيها الفعل على تطبيق أحكام هذا القانون.

ه- الجرائم الإرهابية وفق أحكام الفقرة (د)حتى لو لم يترتب مساس بمصالح السودان وأمنه القومى وفق أحكام قانون تسليم المجرمين لأى دولة توقع إتفاقا بالتعاون فى مجال الإرهاب يتم التصديق عليه وفق أحكام الدستور.

الفرع الثانى : الأحكام الصادرة :-

*كل من يقوم بأفعال إرهابية أو يحرص أو يشرع أو يسهل قولاً أو فعلاً أو نشرًا بالإستيلاء أو الشروع فى الإستيلاء من وسائل النقل البحرى أو النهرى مسجلة فى السودان أو كانت فى المياه الإقليمية للسودان بالقوة أو بالتهديد بإستعمال القوة أو بأى شكل آخر من أشكال الإكراه بعد مرتكباً جريمة إرهابية ويعاقب عند الإدانة بالسجن لمدة لا تتجاوز أربع عشرة سنة أو بالغرامة أو بالعقوبتين معا .

*وبالإعدام لكل من يرتكب جريمة الإرهاب أو يحرص عليها أو الشروع فيها أو السجن المؤبد

بعض السوابق القضائية السودانية : طارق لجزولى =سودانيل

1/ فى 22 مارس 2017م أصدرت محكمة جرائم دارفور الخاصة بمدينة الضعين بولاية شرق دارفور حكما بالإعدام شنقا حتى الموت فى مواجهة 9متهمين فى بلاغ تحت المواد (6-5-7) من قانون مكافحة الإرهاب لسنة 2001 والمواد (142-21-188-168) من القانون الجنائى السودانى لسنة 1991م ، والمواد (24-26) م قانون الأسلحة والذخيرة والمفرقات السودانى لسنة 1991م وتم تقديم المتهمين للمحاكمة وتقدم المتهمون بإعترافات للمحكمة أمام القاضى جبايات محكمة الضعين ، وتمت محاكمتهم بقانون مكافحة الجرائم الخطيرة ، وإمتلاكهم للأسلحة والذخيرة ، كما قضى الحكم أيضا بمصادرة الأسلحة والذخائر ومصادرة عربة لاند كروزر لصالح الحكومة السودانية وتعود وقائع البلاغ على أن المدانين قاموا بقطع الطريق بمحلية بحر جنوب بحر العرب وقاموا بقتل تاجر ونهب ممتلكاته وتعذيب (التاجر) جنوب سودانى الجنسية وسائقه.

2/فى الهجوم المسلح الذى دشنته حركة العدل والمساواة المعارضة المسلحة على مدينة أدرمان بالعاصمة السودانية فى عام 2008م تم القبض على عدد من أعضاء الحركة والذين كان يجب معاملتهم وفقا لإتفاقية جنيف لمعاملة أسرى الحرب التى صادقت عليها حكومة السودان ، ولكن تم تشكيل محاكم خاصة عرفت بمحاكم الإرهاب بكل من مدن الخرطوم و الخرطوم بحرى وأم درمان ، والتى قضت بأحكام شملت 106 من الأسرى بالإعدام .

طارق لجزولى صحيفة سودانيل

www.sudanile.com

المطلب الثانى : آثار الجريمة الوقائية منها

أن العمليات الإجرامية تستهدف فى المقام الأول الأمن والسلم الدوليين فى كافة مستوياته المحلية والإقليمية والدولية وتحول دون الإستقرار الأمنى والذى هو إستهداف للإستقرار السياسى والإقتصادى والإجتماعى ، وبذلك يعتبر الإجرام من أهم مهددات الأمن القومى وأن إستخدام القوة فى العمل من قبل الإرهابيين يجعل العديد من الدول تشرف بردود أفعال سريعة لمقابلة العنف الإجرامى على المستوى الخارجى والعمل على تقيد الحريات المدنية مما يحد من حقوق الإنسان ويؤدى إلى إضفاء الديمقراطية وسيادة القانون . وعليه سوف نشير لكيفية الوقاية من الجريمة ولكن وقبل الخوض فى الوقاية يجب علينا الطلاع على المحكمة الجنائية وخصائصها حتى نعلم هل إحدى الأليات لمكافحة الجريمة والمجرمين والوقاية منها

الفرع الأول : الجريمة وانشاء المحكمة الجنائية الدولية :

نشأت محكمة الجنايات الدولية على غرار ما تتمتع به المحاكم الجنائية الوطنية فى النظر بالجرائم المتعلقة بالقانون الدولى الجنائى ، والمحاكم الدولية التى أنشئت لمحاكمة مجرمى الحرب . و كانت الحروب بين الدول الأوربية ، وخاصة الحرب العالمية الأولى قد أدت الى قتل أكثر من (25) مليون شخص ، وقد نهيت المجتمع الدولى الى ضرورة انشاء مؤسسات تعمل على تطبيق قواعد قانون الحرب ، لهذا بذلت جهود دولية لانشاء محكمة دولية دائمة تتولى محاكمة الاشخاص الذين يترتكبون جرائم حرب . وبهذا تعد أول الخطوات التى بدأت الانشاء الفعلى لقضاء دولى جنائى يوقع الجزاء على المتورطين فى انتهاك قوانين الحرب والمبادئ الأساسية . ومن تلك المحاكمات :- محاكمة أميراطور المانيا (غليوم الثانى) ومحكمة نومبورغ ، والمحاكم الخاصة التى أوتشئت بقرار مجلس الأمن للمحكمة الجنائية الخاصة فى يوغسلافيا سابقا المحكمة الجنائية الدولية فى روندا.

د. سهيل حسين الفتلاوى / القضاء الدولى الجنائى / مرجع سابق / ص (70)

د. صلاح الدين عام / تطور مفهوم جرائم الحرب / بحث منشور فى كتاب / المحكمة الجنائية

الدولية / منشورات اللجنة الدولية للصليب الأحمر

أولا : القانون الحاكم للمحكمة الجنائية الدولية

لكل نظام قضائى قانون يحكم اختصاصها وعملها القضائى ،ويتحدد هذا القانون وفقا للنظام القانونى الذى ينتمى اليه التشريع المحدد لعمل هذا النظام القضائى الدولى ،والذى مر بمراحل عديدة لانشائه ، وجاء جامعا لكل المبادئ القانونية التى تحكم القضاء فى هذه الانظمة ، ويتحدد القانون المطبق فى هذه المحكمة وفقا لنص المادة (21) من النظام الاساسى ، والتى نصت على ان تطبق المحكمة القواعد القانونية الواردة فى كل من

- النظام الاساسى: يجب على المحكمة تطبيق نظامها الاساسى ، وتتحدد عناصر الجرائم بحسب اتفاق غالبية ثلثى الاعضاء والاطراف ، وقواعد الاثبات والاجراءات الخاصة بالمحكمة ، والمعاهدات واجبة التطبيق ومبادئ قواعد القانون الدولى ، والمبادئ المستقرة لقانون النزاعات المسلحة . المبادئ العامة التى تأخذ بها من القوانين الوطنية ، والنظم القانونية فى العالم .- يجوز للمحكمة اعمال فكرة السوابق القضائية المطبقة فى النظام القانونى الانجلوسكسونى ، وتطبق المبادئ والقواعد القانونية التى اخذت بها فى قراراتها السابقة ، وهذا على عكس ما اخذت به محكمة العدل الدولية فى لاهى .

ويرى الباحث ان النظام الاساسى للمحكمة وهو مصدر التشريع فيها بارادة الدول الاطراف الموقعة عليها والملتزمة بها ، والذى لا يعد نافذا فى هذه الدول والاطراف إلا بإرادتهم .

ثانيا : خصائص المحكمة الجنائية الدولية

يحكم اختصاص المحكمة الجنائية الدولية بعض المبادئ المستخلصة من المبادئ القانونية فى الانظمة القانونية المختلفة فى العالم ، وهذه المبادئ تتعبّر الخصائص التى تميز المحكمة وهى التى تحكم عمل المحكمة كجهاز قضائى دولى ، ومن هذه المبادئ:- لاجريمة ولاعقوبة الاى . عدم رجعية النصوص . وعدم جواز العقاب على الفعل مرتين (Ne in idem) مبدأ عدم سقوط الجرائم بالتقدم . مبدأ التكاملية: (التكامل مع القانون الوطنى) ومبدأ التعاون الدولى .

د. عبد الفتاح بيومى حجازى / قواعد أساسية فى نظام المحكمة

الجزائية / مرجع سابق / ص 115.

د. ابراهيم سلامة 2005، الجرائم ضد الانسانية ، المحكمة الجنائية الدواية ، المواعمة الدستورية التشريعية ،

اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ص 95.

- د. ابراهيم محمود اللببى ، طبعة 210، ضمانات حقوق الانسان أمام المحاكم الجنائية ، ص 492

- د. شريف علم ، الطبعة الثالثة 2005، المحكمة الجنائية الدولية ، المواعمة الدستورية التشريعية ، ، الصليب الأحمر ، القاهرة ، ص 293.

ثالثا : علاقة المحكمة الجنائية الدولية بالقضاء الوطنى

تواجه المحكمة الجنائية الدولية ونظامها الاساسى ، العديد من الصعوبات فى علاقتها مع التشريعات الوطنية فى رأى الفقه الدولى لغلبة النظرة السياسية عليها وعدم توقيع بعض الدول الكبرى عليها ، ومحاولة استخدامها للضغط على بعض الدول لتحقيق مكاسب سياسية بدعوى حقوق الانسان ، أهم هذه الصعوبات العلاقة بين القانون الدولى والقانون الوطنى والتكامل بين المحكمة والتشريعات الداخلية ، النظام الاساسى للمحكمة وسيادة الدولة .

وتختص المحكمة الجنائية الدولية لمقاضاتها للجرائم ضد الإنسانية وهى : جرائم الحرب ، والإبادة الجماعية ، وجريمة العدوان وذلك بموجب النظام الأساسى للمحكمة الجنائية .

ومن السوابق القضائية:-

التي تؤكد اندراج جرائم ضد الإنسانية حت ولاية المحكمة الجنائية الدولية وذلك ما أشار إليه الخبير القانونى الدولى أن مجلس الأمن أنشأ بموجب القرار 1757 المحكمة الدولية ببلن ، لتلاحق ولأول مرة فى تاريخ القضاء الجنائى الدولى الجريمة الإرهابية وكان مجلس الأمن يستطيع أن يحيل الحادث الذى وقع فى فبراير 2005 وأدى لمقتل رئيس وزراء لبنان الأسبق رفيق الحريري إلى المحكمة الجنائية الدولية ، ولكن المجلس تيقن أن الجريمة الإرهابية ، لم تخلص لتكييفها والأعمال

الإرهابية وقد قصر مجلس الأمن إختصاص المحكمة الخاصة بلبنان وعلى حسب قانون العقوبات البنانى هى المحكمة الوحيدة المختصة بالجريمة الإرهابية ومن ثم تخرج عن النطاق الولانى للمحاكم التى تلاحق الجرائم الإرهابية الأخرى .

رأى الباحث :

إن النظام الأساسى للمحكمة الجنائية الدولية لم ينص صراحة على الجريمة الإرهابية ضمن إختصاص المحكمة الجنائية ومن ثم لم تتدرج الجريمة الإرهابية ضد الجرائم الأربع المنصوص عليها فى المحكمة الجنائية الدولية وهى جرائم العدوان وجرائم الحرب وجرائم الإبادة الجماعية، والجرائم ضد الإنسانية . ولكن السؤال الذى يفرض نفسه أليس جريمة الإرهاب تعتبر من ضمن الجرائم ضد الإنسانية إذا كان الجواب بنعم فلماذا لا تختص المحكمة الجنائية الدولية بمعاينة الإرهابيين ؟؟؟

الفرع الثانى : الوقاية من الجريمة : إن الحماية المثلى والفعالة للتصدى للجريمة تأتى بدراسة أسبابه ومختلف أبعادها وإنعكاساته الأخرى ، مع تكاتف جهود المجتمع بخطر الجريمة ولذلك لابد من تضافر كل الجهود لمواجهته حتى يمتنع الإرهابيين من محاولات إستقطاب قطاعات المجتمع إلى جانبهم بإستقلال محاولات سياسية أو خلافات داخلية ، ومما سبق يقصد من المواجه الأمنية للجريمة :

أ-المواجهة الدينية : وهى من أهم المواجهات الإستراتيجية التى يمكن أن تسهم بطريقة فاعلة فى مجابهة الجريمة وذلك من التعاليم الدينية التى وتوظف فى خدمة محاربة الجريمة وتوطينها فى قلوب المجتمعات

ب_ المواجهة الإعلامية لظاهرة الجريمة :- تلعب الإعلام دورا هاما وأساسيا فى مواجهة الجريمة عن طريق قدرتها على الوصول إلى المواطنين بصورة مباشرة بأساليب متنوعة وقدرتها على التعامل مع الرأى العام .

ج-هناك أيضا المواجهة الإقتصادية : وتكون بمحاربة البطالة والفساد وإحداث تنمية متوازنة ورفع المعاناة عن طريق عن كاهل الطبقات الكادحة لرفع الضريبة عنهم وتحسين مستوياتهم المعيشية .

د-المواجه والإجتماعية : إزالة كافة الفروقات الإجتماعية ومحاربة الوثنية والتعصب العرقية والمساواة فى كافة المعانات والخدمات وإزالة الأنشطة الإجتماعية الهدامة التى تعوق سير المجتمع والعمل على تعزيز التكافل . وأيضاً هناك المواجهات السياسية وغيرها من المواجهات التى تساهم فى محاربة الجريمة بصورة فاعلة أو حتى التقليل منها .

عبدالله داود -مكافحة الإرهاب -مرجع سابق ص120

الخاتمة

بتوفيق من الله العلى القدير وبعبونه أكون قد انهيت دراستى ولقد خلصت هذه الدراسة الى نتائج وتوصيات تكشفت أثناء البحث فى ثنايا نصوص التشريع السودانى والتشريعات المختلفة والنظام الإسلامى .

أولاً : النتائج :


- 1/ الجريمة هى ثقافة فكرية لدى جماعة أو قطاع يؤمنون بأنه لا سبيل للوصول إلى إهدافهم إلا باستخدام العنف والتهديد.
- 2/ إن الجريمة ليست بالقوة الأمنية والسلاح أيضا بالقوة والتهديد النفسى
- 3/ لكل شخص حق اللجوء إلى المحاكم الوطنية المختصة لإنصافه الفعلى من أى أعمال تنتهك الحقوق الأساسية التى يمنحها إياه الدستور والقانون .
- 4/ قصور نصوص الإجراءات الجنائية ذات الطابع الدولى للمحكمة الجنائية الدولية للجرائم الإرهابية .
- 5/ الحدث الإرهابى يعد من أكبر الجرائم التى تتطلب توى الحزر و المبادرات السلمية من أجل التوصل إلى صيغ مقبولة للأطراف وأن الأزيمة الأمنية ذات الطابع الإرهابى تتطلب تعامل بعناية فائقة من الأضرار والتضحيات الناتجة منها ، وخير مثال لذلك إختطاف الطائرة الهندية وأحداث 11 سبتمبر الذى جعل العالم كله يتأهب لحرب .
- 6/ أن هناك نوعان من الإرهاب. إرهاب مشروع بالكتاب والسنة كالتهديد والتخويف للكفار والمنافقين . و آخر غير مشروع وهو تهديد الأمن والسلم الدوليين .

التوصيات

يوصى الباحث بالآتى:-

-

- 1/ اقرار هذا المبدأ الهام فى قانون المحكمة الجنائية الدولية وبصورة مفصلة تتضمن الشروط الواجب إعمالها لتطبيق هذا المبدأ (الجريمة الإرهابية) .
- 2/ إنشاء أسس فعالة على المستوى الوطنى لوضع ضمانات ضد الجريمة . والتحقق الكامل والمنصف والعادل لكل المسؤولين من هذه الجريمة ومحاکمتهم أمام المحاكم الوطنية والدولية . والعمل بكافة الجهود الدولية والإقليمية بشأن المحافظة على الإستقرار الأمنى والحيلولة دون الإنفراط عقد الأمن وإنتشار الجرائم الإرهابية مع تسلط الضوء على الموقف الدولى تجاه أشخاص المنظمات الإرهابية .
- 3/ تعديل القانون القضائى والدستورى الدولى لتحديد تعريف الجريمة الإرهابية باتفاق جميع القوانين الدولية حتى تستطيع الدول وضع حد للإرهاب .
- 4/ المشاركة فى أعداد مشروعات قانون العقوبات والقوانين المكملة له ، أو المجرمة لبعض الأفعال ، و حماية لمصلحة محددة ولأشخاص بعينهم لضمان الحماية الموضوعية الفعالة للحقوق والحريات وخاصة فى مجال قوانين الطوارئ ، وجرائم الإرهاب والتشرد والإشتباه .
- 5/ الدعوة لإعادة سياق إستراتيجيات بعض الدول وخاصة الكبرى فى مواجهة بعض قضايا العنف والإرهاب بعمليات عنف مماثلة التى تقضى فى نهاية المطاف إلى مايسمى بإرهاب الدولة ممايزيد من مواجة الإرهاب بدلا من إنحسارها .



ijar studies

International Journal of Academic Researchs Studies Year:1, Number:1, December 2018, s.76-89

Article Arrival Date/ Yayın Geliş Tarihi
03.11.2018

The Publication Date/Yayınlanma Tarihi
23.12.2018

Asst. Prof. Dr. Harith A. Elttayef ALWARD

Tikrit University /Iraq

harithabd2013@yahoo.com

&

Dr. İbtisam H.M. AL-HARBI

Tikrit University /Iraq

اثر المتغيرات الدولية في الواقع التجاري العراقي – التركي اواخر القرن العشرين

المخلص

يعد موضوع ((اثر المتغيرات الدولية في الواقع التجاري العراقي – التركي اواخر القرن العشرين)) دراسة تاريخية على قدر كبير من الأهمية نظرا لان هذه المدة شهدت احداثا مهمة منها اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية ، وتصعيد المعارك العسكرية بينهما ، كذلك شهدت تركيا في عام 1980 انقلابا عسكريا بقيادة الجنرال كنعان ايفرن وسيطرة المؤسسة العسكرية على السلطة ، فضلاً عن ان هذا الموضوع العلاقات العراقية – التركية 1980 – 1990 من المواضيع المهمة الجديدة ، اذ نجد ان السمة البارزة لهذه العلاقات كونها علاقات طيبة ولم تتعرض إلى مشاكل جدية ، الا ان هذا لا يعني ان هذه العلاقات لم تتعرض إلى معوقات ، وجرت كتابة البحث على وفق المنهج التحليلي والذي لا يقتصر على سرد الاحداث والوقائع التاريخية وربطها ، بل حاول مناقشة هذه الاحداث وتحليل الاسباب والنتائج وأثرها على العلاقات بين الدولتين .

أقتضت ضرورة البحث تقسيمه إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة. تناول التمهيد دراسة جذور العلاقات الاقتصادية العراقية – التركية حتى العام 1980م، وتضمن المبحث الأول العلاقات العراقية – التركية في مجال التعاون الاقتصادي والتجاري 1980 – 1990م، وخصص المبحث الثاني لدراسة العلاقات العراقية – التركية في مجال النفط والغاز 1980 – 1990م، أما الخاتمة فهي ما توصلت إليه الدراسة من استنتاجات.

يقع كلاً من العراق وتركيا في القسم الجنوبي الغربي من قارة آسيا ويمتلكان حدود مشتركة تبلغ (389) كم، وتمتاز تركيا بموقع جغرافي ذات أهمية إستراتيجية إذ أنها تشرف على عدة بحار ومضايق كما أنها تعد الجسر الرابط بين القارة الأوروبية والعالم الإسلامي وهذا له دور كبير في أهمية تركيا اقتصادياً بالنسبة للدول المجاورة ولا سيما العراق.

ارتبطت تركيا بالعراق منذ أيام الدولة العثمانية، تلك الدولة التي امتدت حدودها إلى أراضي واسعة، وأصبح العراق جزءاً منها منذ القرن السادس عشر بعد الحملة الشهيرة للسلطان سليمان القانوني (1520 – 1566).

تعد تركيا من الدول المجاورة للعراق، وقد أرتبطت بعلاقات اقتصادية معه منذ قيام الدولتين العراقية والتركيا الحديثة، أخذت العلاقات العراقية التركية تزداد وثوقاً بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، لإدراك قادة البلدين أهمية التقارب والتعاون للتخلص من آثارها السلبية على أوضاعهما في الميادين كافة، وأن التقارب العراقي – التركي أستمروا وبدأت محاولات تقريب المواقف الخارجية التي مهدت الطريق لتشكيل حلف بغداد عام 1955م التي كانت إحدى بنوده التأكيد على التعاون الاقتصادي.

تطورت العلاقات العراقية – التركية بعد عام 1968م إذ تم توقيع على اتفاقية بين الطرفين في 4 تموز 1968م لتصدير الغاز الطبيعي من الحقول الشمالية للعراق إلى تركيا

فقد ادت الحرب العراقية – الإيرانية إلى نشاط تجاري ملحوظ بين تركيا والعراق وكانت تركيا حريصة على ابقاء التوازن التجاري مع إيران أيضاً، مما أدى إلى انتعاش الاقتصاد التركي في الثمانينيات، فالعراق يحتاج تركيا كطريق لتصدير نفطه، وكطريق بري لمعظم وارداته وكحليف سياسي خلال الخلافات العراقية مع كل من سوريا وإيران. أما تركيا، فقد كانت تحتاج إلى عائدات مرور النفط عبر أراضيها وكانت تحتاج إلى النفط العراقي لتصدير منتجاتها إلى دول الخليج العربي، وقد تطورت علاقات البلدين الاقتصادية بتوقيع البروتوكول الاقتصادي الذي تم التوصل إليه بينهم عام 1972م لتوسيع قاعدة التعاون الاقتصادي

ومن هنا فقد أصبحت تركيا خلال المدة 1976 – 1980م مصدراً مهماً لدخول وخروج السلع العراقية المختلفة، وأصبح العراق محورياً لوصول البضائع التركية والأوربية إلى الخليج العربي

وبسبب ظروف الحرب العراقية - الإيرانية، تطورت العلاقات الاقتصادية بين العراق وتركيا إذ توصل الطرفان إلى عقد اتفاقية جديدة للنقل البري والتراخيص وقعت في أنقرة بتاريخ 18 تشرين الأول 1980م، وأصبح العراق الدولة الأولى في قائمة الدول المصدرة لتركيا لعامي 1981 – 198

وقد بدأت في عام 1980م محادثات بين العراق وتركيا حول إعادة ضخ النفط العراقي عبر خط الأنابيب الذي يمتد من حقول كركوك – ميناء جيهان التركي على البحر المتوسط، وكان الطرفان قد وقعا في عام 1980م بروتوكولات للتعاون الثنائي.

لقد شهدت العلاقات الاقتصادية العراقية – التركية تطوراً كبيراً وأزدهاراً واضحاً خلال حقبة الثمانينيات مقارنة مع السنوات السابقة، وقد توصل الطرفان إلى عقد العديد من المعاهدات والبروتوكولات التجارية التي سبقتها الزيارات الرسمية المتعددة بين البلدين.

نرجوا ان نكون قد وفقنا في كتابة البحث وطرحنا لهذا الموضوع الذي يوضح العلاقات الاقتصادية بين البلدين مع تمنياتي للجميع بالموفقية والله ولي التوفيق .

The Effect of International Variables in Iraqi- Turkish Commercial Reality at the end of Twentieth Century

Abstract:

This topic is new and very important for the successive events, as the violent outbreak of Iraqi- Iranian war, the military coup of Turkey was led by the general Kanan Efrin and control of military institution on the states. This research is written according to analytical method.

This study is divided to preliminary which presents the relations roots till 1980. Section one includes the economic and commercial cooperation (1980-1990). Section two studies the relations of oil and gas (1980-1990). Conclusions present the results.

Iraq and Turkey are on the south east of Asia with combined borders about 389 meter. This strategic position of Turkey refreshed its economy.

Iraqi related to Turkey and became part of it since the Ottoman state in 16th. Century, after the famous campaign of AL-Sultan Sulaiman AL-Kanoni (1520-1566).

After the 2nd.world war, the relations were developed by three leaders and formed Baghdad ally in 1955 to progress these relations.

On 4th.July 1968,they signed an agreement to export the natural gas from the north of Iraq to Turkey .

Due to Iraqi-Iranian war, the commercial business of Iraq and Turkey was prosperous.

In 1980s , Turkey was care of commercial balance with Iran, that refreshed its economy . Iraq needs Turkey to export oil, as a land path for its product and as a political ally for conflicts with Syria and Iran.

In 1976-1980, Turkey became the important path to entry and exit the Iraqi goods. Iraq became an important path to pass the Turkish and European goods to Arab Gulf.

After the Iraqi Iranian war ,the two states signed an agreement for land transportation and transition on 18th. October 1980. Since (1980-1990) Iraq became the first exporter to Turkey.

In 1980, they re-pump the Iraqi oil from Kirkuk-Turkish Jihan port on the Mediterranean sea. In 1980,they signed protocol for dual cooperation.

Keywords

Relations, agreement, economy, export, commercial

البحث :

المقدمة:

ان للموقع الجغرافي الاثر الكبير في تحديد الصلات الاقتصادية بين بلدان العالم لما له من اهمية في بناء علاقات ربحية قليلة التكلفة من ناحية النقل والتفاهات السياسية ، لذلك من الضروري منح صفة الجار اهمية اكثر من غيرها من الصفات او الامتيازات الاقتصادية الاخرى ، وبما ان عنوان البحث سيكون (العلاقات الاقتصادية العراقية – التركية 1980-1990 دراسة تاريخية) لذلك من الضرورة توضيح جذور تلك العلاقة التي امتدت لقرون من الزمن ، ومن الجدير بالذكر ان العلاقات العراقية التركية قد مرت بمراحل مختلفة اقترب وابتعد البلدان حسب المصالح التي تفرضها طبيعة المرحلة التاريخية .

شهد النصف الأول من القرن العشرين علاقات خجولة لم تكن بالمستوى الذي تبينه الخارطة الاقليمية، لكن سرعان ما ارتفعت مستويات التبادل الاقتصادي خلال العقد الثامن من القرن نفسه فقد شهدت حقبة الثمانينيات تطوراً كبيراً وزيادة ملحوظة في التبادل التجاري ، كان ذلك بسبب الاوضاع العسكرية التي شهدتها المنطقة ائذاك.

وعلى الرغم من أهمية الجانب الاقتصادي إلا أنه لم ينل ما يستحقه من اهتمام من قبل الباحثين الأكاديميين مقارنةً بأهتمامهم بالجانب السياسي ومن هنا جاء اختيارنا لدراسة تلك الحقبة من ناحية اقتصادية بحتة .

أقضت ضرورة البحث تقسيمه إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة. تناول التمهيد دراسة جذور العلاقات الاقتصادية العراقية – التركية حتى العام 1980م، وتضمن المبحث الأول العلاقات العراقية – التركية في مجال التعاون الاقتصادي والتجاري 1980 – 1990م، وخصص المبحث الثاني لدراسة العلاقات العراقية – التركية في مجال النفط والغاز 1980 – 1990م، أما الخاتمة فهي ما توصلت إليه الدراسة من أستنتاجات.

اعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة تأتي في مقدمتها الرسائل والأطاريح الجامعية ولاسيما رسالة حامد محمد طه أحمد السويديان "العلاقات العراقية – التركية 1980 – 1990"، وأفاد الباحث أيضاً من الكتب العربية وفي مقدمتها أحمد نوري النعيمي "العلاقات العراقية – التركية الواقع والمستقبل" و خليل إبراهيم الناصري "التطورات المعاصرة في العلاقات العربية – التركية". فضلاً عن مصادر أخرى التي أغنت البحث بالمعلومات عن فترة الدراسة.

الجذور التاريخية للعلاقات الاقتصادية العراقية – التركية حتى عام 1980:

اصبح العراق جزءاً من الدولة العثمانية منها منذ القرن السادس عشر بعد حملة السلطان سليمان القانوني (1520 – 1566). عام 1534م واستمر على ذلك الحال حتى قيام الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918م ، وما تبعها من نتائج سياسية وانحلال لإمبراطوريات ودول كبرى ، واعادة لرسم خارطة العالم من جديد ، والتي أفرزت قيام الدول الحديثة ومنها العراق وتركيا، ومع تأسيس الدولتين بدأ تاريخ جديد يحكم العلاقة بين البلدين كان قسم منه متأثر بالعهود السابقة لقيام الدولتين والآخر خضع لمقاييس العلاقات الدولية والصراع على السيادة والتشابك المصالح الثنائية (العبيدي :2005:47).

يقع كلاً من العراق وتركيا في القسم الجنوبي الغربي من قارة آسيا ويمتلكان حدود مشتركة تبلغ (389) كم، وتمتاز تركيا بموقع جغرافي ذات أهمية إستراتيجية إذ أنها تشرف على عدة بحار ومضايق كما أنها تعد الجسر الرابط بين القارة الأوروبية والعالم الإسلامي وهذا له دور كبير في أهمية تركيا اقتصادياً بالنسبة للدول المجاورة ولا سيما العراق (جودة : 682-1984:685، عمر : 1944:2، المطلبي :10-1986:40).

عند تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام 1921م بدأت صفحة جديدة في العلاقات العراقية التركية، الا انها كانت تواجه مشكلتين اساسيتين : الاولى تتمثل بطبيعة العلاقة بين الأتراك والعائلة الهاشمية ومحاولة تزعم العالمين الاسلامي والعربي، اما الثانية فتتمحور حول مشكلة الموصل (التميمي:2010:202)، إذ طالب الأتراك بإضافة الأراضي الشمالية من العراق والتي تقع ضمن حدود ولاية الموصل العثمانية (ألوية الموصل وكركوك والسليمانية) إلى أراضيها على اعتبار أن هذه الأراضي لم تدخلها القوات البريطانية إلا بعد توقف إطلاق النار في الحرب العالمية الأولى وأنسحاب العثمانيين منها بعد عقد الهدنة عام 1918م(حسين:1977).

وقد تم حل هذه المسألة بعقد معاهدة ثلاثية بين العراق وتركيا وبريطانيا في الخامس من حزيران 1926م والتي نصت على إعطاء تركيا (10%) من حصة الحكومة من شركة النفط التركية لمدة (25) سنة(الحسني:72-1988:73). وأكدت إبقاء

المنطقة (ولاية الموصل) ضمن حدود الدولة العراق وبذلك حلت مشكلة الموصل وأخذت العلاقات العراقية التركية بالتحسن التدريجي لاسيما بعد ان أقرت تركيا بالمملكة العراقية عام 1927م (السبعوي:1986:224).

هذه المشاكل بالإضافة إلى تخلف الاقتصاد العراقي في فترة الأنتداب البريطاني (1920 – 1932م) وتبعيتها للاقتصاد البريطاني، وتأثير الأزمة الاقتصادية العالمية (1929 – 1933م) على الاقتصاد العراقي والعالمي، ألقت بظلالها على قلة التبادل التجاري بين العراق وتركيا (الصوفي:2004:68).

في أيلول 1930م زار وفد عراقي برئاسة وزير الخارجية نوري السعيد⁽¹⁾ أنقرة، أجرى مفاوضات مع الجانب التركي حول التعاون في المجال النفطي بإعطاء تركيا حصة مناسبة في أستثمار النفط العراقي والتمهيد لعقد معاهدة تجارية (الصوفي:2004:103). وبالفعل تم التوقيع على اتفاقية تجارية بين الطرفين وأقرها مجلس الوزراء العراقي في العاشر من كانون الثاني عام 1932م (الحسني:134-145:1982، شيال:41:2012).

وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية (1939 – 1945م) تبادل العراق وتركيا المشاورات لتنسيق مواقفهما تجاه الحرب، التي دخلتها تركيا إلى جانب بريطانيا ودول الحلفاء (كيرك:1990:7)، وقد دفعت تطورات الصراع الدولي إثناء الحرب وما أفرزته من مشكلات اقتصادية كلاً من العراق وتركيا إلى التشاور والتفاهم من أجل تأمين حاجتها للوقود في ظل ظروف الحرب، أبدت تركيا رغبتها بشراء النفط ومشتقاته من العراق وقدمت طلب بهذا الخصوص، وبالفعل حصلت الموافقة العراقية على هذا الطلب ليزداد التبادل الاقتصادي بين البلدين (السامرائي:2004:85).

أخذت العلاقات العراقية التركية تزداد وثقاً بعد أنتهاء الحرب العالمية الثانية، لإدراك قادة البلدين أهمية التقارب والتعاون للتخلص من آثارها السلبية على أوضاعهما في الميادين كافة (الكريني:1998:26)، لهذا فقد زار وفد عراقي برئاسة نوري السعيد تركيا عام 1945م وجررت مفاوضات بين الجانبين التركي والعراقي أدت فيما بعد إلى توقيع معاهدة الصداقة وحسن الجوار ملحقة بسنة بروتوكولات مختلفة بين البلدين في الحادي والعشرين من كانون الثاني 1946م وقد نصت المعاهدة في البروتوكول الخامس "التعاون في الشؤون الاقتصادية والمالية والتجارية بصورة عامة، ورفع أو تخفيف الضرائب الكمركية على المنتجات المحلية لكلا البلدين، وتسهيل سبل التبادل التجاري بينهما بصورة خاصة والتعاون في تنظيم وتحسين طرق المواصلات ووسائل النقل وجعلها ملائمة للتجارة بين البلدين" ولكن هذه الاتفاقية لم تدخل حيز التنفيذ (الصوفي:2004:227، شيال:42:2012، السامرائي:98:2004)، إذ توترت العلاقات العربية – التركية بسبب القضية الفلسطينية وموقف الدولتين منها ولاسيما اعتراف تركيا بالكيان الصهيوني سنة 1949م (مراد:1992:319).

على الرغم من ذلك إلا أن التقارب العراقي – التركي أستمر وبدأت محاولات تقريب المواقف الخارجية التي مهدت الطريق لتشكيل حلف بغداد عام 1955م التي كانت إحدى بنوده التأكيد على التعاون الاقتصادي (السامرائي:2004:100)، إلا أن الظروف الداخلية في العراق لم تسير وفق ما خططت له دول الأعضاء في الحلف إذ اطاحت ثورة الرابع عشر من تموز 1958م بالنظام الملكي واعلنت قيام الجمهورية العراقية، وعلى الرغم من اعتراف تركيا بالنظام السياسي الجديد إلا ان العلاقات بين البلدين كانت خجولة واتسمت بالفقر (العبيدي:2005:51). ولم يسجل في ذلك العام الا محاولة واحدة تمثلت بعقد بروتوكول اقتصادي في بغداد في السادس من نيسان بين العراق وتركيا لتصدير الغاز العراقي إلى تركيا لكن هذا الامر لم يدخل حيز التنفيذ (السويداني:2003:126).

وفي محاولة لتقريب وجهات النظر الاقتصادية عقدت اتفاقية جديدة في الثالث من اب 1965م خصصت في الجانب التجاري بين العراق وتركيا ودخلت مجال التطبيق في التاسع عشر من تشرين الأول 1965م إذ تم الاتفاق على تشكيل لجنة مشتركة مقسمة على أربع لجان فرعية ومنها اللجنة النفطية التي أوكلت إليها مهمة دراسة المشكلات والمعوقات الخاصة بالتعاون النفطي بين البلدين وإمكانية زيادة الصادرات النفطية العراقية إلى تركيا وقيام المشاريع المؤدية إلى ذلك (النعمي:2010:20).

¹ نوري السعيد (1888 – 1958م): سياسي مخضرم وأحد أبرز بناء العراق في العهد الملكي، ولد في بغداد، تخرج من المدرسة الحربية في إسطنبول عام 1906م، ألتحق بمدرسة أركان الحرب عام 1911م، شارك ضمن الجيش العثماني في حرب البلقان (1912 – 1913م)، انضم إلى جمعية العهد بهدف المطالبة باستقلال الولايات العربية. شارك في الحرب العالمية الأولى، ثم انضم إلى الثورة العربية الكبرى في الحجاز عام 1916م، وكان أحد أعضاء حكومة الأمير فيصل في سورية (1918 – 1920م)، بعد تأسيس الحكومة العراقية عام 1920م عاد إلى العراق، كان وطنياً ودبلوماسياً من طراز عال، يميل نحو مهادنة البريطانيين للحصول على أكبر قدر ممكن من الامتيازات العراقية، تولى رئاسة الحكومة (13)، مرة ورئاسة حكومة الأتحاد العربي الهاشمي (مرة واحدة)، كان له دور كبير في إدخال العراق لعصبة الأمم في عام 1932م وفي تأسيس جامعة الدول العربية 1945م وعقد حلف بغداد 1955م، وتشكيل الأتحاد الهاشمي 1958م، قتل بعد قيام ثورة 14 تموز 1958م بيوم واحد في بغداد، ينظر: (السعيد:1992، السعيد:1987 العربي:2005، محمد:1988).

تطورت العلاقات العراقية – التركية بعد عام 1968م إذ تم توقيع على اتفاقية بين الطرفين في الرابع من تموز 1968م لتصدير الغاز الطبيعي من الحقول الشمالية للعراق إلى تركيا (السويدي: 107:2003)، وقد زادت هذه العلاقات عمقاً وتطوراً بعد ثورة الثلاثين من تموز 1968م في العراق (شبال: 41:2012)، ففي أيلول من العام نفسه أتفق البلدان على توسيع العلاقات التجارية بينهما من خلال التوقيع على اتفاقية الترانزيت لتنظيم مرور البضائع ووسائل النقل والمسافرين بشكل أفضل ودخلت هذه الاتفاقية حيز التنفيذ في نهاية عام 1969م (تركيا: 694).

وفي كانون الثاني عام 1971م تم التوقيع على بروتوكول للتعاون الاقتصادي والفني بين الطرفين وتضمن إدخال فقرات جديدة في قائمة التبادل التجاري كالنفط والغاز والكبريت ومعدات المواصلات السلكية واللاسلكية، ومعدات السكك الحديدية (خضير: 64:1976). وقد تطورت علاقات البلدين الاقتصادية بتوقيع البروتوكول الاقتصادي الذي تم التوصل إليه بينهم عام 1972م لتوسيع قاعدة التعاون الاقتصادي ولاسيما في مجالات التجارة والنفط إذ أجمعت لجنة النقل وترانزيت ودرست اقتراح الجانب العراقي عند مطالبته بتخفيض خاص لتكاليف النقل بالسكك الحديدية للسلع العراقية المصدرة عبر الأراضي التركية لكون السلطات التركية قد أصدرت نظاماً جديداً لترانزيت عبر أراضيها وبموجبه فرضت زيادات كبيرة على البضائع المارة عبر أراضيها ووعد الجانب التركي بإحالة الاقتراح إلى السلطات المختصة لدراسته، أما لجنة خبراء الموانئ (وهي لجنة فرعية) فقد قررت ما يأتي: (السويدي: 107:2003).

- 1- اعتبار ميناء البصرة وميناء أم قصر في العراق وميناء مرسين في تركيا موانئاً للترانزيت.
- 2- تبادل المعلومات حول إمكانية طاقة الموانئ وكذلك تحديد أجور عوائد الموانئ.

وعند اجتماع لجنة النقل والترانزيت طلب الجانب التركي من الجانب العراقي الاستفسار من السلطات العراقية المختصة بإمكانية تجهيز العراق بـ (200) عربة لنقل الكبريت السائل العراقي إلى تركيا، وقد وعد الجانب العراقي بتقديم العرض إلى السلطات العراقية المختصة، وتم الاتفاق على قيام الطرفين بمنح المؤسسات وشركات نقل البضائع والمسافرين إجازة فتح فروع لها في البلد الآخر. وقد أيدت الحكومة التركية في الأول من حزيران 1972م قرار تأميم شركة نفط العراق إذ بلغت صادرات نفط العراق إلى تركيا ما يقارب (4) ملايين طن سنوياً في العام نفسه (السويدي: 120:2003).

وتأكيداً لتطور العلاقات العراقية – التركية زار الرئيس العراقي أحمد حسن البكر² (1968 – 1979م) تركيا في التاسع عشر من أيلول 1972م (العبيدي: 27:2010)، ونتجت عن هذه الزيارة التوصل إلى عقد عدة اتفاقيات منها اتفاقية في السابع والعشرين من آب 1973م لبناء خط أنابيب لنقل النفط الخام العراقي من كركوك عبر الأراضي التركية إلى ميناء (دورتبول) لتصديرها إلى الأسواق العالمية ويبلغ طوله (992) كم وهو ملكية مشتركة بين العراق وشركة تابعة لمؤسسة Dorytol بتروليوم التركية (تباو)، كما نصت الاتفاقية أيضاً على تزويد تركيا بالنفط العراقي بكمية قدرها (10) مليون طن في سنة التشغيل وذلك في مدة الواقعة بين 1977 – 1979م وتزداد إلى (12) مليون طن في عام 1983م وفيما بعد (النعمي: 21:2010، السويدي: 121:2003).

وبسبب المشاكل الاقتصادية التي كانت تعاني منها تركيا آنذاك كارتفاع معدلات التضخم والأسعار (الطائي: 110:2002، الناصري: 128:1990)، حاول العراق دعم الاقتصاد التركي بعقد عدة اتفاقيات تجارية أخرى ولاسيما في مجال النفط إذ ساهم العراق في تلبية احتياجات تركيا من النفط الخام (السويدي: 121:2003)، بإفوق على مد أنبوب للنفط العراقي باتجاه تركيا في السادس عشر من تموز 1974م وبدء الضخ فيه في الثالث والعشرين من آذار 1977م (النعمي: 23:2010). كما قام العراق بتصدير كميات من الغاز السائل إلى تركيا عام 1975م بلغت (4700) طن (السويدي: 126:2033)، وفي الوقت نفسه وقع الطرفان اتفاقية تجارية بينهما عام 1976م شملت التعاون الاقتصادي والفني في المجالات الزراعية والصناعية والنفط والأشغال العامة والري والإسكان وأنشأت لجنة مشتركة لإزالة العراقيل التي تقف حائلاً دون تنفيذ تلك الاتفاقيات في بداية عام 1978م (شبال: 42:2012).

لم تستمر تلك العلاقات بصورة سلسة وذلك بسبب تباطؤ تركيا في تسديد الديون التي بذمتها للعراق كئتمن لشحنات نفط سابقة، وقد وصلت حوالي (300) مليون دولار، لذلك قرر العراق إيقاف ضخ النفط عبر تركيا في كانون الثاني 1978م، ولم تعد العلاقات على سابقها إلا في آب من العام نفسه بعد أن تعهدت الحكومة التركية بتسديد ما بذمتها من ديون للعراق على شكل شحنات كبيرة من القمح التركي تقدر بحوالي (700) ألف طن و(100) سيارة ركاب والباقي يدفع نقداً في الأعوام 1979 و 1980 و 1981م (السويدي: 122:2003).

² أحمد حسن البكر (1914 – 1982م): سياسي وعسكري ولد في تكريت، وتخرج في دار المعلمين 1932م، ودخل الكلية العسكرية العراقية 1938م. كان عضواً في تنظيم الضباط الأحرار وشارك في ثورة 14 تموز 1958م التي أطاحت بالنظام الملكي، وأحيل على التقاعد بعد أن أتهم بمحاولة إسقاط حكومة عبدالكريم قاسم، أصبح رئيساً للوزراء بعد انقلاب 8 شباط 1963م حتى 18 تشرين الثاني 1963م، توفي في بغداد، ينظر: (الخوند: 232).

ومن هنا فقد أصبحت تركيا خلال المدة 1976 – 1980م مصدراً مهماً لدخول وخروج السلع العراقية المختلفة، وأصبح العراق محوراً حيويًا لوصول البضائع التركية والأوربية إلى الخليج العربي (الناصرى:1990:130).

العلاقات العراقية – التركية 1980-1990 : العلاقات التجارية

في أيلول 1980م أندلعت الحرب العراقية -الابرائية، وهي واحدة من بين أكثر حروب القرن العشرين إزهاقاً للأرواح وتدميراً للبنى التحتية لكلا البلدين، وتأثيراً على المحيط الاقليمي من كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية(التميمي:2010:206). وقد تزامن مع نشوب الحرب حدوث انقلاب عسكري في تركيا بقيادة الجنرال كنعان إفرين³ وكانت الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها تركيا آنذاك أحد الأسباب الرئيسية لحدوثه(القره " KenanEvren" غولي:2006:91).

وبعيداً عن تفاصيل الحرب العراقية - الإيرانية وتأثيراتها وأبعادها فأنها كانت ذات تأثير مباشر على دول الجوار الذين اختلفوا في تقييمهم لها تبعاً للمصالح التي تربطهم بطرفي الحرب، فمنهم من أيد العراق ومنهم من أيد إيران ومنهم من ألتمز الحياد، وبقدر تعلق الأمر بتركيا الدولة الجارة لطرفي الحرب فأنها كانت من الدول التي احتفظت بموقف ميزها عن باقي الدول المجاورة، فقد أعلنت حيادها رسمياً من خلال بيان صدر عن الوزارة الخارجية التركية في 2 تشرين الأول 1980م، جاء فيه: "إن تركيا سوف تبقى على حياد بين العراق وإيران وأنها لن تبادر إلى إرسال أسلحة أو قطع غيار إلى أي منهما"(العبيدي:2005:57، القره غولي:2006:90). وقد حاولت تركيا الاستفادة من الحرب الدائرة بين العراق وإيران اقتصادياً وسياسياً، فمن جهة حاولت التوسط بين الطرفين لإنهاء النزاع لأسباب اقتصادية منها:(النعيمي:2010:47، سلمان:2012:4، احمد:2004:211).

1- توسيع التبادل التجاري بين تركيا وكل من العراق وإيران وذلك في السنوات الأخيرة من الحرب كنتيجة من نتائج الحرب وهذه النقطة واضحة لأن الأتراك بدأوا نحو التوجه إلى محيطهم الاقليمي بعد أن كانوا يعتمدون على دول السوق الأوربية المشتركة.

2- كانت طرق المواصلات في تركيا ولاسيما البرية، وعلى سبيل المثال السكك الحديدية تعاني إهمالاً كبيراً فضلاً عن اختلاف عرض الخط التركي عن الخطوط الأوربية الحديثة مما لا يسمح بسرعة الحركة والأضرار إلى تفريغ البضائع وإعادة تحميلها على الشاحنات التركية، كما أن وسيلة النقل هذه عانت من فقدان العملات نتيجة للحرب العراقية – الإيرانية وقيام سوريا باغلاق الخطوط المارة عبر مناطقها إلى المحطات العراقية سواء كان ذلك عن طريق حلب ثم النقل بالسيارات كما كان يجري سابقاً أو عن طريق الموصل مباشرةً.

3- إن استفادة تركيا اقتصادياً ستكون أكثر إذا ما توقفت الحرب العراقية – الإيرانية لأن توجيه موارد العراق وإيران لإنجاز مشروعات التنمية يضمن تقوية التعاون الاقتصادي للبلدين مع تركيا أكثر مما هو عليه الآن، وفي مثل هذه الحالة ستجد أسواقاً مضافة إلى بضائعها ومنتجاتها الوطنية في كل من العراق وإيران فضلاً نمو تجارة الترانزيت. ومن جهة أخرى كانت تركيا وبالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية ترغب في استمرار الحرب لأسباب منها: تحقيق المزيد من المنافع الاقتصادية إذ كانت تركيا الممر الأساسي للصادرات العراقية والإيرانية إلى أوروبا عبر البحر المتوسط، وإضعاف منافسين قويين لتركيا في المنطقة(النعيمي:2010:48، احمد:2004:215).

على الرغم من أن تركيا عززت علاقاتها مع طرفي النزاع في أي واحد إلا أن الملاحظ في الموقف التركي، الإيجابية تجاه العراق من حيث تقديم التسهيلات المميزة له منها سرعة الموافقات التي تعطى لمرور الطائرات أو نزولها ومرور الشاحنات المحملة بالبضائع والسلع(العبيدي:2005:60).

يبدو واضحاً اختلاف الموقف التركي بين ما يعلن وما ينفذ على ارض الواقع ، وفي حقيقة الامر لا يوجد في السياسة ثوابت بقدر ما تكون هناك منافع اقتصادية وسياسية ، لذلك نرى هذا التذبذب في الموقف .

³ كنعان إفرين: أحد أبرز الجنرالات الأتراك، ولد في مدينة (مانيسا Manisa) في تركيا عام 1918م. تخرج من الأكاديمية الحربية في تركيا عام 1938م. تقلد فيما بعد مناصب عسكرية عدة حتى أصبح في أعلى درجاتها. فقد تقلد منصب قائد المدفعية خلال الفترة (1940 – 1946م) ثم أصبح قائداً للكتيبة (1947 – 1957م). تقلد منصب مساعد رئيس عمليات الجيش الأول عامي (1957 – 1958م) ثم أصبح رئيساً لهيئة فيلق الجيش عامي (1958 – 1959م). شغل منصب رئيس مدارس الأركان العسكرية ورئيساً للعمليات من (1959 – 1961م). وأمر فوج ورئيساً لأركان العسكرية من (1961 – 1970م). أصبح رئيس هيئة المفتشين ورئيس هيئة الأركان التركية خلال الفترة (1970 – 1976م). ثم تقلد منصب قائد القوات البرية التركية عامي (1976 – 1978م). ثم أصبح رئيس هيئة الجنرالات الأتراك عامي (1978 – 1980م) وبعد انقلاب 12 أيلول عام 1980م أصبح إفرين رئيس مجلس الأمن القومي إضافة لمنصبه الأخير حتى عام 1982م. ثم أصبح رئيساً للجمهورية خلال الفترة (1982 – 1989م). ينظر:(احمد:2004:49، الطائي:2002:149).

وبسبب ظروف الحرب تطورت العلاقات الاقتصادية بين العراق وتركيا إذ توصل الطرفان إلى عقد اتفاقية جديدة للنقل البري والترانزيت وقعت في أنقرة بتاريخ الثامن عشر من تشرين الأول 1980م. وأصبح العراق الدولة الأولى في قائمة الدول المصدرة لتركيا لعامي 1981 – 1982م (السويداني:2003:110). لم تقتصر العلاقات الاقتصادية على ما سبق ذكره فقد بدأت الشركات التركية العاملة في مجال الإنشاءات في الازدهار في الأقطار العربية ولاسيما النفطية منها، وكان العراق في مقدمة هذه الدول، فقد بلغ عام 1986م إجمالي عدد تلك الشركات العاملة في العراق (37) شركة بقيمة (2,098) بليون دولار. والجدول الآتي يبين عدد الشركات التركية العاملة في العراق خلال الأعوام 1981 – 1986م (الناصرى:1990:151).

السنة	عدد الشركات	حجم التعاقفات
1981	13	728
1982	35	952
1983	35	1,031
1984	35	1,031
1985	35	1,297
1986	37	2,098

وضمن السياق نفسه ولكون المؤسسات المالية الإسلامية تشكل بعداً هاماً من أبعاد العلاقات الاقتصادية بين العراق وتركيا، فقد تم الاتفاق بين البلدين في آذار 1983م على تأسيس مصرف جديد يملكه مصرف الرافدين ومصرف تركي آخر بهدف تعزيز العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين (الصالح:2012:74). وخلال السنوات السبع من الحرب العراقية - الإيرانية أستوردت تركيا بضائع بقيمة (7,93) مليار دولار من العراق وصدرت إليه بضائع بقيمة (4,88) مليار دولار، وكان 90% من صادرات تركيا إلى العراق منتوجات صناعية (رضوان:2006:191).

وقد ازدادت قيمة الصادرات التركية من حوالي (134) مليون دولار عام 1980م إلى (588 – 610) مليون دولار في عامي 1981 – 1982م، وبعد التوقيع على محضر اجتماعات اللجنة العراقية – التركية الذي تضمن اتفاق الجانبين على زيادة وتوسيع حجم التبادل التجاري بينهما، بلغ أواخر عام 1984م ما يقارب المليار و(300) مليون دولار، أزداد في عام 1985م ليصل قرابة مليار دولار (الزبيدي:2002:93). وبذلك أصبح العراق يشكل في تلك السنوات الدولية الثانية في قائمة الدول المستوردة من تركيا والثالثة في قائمة الدول المصدرة إليها (ابوحمدي:2007:69، شيبال:2012:42).

وتشير إحصائيات وزارة التجارة العراقية إلى أن حجم التبادل التجاري بين العراق وتركيا للأعوام 1982-1989 يبينها الجدول الآتي (السويداني:2003:113).

1- بالدينار العراقي:

السنة	الصادرات العراقية إلى تركيا	الاستيرادات العراقية من تركيا
1982	87,495,000 مليون	51,521,689 مليون
1983	35,966,155 مليون	68,334,210 مليون

2- بالدولار الأمريكي:

السنة	الصادرات العراقية إلى تركيا	الاستيرادات العراقية من تركيا
-------	-----------------------------	-------------------------------

اثر المتغيرات الدولية في الواقع التجاري العراقي – التركي اواخر القرن العشرين

1984	944 مليون	934 مليون
1985	1,136 مليار	1,258 مليار
1986	723 مليون	793 مليون
1987	1,154 مليار	945 مليون
1988	1,144 مليار	986 مليون
1989	1,650 مليار	446 مليون

وشهد شهر تموز 1986م التوقيع على بروتوكول جديد لتنمية العلاقات الثنائية الاقتصادية والتجارية في إطار توسيع العلاقات بين البلدين(شبال:2012:42).

وفي 4 آذار 1987م بدأت في مدينة أسطنبول التركية مباحثات رسمية بين العراق وتركيا حول مسائل النقل البري بين البلدين(شبال:2012:115)، وإمكانية تعديل الاتفاقية المبرمة عام 1977م الخاصة بالنقل بما ينسجم ومتطلبات المرحلة(العبيدي:2010:29).

وخلال فترة الحرب استفادت تركيا كثيراً من الاتفاقيات التي عقدتها مع العراق في أمور النقل البري والترانزيت والمشاريع المشتركة في حقل الموصلات والثروات الطبيعية، وتوليد الطاقة الكهربائية وبذلك أزداد نشاط الشركات التركية العاملة في العراق(الزبيدي:2002:94). ووصل عدد العمال الأتراك في العراق إلى (15) ألف عامل من مجموع (135) ألف عامل في الوطن العربي(ابوحمدي:2007:70).

عام 1989م أي السنة التي تلت انتهاء الحرب العراقية -الايروانية انخفضت صادرات تركيا إلى العراق من (986) مليون دولار عام 1988م إلى (446) مليون دولار عام 1989م، ورغم ذلك عقدت عدة اجتماعات بين الطرفين لاستمرار العلاقات الاقتصادية بينهما(السويداني:2003:115).

أحتلت الوقود المعدنية والزيوت النباتية المرتبة الثانية في استيرادات تركيا من العراق، وجاءت التمور في المرتبة الرابعة لتشكل نسبة قليلة جداً من أجمالي استيرادات تركيا من العراق، أما الصادرات التركية للعراق فتمثل مجموعة كبيرة من السلع الزراعية الغذائية (حنطة وحبوب وألياف القطن ولحوم الأبقار وبيض التفقيس والدهن النباتي والبطاطا ومعجون الطماطم) والسلع الصناعية (مكائن ومعدات والسيراميك وحببيبات البلاستيك والكيماويات وقطع الغيار والقضبان الحديدية والمنسوجات) وبعض المواد الأولية(السويداني:2003:116).

والجدول الآتي يبين حجم التبادل التجاري بين العراق وتركيا للمدة من 1980 – 1990م(السويداني:2003:117).

1- المواد الغذائية والحيوانات الحية (بالآلاف الدولارات)									
1980	1981	1982	1983	1984	1985	1986	1987	1988	1989
126	72	8	155	108	53	160	141	113	586
2- المشروبات غير الكحولية والتبغ (بالآلاف الدولارات)									
1980	1981	1982	1983	1984	1985	1986	1987	1988	1989
10,999	3,659	148	505	905	355	83	105	1,374	90
3- المواد الخام باستثناء الوقود (بالآلاف الدولارات)									
1980	1981	1982	1983	1984	1985	1986	1987	1988	1989
1,339	--	--	183	5,158	3,892	8,260	8,973	16,082	22,581

4- الزيوت والدهون الحيوانية والنباتية (بآلاف الدولارات)									
1980	1981	1982	1983	1984	1985	1986	1987	1988	1989
--	--	--	--	--	--	--	--	--	--
5- المواد الكيماوية (بآلاف الدولارات)									
1980	1981	1982	1983	1984	1985	1986	1987	1988	1989
934	--	--	--	639	2,764	2,587	389	1,110	1,640
6- مصنوعات رئيسية (بآلاف الدولارات)									
1980	1981	1982	1983	1984	1985	1986	1987	1988	1989
--	--	24	--	--	271	487	7,677	15,400	7,848
7- ماكنات ومعدات للنقل (بآلاف الدولارات)									
1980	1981	1982	1983	1984	1985	1986	1987	1988	1989
4	--	42	9	--	--	23	219	227	86
8- سلع مصنعة متنوعة (بآلاف الدولارات)									
1980	1981	1982	1983	1984	1985	1986	1987	1988	1989
--	--	5	--	--	--	--	--	45	1,589

العلاقات العراقية – التركية في مجال النفط والغاز 1980 – 1990:

عانت تركيا من قصور من مصادرها المحلية عن الوفاء بأحتياجاتها المتزايدة من الطاقة لأستخداماتها المختلفة، لاسيما بعد دخول الأقتصاد التركي مرحلته الجديدة والتي أتسمت بتوسع الاقتصاد في مختلف مجالات الإنتاج السلعي والخدمي وازداد اعتماد تركيا على الأقطار العربية النفطية ولاسيما العراق في تغطية جزء كبير من احتياجاتها النفطية(الناصرى:1990:184).

بسبب تفاقم مشكلات تركيا الأقتصادية (التضخم النقدي والمديونية الخارجية والبطالة) جعلها تسعى إلى الأفتتاح على الأقطار العربية ولا سيما النفطية منها، للتخفيف من حدة مشاكلها الأقتصادية(العبيدي:2010:30). وبذلك نشطت تجارة النفط بين العراق وتركيا خلال فترة الحرب (1980 – 1988م) إذ أستوردت تركيا نسبة كبيرة من حاجاتها النفطية من العراق(رضوان:2006:191).

وقد بدأت في عام 1980م محادثات بين العراق وتركيا حول إعادة ضخ النفط العراقي عبر خط الأنابيب الذي يمتد من حقول كركوك – ميناء جيهان التركي على البحر المتوسط، وكان الطرفان قد وقعا في عام 1980م بروتوكولات للتعاون الثنائي نصت على رفع طاقة الإنتاج من (45 – 50) مليون طن، أما حصة النفط التي تتدفق فتقدر بنحو (72) مليون طن سنوياً، وفي العام نفسه بلغت صادرات العراق إلى تركيا (102,4) ألف برميل يومياً(السويداني:2003:122).

أدى قيام سورية بقطع أنبوب النفط العراقي المار عبر أراضيها إلى موانئ البحر المتوسط(سلمان:2012:4)، إلى مضاعفة طاقة أنبوب النفط إلى تركيا(العنكي:2012:28)، حيث وصلت إلى (122) ألف برميل يومياً عام 1981م، وإلى (65) ألف برميل يومياً عام 1982م(السويداني:2003:122).

في آب من عام 1981م أقترح تركيا زيادة طاقة خط الأنابيب إلى (80) مليون طن سنوياً، شريطة أن يوافق العراق على تشغيل الخط بكامل طاقته مع رفع رسوم العبور من (35) سنناً إلى (45) سنناً للبرميل الواحد، وقد وافق العراق على

أقترحات الجانب التركي وتم التوسع الأول لأنبوب النفط من خلال زيادة طاقته التصديرية من (700) ألف برميل يومياً من عام 1982م إلى حوالي مليون برميل يومياً فسي منتصف عام 1984م (مراد: 1992:321، النعيمي: 2010:25، الناصري: 1990:185). وقد بلغ دخل تركيا المباشر لتشغيل هذا الخط مائة مليون دولار أمريكي في عام 1983م (النعيمي: 2010:23).

جرت مباحثات بين العراق وتركيا من أجل زيادة طاقة أنبوب النفط العراقي المار عبر الأراضي التركية إذ اقترح العراق القيام بمد أنبوب إضافي محاذي للأنبوب السابق بطول (80) كم لمحاذة الخط الأساسي من كركوك وحتى الحدود العراقية – التركية. على أن تقوم تركيا بمد باقي الأنبوب حتى ميناء يورموتاليك على البحر المتوسط. وتم إنشاء (8) محطات للضخ فضلاً عن هذا الخط، وقد بوشر بهذا المشروع في عام 1983م وتم الاتفاق مع شركة (أنكا) التركية لتنفيذه في مدة (18) شهراً بقيمة (70) مليون دولار (رضوان: 2006:192، النعيمي: 2010:23).

كما أتفق الطرفان على بناء معمل تكرير في باتوم والتي تقع في الجنوب الشرقي من تركيا، وعن طريق هذه الاتفاقية كانت تركيا تأمل الحصول على الكهرباء والغاز الطبيعي والنفط الخام ونتيجة لذلك أسست ثلاث مجموعات عاملة لأختيار الموضوع وتحت أسم التجارة والبنك والنقل والتعاون الاقتصادي (النعيمي: 2010:23).

بلغ إجمالي صادرات النفط الخام العراقي عبر خط الأنابيب التركي حوالي (900) ألف برميل يومياً بزيادة نسبتها (6,4%) على متوسط عام 1984م في مقابل انخفاض نسبته (2,7%) (السويداني: 2003:123).

وفي محادثات تمت في شباط 1984م أتفق الجانبان على دراسة إمكانية إقامة خط عراقي – تركي ثاني للأنبوب العراقي التركي للنفط الخام (النعيمي: 2010:52). وواصل الطرفان محادثتهما بهذا الصدد إثناء زيارة الرئيس الوزراء التركي "4" للعراق في نيسان 1984م، وكانت الفكرة محل ترحيب بالنسبة للجانب العراقي، وتم "Tourgut Ozal" توركوت أوزال توقيع على تنفيذ المشروع في الحادي عشر من تشرين الأول 1984م (السويداني: 2003:123).

في أنقرة تم التعاقد على تنفيذ الشطر الثاني من خط الأنابيب الذي يربط مناطق إنتاج النفط في العراق والساحل التركي بين ممثلي الجانب العراقي والتركي ويمثل شركة (سابيم) الإيطالية التي ترأست تجمع الشركات المنفذة للمشروع، وينص المشروع على إنجاز العمل في مدة أقصاها (18) شهراً من بدء عملية التنفيذ (شبال: 2012:42).

أبرم العراق مع تركيا عقداً في 31 تموز 1985م للتوسع الثاني لأنبوب النفط العراقي يصب في يورموتاليك على البحر المتوسط، وبموجب هذا العقد أصبحت طاقته (600) ألف برميل يومياً وبهذا وصلت طاقة التصدير العراقي من نفطه الخام عبر تركيا إلى حوالي مليون ونصف مليون برميل يومياً (الناصر: 1990:185).

شغل العراق المركز الثاني من بين الدول المصدرة إلى تركيا في عام 1986م وبعد تشغيل خط النفط العراقي التركي الثاني ووفاء العراق بالتزاماته بتصدير النفط إلى تركيا، إلا أن الصادرات التركية لم تتمكن من تغطية التزاماتها مع العراق، لذلك اضطرت تركيا إلى تسديد الفرق بين استيراداتها من النفط وصادراتها إلى العراق بالقطع الأجنبي (السويداني: 2003:124). وقد بلغت طاقة ضخ النفط العراقي عبر هذا الأنبوب عند افتتاحه عام 1987م (550) ألف برميل يومياً (رضوان: 2006:19)، وصار نصف واردات تركيا من النفط ويقدر (20) مليون دولار تأتي من العراق وكانت تركيا تحصل على ما يقارب (280) مليون دولار سنوياً مقابل نقل النفط خلال هذه الأنبوب (السويداني: 2003:124).

ويعد العراق من أكبر مصدري النفط إلى تركيا، ففي المدة من كانون الثاني حتى أيلول عام 1987م بلغ إجمالي واردات تركيا من دول العربية (13,7) مليون طن بقيمة (1,884) مليون دولار، منها (5,122 – 5,822) ملايين طن من العراق قيمتها (678 – 687) مليون دولار مما يعني أن العراق قد زودها خلال تلك المدة بـ (37,4%) من إجمالي هذه الواردات (الزبيدي: 2002:94، القره غولي: 2006:91).

⁴ توركوت أوزال (1927 – 1993م): ولد في مدينة مالطيا عام 1927م، تابع دراسته الابتدائية والمتوسطة في تركيا، وفي عام 1950م تخرج في جامعة أسطنبول في اختصاص الهندسة الكهربائية، وبعد سنتين أرسل إلى الولايات المتحدة الأمريكية للتخصص في مجال الاقتصاد والهندسة. عمل مساعد مدير دراسات الشؤون الكهربائية من عام 1961 – 1965م، ثم عين بعدها مستشاراً خاصاً في رئاسة الحكومة، وفي عام 1967م عين في هيئة التخطيط، وبعد انقلاب 1970م ترك الوظيفة وغادر تركيا إلى ولايات المتحدة إذ عمل مستشاراً خاصاً في البنك الدولي، رشح في انتخابات عام 1977م عن حزب السلامة الوطني لكنه لم ينجح، وبعد انقلاب 1980م عين بمنصب نائب رئيس الحكومة ومسؤولاً عن الشؤون الاقتصادية ولكنه أستقال في عام 1982م، فأسس عام 1983م حزب الوطن الأم وفي عام نفسه حقق حزبه انتصاراً كاسحاً في انتخابات البرلمانية، وأصبح في 13 كانون الأول 1983م رئيساً للحكومة، وفي 31 تشرين الأول 1989م أنتخب رئيساً للجمهورية، توفي في 17 نيسان 1993م. ينظر: (الطائي: 2002:258).

وبهذا الصدد أكد توركوت أوزال رئيس الحكومة التركية بأن "تحقيق التوسع الثاني لأنبوب النفط العراقي – التركي المشترك يشكل رمزاً لعلاقات الصداقة بين البلدين، وأشار في كلمة له إثناء الأحتفال الرسمي الذي أقيم في 20 آب 1987م في منطقة يورموتليك إلى أن الأنبوب سيحقق فوائد اقتصادية كبيرة لكل البلدين" (السويداني:2003:124).

خلال فترة الحرب العراقية – الإيرانية تخلى العراق عن مساحات واسعة في المنطقة الشمالية على حدوده مع تركيا بسبب الحركات الكردية في جانبي الحدود، وحصر سيطرته بالمناطق ذات الأهمية الأستراتيجية في الشمال، وهي مدينة السليمانية، ومناجم إنتاج النفط حول كركوك، وأنابيب النفط، والطرق الرئيسية في الشمال، والتي تصل العراق بتركيا (رضوان:2006:193)، وعلى هذا الأساس قامت تركيا على إيجاد منطقة أسمتها بـ (منطقة أمنة) وقد بلغ طولها (20) كم من الأسلاك الشائكة والكونكريت على طول خط الأنابيب البالغ (608) ميل الذي تم تفجيره مرتين من قبل الأكراد (النعمي:2010:51).

كان العراق في الثمانينيات من القرن الماضي أكبر شريك تجاري لتركيا، إذ بلغت نسبة صادراته (33,9%) من إجمالي الصادرات إلى الدول العربية و (51,1%) من إجمالي الواردات من هذه الدول (السويداني:2003:94). إذ أستفادت تركيا كثيراً من تصدير النفط العراقي عبر أراضيها إذ وصل مقدار أرباحها من جراء ذلك حوالي (400) مليون دولار سنوياً (الزبيدي:2002:94)، فضلاً عن ذلك فإن لها نسبة أفضل في الأستخدام تصل ما يقارب (40%) من كمية نفط العراق المار عبر أراضيها لسد أحتياجاتها المحلية، وكانت رسوم مرور النفط العراقي عبر تركيا إحدى المشاكل التي جرت مناقشتها بين تركيا والعراق، إذ كان العراق يؤد تحديدها بـ (1,50) دولار للطن الواحد بينما تريد تركيا زيادة تلك الرسوم (الناصر:1990:185).

وخلال الحرب صدر العراق مقادير ضخمة من النفط عبر تركيا بواسطة ناقلات برية للنفط ثم سرعان ما توقف هذا (الخط المتحرك) بعد وقف إطلاق النار (رضوان:2006:190)، وفي عام 1989م أي السنة التي تلت أنتهاء الحرب العراقية – الإيرانية، أنخفضت صادرات تركيا إلى العراق من (986) مليون دولار عام 1988م إلى (445) مليون دولار القره غولي:2006:91).

في بداية الثمانينيات تبنت تركيا سترراتيجية اقتصادية جديدة قوامها الأفتتاح على العالم الخارجي والتوسع في التصدير، وأخذ الغاز الطبيعي يحظى بأهمية متزايدة يوماً بعد آخر كأحد المصادر المهمة للطاقة وذلك للتطور الكبير الذي حصل في أستخداماته ولاسيما في الصناعات البتروكيماوية والنشاطات الاقتصادية المختلفة والمعتمدة على الغاز الطبيعي، ورافق ذلك تطور هائل في الصناعة ونقل الغاز الأمر الذي دفع بهذا المنتج بخطى متقدمة في ميزان الطاقة العالمي، بعد أن ضل النفط والفحم الحجري يساهمان في تلبية معظم الأحتياجات العالمية للطاقة حتى منتصف القرن العشرين (السويداني:2003:126).

وفي عام 1982م بلغت نسبة الغاز الطبيعي المستخدم من (0,1%) إلى (1%) من إجمالي الطاقة المنتجة والمستهلكة. وفي العام نفسه تم العثور على كميات كبيرة من الغاز الطبيعي في (هانيتاباد) في تراقيا ويبلغ حجم الإجمالي الأحتياطي الموجود حالياً (12,800) مليون متر مكعب، ومن المزمع توظيف هذه الكميات في محطة أجزلي لتوليد الطاقة الكهربائية بما يكفي لسد بعض حاجات تركيا من الطاقة (السويداني:2003:127).

وفي عام 1983م تم اقتراح مشروع لمد أنبوب للغاز الطبيعي العراقي إلى تركيا، وقد تم التوقيع على اتفاق بين البلدين يقضي بأن تبدأ الدراسات في كانون الأول 1983م وأعلن العراق على لسان وزير النفط بأنه تقرر تأجيل النظر في هذا المشروع (لأن إنتاج الغاز مرتبط طردياً مع إنتاج النفط الخام، لذا فإن كمية الغاز المتاحة للتصدير لا تساعد على تشغيل هذا الخط اقتصادياً على أن يعاد النظر في هذا الموضوع عندما ترتفع الطاقات الإنتاجية وتتوفر كميات الغاز الكافية) (الناصر:1990:185)، وفي هذا السياق أتفق الجانبان في أجتتماع عقد في شباط 1984م على دراسة بناء خط ثالث لإمداد تركيا بالغاز الطبيعي العراقي (النعمي:2010:52).

إن المشروع العراقي التركي يتلخص بأتجاه البلدين لبناء خط أنابيب لنقل الغاز السائل من العراق إلى تركيا وبكلفة تقديرية أولية تبلغ (300) مليون دولار (النعمي:2010:23).

وفي حقبة الثمانينيات وبعد تشغيل مشروع غاز الشمال في 1 أيلول 1983م وزيادة الطاقة الإنتاجية من الغاز السائل عن حاجة الأستهلاك المحلي، بوشر بتصديره إلى تركيا بواسطة السيارات الحوضية، وإن كانت بكميات قليلة (السويداني:2003:127).

إن جميع المؤشرات تؤكد تعاطف دور الغاز في ميزان الطاقة العالمي كطاقة ومادة أولية لأغراض صناعية، إذ أتجهت معظم دول العالم التي لديها أحتياطي من الغاز إلى تنمية مواردها من هذا المنتج والأهتمام بصناعة الغاز، وبما أن العراق

يملك ثروة هائلة من الغاز تقدر بحوالي (921) مليار متر مكعب. وبلغت نسبتها حوالي (8%) من احتياطي العربي، وأكثر من (3%) من احتياطي دول الأوبك وأكثر من (1%) من الاحتياطي العالمي، لكن العراق لا يعد من الأقطار المصدرة للغاز رغم الكميات الكبيرة المنتجة الفائضة عن الحاجة والتي غالباً ما تهدر بالحرق ويقوم العراق بتصدير كميات قليلة جداً لا تكاد تذكر في مقاييس التجارة العالمية (السويداني: 2003:127).


الخاتمة

- لقد شهدت العلاقات الاقتصادية العراقية – التركية تطوراً كبيراً وأزدهاراً واضحاً خلال حقبة الثمانينيات مقارنة مع السنوات السابقة، وقد توصل الطرفان إلى عقد العديد من المعاهدات والبروتوكولات التجارية التي سبقتها الزيارات الرسمية المتعددة بين البلدين.
- خلال المدة 1980 – 1990م أصبحت تركيا الممر الوحيد لتصدير النفط العراقي إلى أوروبا ودول العالم، وخاصةً أن تركيا تولي اهتماماً فائقاً لأثابيب النفط والغاز المارة عبر أراضيها أو المخطط لتنفيذها مستقبلاً نظراً لما تحققه من مزايا اقتصادية لتركيا في توفير احتياجاتها من النفط والغاز مع ملاحظة أن تركيا تعاني من قصور في مصادرها المحلية عن الوفاء بأحتياجاتها المتزايدة من الطاقة للاستخدامات المختلفة، لذلك أعتمدت على النفط العراقي بشكل كبير لسد هذا القصور.
- لم يكن الجانب النفطي هو الجانب الاقتصادي المهم في العلاقات بين البلدين، إذ أن تركيا أصبحت تقريباً الممر البري الوحيد الذي كان العراق يحصل من خلاله على احتياجاته من السلع والبضائع والواردات الأخرى، لذا فقد أصبح العراق سوقاً هامة للصادرات التركية المختلفة مستغلة تركيا ظروف العراق والحرب مع إيران، مما أدى إلى أنتعاش الاقتصاد التركي بشكل كبير إبان تلك الحرب بسبب هذه الامتيازات الاقتصادية والموارد المالية التي كانت تحصل عليها تركيا من طرفي الحرب خاصةً أن الجانب التركي أتبع سياسة الحياد تجاههما مما أدى إلى هذا التطور في الاقتصاد التركي والواقع أن الأزمة الاقتصادية في تركيا كانت إحدى أسباب أتباع تركيا لتلك السياسة التي أنتت نتائجها واضحة من حيث حصول أنتعاش وتطور في الاقتصاد التركي خلال السنوات 1980 – 1990م.

المصادر :

- أبو حمدي، أكرم نصر خالد(2007) " أثر الدور الاستراتيجي لتركيا في علاقتها بالنظام الأقليمي العربي" رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة مؤتة.
- أحمد، لقمان عمر محمود(2004) " العلاقات التركية – الأمريكية 1975 – 1991 دراسة تاريخية" أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل.
- تركيا، دراسات عن (د.ت) "معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية، الأرشيف والتوثيق"، الجامعة المستنصرية، ج 4 .
- التكريتي، سمير عبدالوهاب عبدالكريم(1998) " العلاقات العراقية – التركية 1958 – 1968" أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد .
- التميمي، ماريان حسن مغناظ(2010) "موقف تركيا من الصراع العراقي – الإيراني 1980 – 1988"، مجلة السياسية والدولية، ع16.
- جودة، جودة حسنين(1984) "جغرافية الدول الإسلامية" دار المعارف، الاسكندرية .
- الحسني، عبدالرزاق(1988) "تاريخ الوزارات العراقية" دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ج2-3 .
- حسين، فاضل(1977) " مشكلة الموصل دراسة في الدبلوماسية العراقية – الإنكليزية – التركية وفي الرأي العام"، مطبعة أشبيلية، بغداد .
- خضير، صائب حمودي(1976) " الاقتصاد التركي وتطور العلاقات الاقتصادية العراقية – التركية" المؤسسة العامة للتصدير - وزارة التجارة، بغداد .
- الخوند، مسعود(د.ت) " الموسوعة التاريخية الجغرافية"، دار رواد النهضة، بيروت، ج 12.
- رضوان، وليد(2006) " العلاقات العربية – التركية" شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت .
- الزبيدي، محمود عبدالرحمن خلف(2002) " سياسة تركيا الخارجية مع دول الجوار العربي (العراق وسوريا) 1980 – 1993" رسالة ماجستير، معهد الدراسات القومية والأستراتيجية العليا، الجامعة المستنصرية.
- السامرائي، عبدالقادر عبدالرزاق أحمد(2004) " السياسة الخارجية التركية تجاه العراق 1958 – 1967" رسالة ماجستير، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية.
- السباعوي، عوني عبدالرحمن(1986) " العلاقات العراقية – التركية 1932-1958، الموصل .

- السعيد، عصمت(1992) " نوري السعيد رجل الدولة والإنسان" لندن .
- السعيد، نوري(1987) "مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا 1916 – 1918" دار العربية للموسوعات، بغداد.
- سلمان، فراق داؤد(2012) "العلاقات التركية – الإيرانية" مجلة دراسات إيرانية، ع15.
- السويداني، حامد محمد طه أحمد(2003) " العلاقات العراقية – التركية 1980 – 1990" رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل.
- شيال، عزيز جبر(2012) " العلاقات العراقية – التركية الواقع والمستقبل"مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية، ع1، مج5.
- الصالح، منال (2012) "نجم الدين أربكان ودوره في السياسة التركية 1969 – 1997" الدار العربية للعلوم الناشر، بيروت .
- الصوفي، علي حمزة عباس عثمان(2004) " العلاقات التجارية بين العراق وتركيا (1926 – 1958)" رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل.
- الطائي، نوال عبد الجبار سلطان ظاهر(2002) " التطورات السياسية الداخلية في تركيا 1960 – 1980 دراسة تاريخية" أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل .
- العبيدي، شذى فيصل رشو (2005) "تركيا وقضايا المشرق العربي 1967 – 1988" أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل.
- العبيدي، حسن علي خضير علاوي(2010) " تركيا ودول الجوار الشرق أوسطي 1988 – 1998 دراسة في العلاقات السياسية" أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل .
- العربي، محسن محمد المتولي(2005) "نوري باشا السعيد من البداية إلى النهاية" الدار العربية للموسوعات، بيروت .
- عمر، حميد السيد(1944) " العراق والبلاد المجاورة" بغداد.
- العنكي، عبد الحسين (2012) "اقتصاد العراق النفطي فوضى تنمية خيارات الأنطلاق"، مطبعة الساقى ، بغداد .
- القره غولي، ميثاق خير الله جلود منصور(2006) " العلاقات الخليجية – التركية 1973 – 1990" رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل.
- كيرك، جورج(1990) " الشرق الأوسط في أعقاب الحرب العالمية الثانية" ترجمة: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، بغداد ، ج1.
- محمد، سعاد رؤوف شير(1988) "نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية 1932 – 1945"بغداد .
- مراد، إبراهيم خليل أحمد و خليل علي(1992) " إيران وتركيا دراسة في التأريخ الحديث والمعاصر" دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل .
- المطليبي، نصيف جاسم علي(1986) "موقع تركيا الجيوستراتيجي وأهميته للعراق"، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بغداد.
- الناصري، خليل إبراهيم(1990) "التطورات المعاصرة في العلاقات العربية – التركية" مطبعة الراية، بغداد .
- النعيمي، أحمد نوري(2010) " العلاقات العراقية – التركية الواقع والمستقبل" دار زهران للنشر والتوزيع، عمان .



ijar studies

International Journal of Academic Researchs Studies Year:1, Number:1, December 2018, s.90-100

Article Arrival Date/ Yayın Geliş Tarihi
02.10.2018

The Publication Date/Yayınlanma Tarihi
23.12.2018

Asniti KARNİ

Institute for Islamic Studies /Bengkulu-Indonesia

stte2010@gmail.com

&

Mohammed Hidayeturrahman

Institute for Islamic Studies /Bengkulu-Indonesia

ظاهرة الأفعال الاصطلاحية العربية في معجم محمود يونس

المخلص

الدراسة عن الأفعال الاصطلاحية لم تكن مألوفة بين دارسي اللغة العربية خاصة الجامعة الإسلامية الحكومية بينجكولو ولا يزال هناك أشياء لا بد من دراستها منها كون قاموس محمود يونس البسيطة ولم يتناول جميع المفردات العربية والأفعال الاصطلاحية، فمن الممكن بل المعتقد أن ثمة أفعال اصطلاحية منتشرة في اللغة العربية اليومية ولم تُرد فيه. فلذلك اقترح الباحث للدارسين أن يواصل هذه الدراسة البسيطة حتى تكون أكثر نفعاً وفائدة.

The Phenomenon of Arabic Idiomatic in Dictionary of Mahmud Younus

Abstract

The idiomatic is considered to be transgressions. It is also known that the idiomatic of it is beyond the object, such as: Ali takes a pen, which exceeds the object, such as: Ali sits on the chair, and Ali likes learning, but there are widespread errors in the use of such transgressive verb. The approach taken by the researcher in this research is the method of descriptive additional research. The additional research method is - as Strauss and Corbin put it - the type of research that produces discoveries that can not be obtained from statistical procedures or in any other way from the quantitative research methodology, descriptive research methodology It is a research method used to describe and analyze a phenomenon, event, social activity, attitude, perception, or individual idea, whether individual or collective. The descriptive approach in the study of language is the method that is based on the description of the specific language of time and place without a philosophy or trial. This research is a type of desk study. The researcher aims to use this method to describe and explore a linguistic phenomenon that is in the effect of some letters in the change of the meaning of some of the structure between them.

Keyword : Phenomenon; Arabic; Idiomatic; Dictionary; Mahmud Younus

أ. تعريف الأفعال الاصطلاحية

يريد الباحث بمصطلح "الأفعال الاصطلاحية" الأفعال المركبة بحرف من حروف الجر في تعديتها، فلذلك قيل أن يورد تعريف الأفعال الاصطلاحية تعريفاً جامعاً مانعاً لا بد من أن يورد تعريف الأفعال، ثم حروف الجر و ثم يأتي بتعريف ما يتعلق بهما من المصطلحات.

1. تعريف الأفعال

كلمة الأفعال جمع "الفعل"، و ما يلي تعريف الفعل لغة و اصطلاحاً: جاء أحمد مختار عبد الحميد عمر بمعنى "الفعل" في كتابه معجم اللغة العربية المعاصرة، فقال إنه مصدر ل "فعل - يفعل" بمعنى عمل.¹ أما تعريف الفعل فقد اختلف النحاة في تعريفه حسب آرائهم و نظرهم فيه. و ما يلي تعريفات "الفعل" لعدة من النحاة و اللغويين: من العلماء النحويين الذين لا ينبغي أن نستهيئهم لما لهم من الفضل في نشر علم النحو بين دارسي اللغة العربية علي الجارم و مصطفى أمين أذان عرفاً الفعل بأنه كل لفظ يدل على حصول عمل في زمان خاص.² و منهم مصطفى الغلاييني و قد عرف الفعل بأنه ما دلّ على معنى في نفسه مقترن بزمان كجاء و يجيء و جيء.³ و منهم ابن عقيل: الفعل هو كلمة دلّت على معنى في نفسها مقترنة بزمان.⁴

من خلال تعريفات الفعل الذي قدّمها اللغويون و النحاة يعرف بدهيا أنّ الفعل هو كل كلمة تدلّ على معنى حصول عمل مقترنة بزمان خاص، فبهذا التعريف احتراز الفعل من الاسم و الحرف لأنهما لم يدلّ على معنى حصول عمل كما احتراز من المصدر لأنه يدلّ على معنى حصول عمل لكنه لم يقترن بزمان معيّن.

2. تعريف الاصطلاحية

مصطلح "الأفعال الاصطلاحية" ليس المصطلح الوحيد المستعمل في هذه المسألة فمن اللغويين من قد يستعمل مصطلحات أخرى منها الأفعال المتركبة بحروف الجرّ أو الأفعال المتعدية إلى مفعولها بحروف الجرّ أو العبارة الاصطلاحية. و نظير هذه المصطلحات في الإنجليزية هي (Phrasal Verb) أو (Prepositional Verb) أو (Verb Phrase) أو نحو ذلك. و الحافز الذي دفع الباحث أن يختار مصطلح "الأفعال الاصطلاحية" دون غيره من المصطلحات هو أنّ الدراسة في هذه الرسالة تركز إلى الفعل.

تركيب "الأفعال الاصطلاحية" مركّب من المصطلحين هما الأفعال و الاصطلاحية. أمّا الأفعال فهي جمع الفعل و قد سبق تعريفه، و أمّا الاصطلاحية فهي اسم منسوب إلى "الاصطلاح" و الاصطلاح هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأوّل أو هو إخراج اللفظ من معنى لغويّ إلى آخر لمناسبة بينهما.⁵ أمّا الاصطلاحية عند صاحبي قاموس أكبر (إندونيسية - عربية) أ. طه حسين المجاهد (A. Thoha Husein Al Mujahid) و أ. عطاء الله فطاني الخليل (A. Athoilallah Fathoni Al Khalil) هي كلمة

¹ أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (مصر: عالم الكتب، 1429 هـ \ 2008 م)، ج. 3. ص. 1724.

² علي الجارم و مصطفى أمين، النحو الواضح (سورابايا: مكتبة الهداية، دس) ص. 15.

³ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية (القاهرة: دار الحديث، 1426 هـ \ 2005 م)، ج. 1. ص. 10.

⁴ عبد العزيز بن محمد الفتوح و الأصدقاء، تهذيب شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود،

1418 هـ)، ج. 1. ص. 24.

⁵ الشريف الجرجاني، التعريفات، ص. 32.

بمعنى (idiomatis) في اللغة الإندونيسية⁶ نسبة إلى كلمة (idiom). أما كلمة الاصطلاحية (idiom) نفسه فمعناها إنشاءات في العناصر التي تختار بعضها بعضاً، وكل منها معنى من وجود غيرها.

لا يخفى كذلك أنّ الدّعوة واجبة في الإسلام، و هي مبنية على فهم الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و هما باللغة العربية مع اختلاف آراء العلماء في وجوبها أو وجوب عين أم وجوب كفاية، فعلى القول بوجوب العين يقتضي وجوب تعلم اللغة العربية على كل مسلم و على القول بالوجوب الكفاية يقتضي وجوب تعلمها على من يجب عليه الدعوة. هذه القضية من دوافع تعلم العربية و الرغبة فيه فيكثر استخدام هذه اللغة بها.

لم يكن تعريف الأفعال الاصطلاحية منتشراً في كتب النحو كتعريف غيرها من المصطلحات النحوية، فهي لا تزال متفرقة في دراسات مستقلة في بعض المعجم أو المقالات. و من تعريفات الأفعال الاصطلاحية ما وجده الباحث في موقع من مواقع الإنترنت و هي " فعل مع حرف جرّ أو ظرف والذي يعطي معنى مختلفاً عن الفعل الأصلي"⁷. و لكن هذا التعريف قصده كاتب المقالة لمصطلح الأفعال الاصطلاحية في اللغة الإنجليزية و هو (Phrasal Verb) أما نظيرها في العربية فلم يكن فعل يتركب مع ظرف تركيباً اصطلاحياً و لم يلزم أن يعطي معنى مختلفاً عن الفعل الأصلي فيكون تعريفها "نوع من التراكيب الصغرى المكوّن من فعل مع حرف جرّ مركبين تركيباً اصطلاحياً سواء كان يعطي معنى مختلفاً عن الفعل الأصلي أو لا".

كما لم يكن انتشار تعريفها فإنّ هذا المصطلح كذلك لم يكن متفقاً عليه لدى اللغويين (أي أنّ هذا المصطلح ليست هو المصطلح الوحيد) للتعبير عن الفعل المتعدّي إلى مفعوله بحروف الجرّ، بل هناك عدّة مصطلحات و مثال ذلك ما استعملته مرشيليا فرانك (Marcella Frank) في كتابها الإنجليزية الحديثة (Modern English) فقد عبّرت عن هذا المصطلح ب(Prepositional Phrases)⁸.

هناك تعريف آخر للأفعال الاصطلاحية من بعض اللغويين إلا أنّ الجهة المقصودة ليست نفس الجهة للتعريف الأول. لينظر ما قاله عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي في حاشية الأجرومية التالي: "الأفعال الاصطلاحية ثلاثة، بدليل الاستقرار، وقوله تعالى: {لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ} فما بين الأيدي المستقبل، وما خلفنا الماضي، وما بين ذلك الحال؛ ولأنّ الفعل: إن تأخر التلّفظ به عند وقوعه فهو الماضي، أو قارب بعض وجوده، فهو المضارع، أو تقدم التلّفظ به قبل الفعل فهو الأمر"⁹. ممّا قاله عبد الرحمن بن محمد السابق يلاحظ أنّ المقصود بالأفعال الاصطلاحية هو المصطلحات لأنواع الفعل الثلاثة: الماضي. و المضارع. و الأمر. و الأفعال الاصطلاحية التي يريد الباحث دراستها هي ما يدلّه تعريفها الأول و هو "نوع من التراكيب الصغرى المكوّن من فعل مع حرف جرّ مركبين تركيباً اصطلاحياً سواء كان يعطي معنى مختلفاً عن الفعل الأصلي أو لا"، مثل: قام خالد بالجهاد أي أدى (عمل) (mengerjakan) خالد الجهاد فتركيب فعل "قام" مع حرف جرّ "ب" يعطي الفعل معنى جديداً يختلف عن معناه الأصلي (أي وقف) (berdiri). و مرّ خالد بطريق الذي بمعنى جاوز منذ أول وضعه.

قضية الأفعال الاصطلاحية تتعلّق بالمستويين من المستويات اللغوية و هما المستوى التركيبي (sintaksis) و المستوى الدلالي (semantik) من أجل ذلك لا بد من تأملها من هذين الجهتين.

من تعريف الأفعال الاصطلاحية السابق يلاحظ أنّها مركّبة من العنصرين الرئيسيين هما: الفعل و حرف الجرّ، ثمّ يؤدّي ذلك التركيب إلى معنى جديد للفعل يختلف عن معناه الأصلي. و ممّا لا يخفى أن لكل حرف من حروف الجرّ معنى أو معنيين فأكثر، كما لكلّ فعل معنى خاصّ إلا أنّه قد يتغيّر لتركيبه مع حرف من حروف الجرّ

⁶ A. Thoha Husein Almujaheed dan A. Atho'illah Fathoni Al Khalil. 2013. *Kamus Akbar (Indonesia-Arab)* (Jakarta: Gema Insani, tahun) h. 506.

⁷ تيومان، "الأفعال الاصطلاحية" مقالة يتوصل إليها في 21 من نوفمبر 2016 من

<http://www.startimes.com/f.aspx?t=35220589>

⁸ Marcella Frank. 1972. *Modern English*. (New Jersey: Prentice-Hall Inc, 1972) p. 163.

⁹ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي، حاشية الأجرومية (دم، دمت، دس)، ص. 44.

و قد لا يتغيّر، فما تغيّر معناه لتركيبه مع حرف من حروف الجرّ يعدّ من الأفعال الاصطلاحية المقصودة في البحث أما ما لم يتغيّر معناه بتركيبه مع حرف جرّ فلم يكن منها.

يشبه الأفعال الاصطلاحية أيضا أفعال متعدية بحرف جرّ، إلا أنّها لم يكن جميعها يتغيّر معناها بسبب تركيبها بحرف جرّ. فمن تعريف الأفعال الاصطلاحية السابقة يعرف أن الأفعال المتعدية بحرف جرّ لم يكن جميعها يعدّ من الأفعال الاصطلاحية، اللهم إلا أنّ الأفعال الاصطلاحية فهي تُعدّ من الأفعال المتعدية بحرف جرّ، و ليضرب لذلك مثلا: قولك مرّ الرّجل بالمرأة أي جاوز و أصل معنى مرّ جاوز. فلم يتغيّر معناه بعد تركيبه مع حرف الجرّ من معناه الأصلي، فلذلك لم يعدّ مثل هذا الفعل من الأفعال الاصطلاحية المقصودة دراستها.

3. عناصر التعبيرات الاصطلاحية

عناصر التعبيرات الاصطلاحية فتلاثة -كما قالت نور حسنة أرضياتي ناسوتيون-هي: "اسم، و فعل، و حرف"¹⁰ و قد وافقت عليها أمي نور الفاطمة، لكنّها تزيد في بحثها بيانا بأنّ تقسيم الكلمة في اللغة العربية يخالف تقسيم الكلمة في الإندونيسية و إن كان في الأصل سواء إلا أنّ في الإندونيسية تقسيم الاسم إلى عدّة أقسام¹¹.

أما أنواع التعبيرات الاصطلاحية فكما يلي:

- اسم+اسم مثل: أعمى القلب
- و فعل+حرف، مثل: اعتدى على
- و فعل+اسم+حرف مثل: أغمض عينيه عن
- فعل+حرف+اسم، مثل: طعن في شرفه
- فعل+فعل+اسم، مثل: واضح وضوح الشمس¹².

أما الأفعال الاصطلاحية التي تكون تكيّزا لهذا البحث فمن شكل **الفعل+الحرف**.

4. الأفعال الاصطلاحية حسب حروف الجرّ المركّبة بها في معجم محمود يونس

الرقم	الفعل الاصطلاحي الفعل+حرف الجرّ (إلى)
1	تَوَبَّ إلى
2	جَنَّبَ إلى
3	دَعَا إلى
4	سَلَّمَ... إلى

¹⁰ Nur Hasanah Ardiyati Nasution, "Analisis Idiom dalam Bahasa Arab (اللغة) تحليل التعبيرات الاصطلاحية في اللغة" (الغربية) (skripsi S1 Fakultas Sastra Universitas Sumatra Utara, 2009), h. 18.

¹¹ Umi Nurul Fatimah, "Idiom Bahasa Arab Tinjauan Gramatikal dan Semaantis (التعبيرات الاصطلاحية العربية) (دراسة نحوية دلالية) (Skripsi S1 Fakultas Bahasa dan Seni Universitas Negeri Semarang, 2013), h. 22-28.

¹² Nur Hasanah Ardiyati Nasution, "Analisis Idiom dalam Bahasa Arab (اللغة) تحليل التعبيرات الاصطلاحية في اللغة" (الغربية) (h. 19-21).

إلى	اسْتَوَى	5
إلى	شَخَّصَ	6
إلى	أَصْلَحَ	7
إلى	أَصَاخَ	8
إلى	طَمَحَ	9
إلى	طَارَ	10
إلى	ظَمِيَ	11
إلى	عَطَفَ	12
إلى	فَرَّغَ	13
إلى	قَضَى	14
إلى	قَامَ	15
إلى	كَثَّرَ	16
إلى	أَلْقَى	17
إلى	أَلْهَفَ	18
إلى	لَازَ	19
إلى	أَنْبَهَ	20
إلى	نَدَّبَ	21
إلى	نَزَعَ	22
إلى	نَسَّمَ	23
إلى	نَظَرَ	24
إلى	نَفَرَ	25
إلى	نَامَ	26
	الفعل الاصطلاحي الفعل+حرف الجرّ (ب)	الرقم
ب	جَاءَ	1
ب	أَخَاطَ	2

ب.	سَلَّمَ	3
ب.	شَفَّشَفَ	4
ب.	شَاعَ	5
ب.	صَعِدَ	6
ب.	صَاخَ	7
ب.	طَمَخَ	8
ب.	فَعَدَ	9
ب.	قَالَ	10
ب.	قَامَ	11
ب.	نَزَلَ	12
ب.	نَطَقَ	13
ب.	هَمَّ	14
ب.	وَجِدَ	15
	الفعل الاصطلاحي الفعل+حرف الجرّ (على)	الرقم
على	حَافَظَ	1
على	حَمَلَ	2
على	دَعَا	3
على	سَلَّمَ	4
على	اسْتَوَى	5
على	شَفَّشَفَ	6
على	صَلَّى	7
على	صَاخَ	8
على	طَبَعَ	9
على	طَعَنَ	10
على	طَلَعَ	11

على	ظَلَّفَ... أَظْلَفَ	12
على	اعْتَرَضَ	13
على	عَطَفَ	14
على	عَظَّمَ	15
	الفعل الاصطلاحي الفعل+حرف الجرّ (عن)	الرقم
عن	حَافَظَ	1
عن	رَغِبَ	2
عن	صَفَحَ	3
عن	أَصَاخَ	4
عن	طَلَعَ	5
عن	ظَلَّفَ... أَظْلَفَ	6
عن	أَعْرَضَ	7
عن	عَطَفَ	8
عن	قَعَدَ	9
عن	قَالَ	10
عن	كَنَفَ	11
عن	أَلْقَى	12
عن	لَاوَصَ	13
عن	مَسَكَ اسْتَمْسَكَ	14
عن	نَبَأَ	15
	الفعل الاصطلاحي الفعل+حرف الجرّ (في)	الرقم
في	رَغِبَ	1
في	صَعِدَ الصَّعَدَ	2

في	أَصْلَحَ	3
في	عَقَبَ	4
في	طَعَنَ	5
في	قَالَ	6
في	أَلْفَى	7
في	نَزَلَ	8
في	نَظَرَ	9
في	تَهَأَّلَكَ	10
	الفعل الاصطلاحي الفعل+حرف الجرّ (ل)	الرقم
ل	دَعَا	1
ل	أَصَاخَ	2
ل	صَاغَ	3
ل	اعْتَرَضَ	4
ل	قَضَى	5
ل	قَالَ	6
ل	نَعَى	7
ل	نَفَرَ	8
ل	وَجَدَ	9
	الفعل الاصطلاحي الفعل+حرف الجرّ (من)	الرقم
من	شَخَّصَ	1
من	تَنظَّم	2
من	فَرَعَ	3
من	لَازَ	4
من	تَمَكَّنَ	5

من	مَلَأَ مَمْلَأَ مَمْلَأَ	6
من	أَنْبَأَ	7
من	نَزَلَ	8
من	نَصَرَ	9
من	نَفَرَ	10
من	نَفَى	11
من	نَقَمَ	12
من	اسْتَوْحَشَ	13

الخلاصة

الدراسة عن الأفعال الاصطلاحية لم تكن مألوفة بين دارسي اللغة العربية خاصة الجامعة الإسلامية الحكومية بينجكولو و لا يزال هناك أشياء لابد من دراستها منها كون قاموس محمود يونس البسيطة و لم يتناول جميع المفردات العربية و الأفعال الاصطلاحية، فمن الممكن بل المعتقد أنّ ثمة أفعال اصطلاحية منتشرة في اللغة العربية اليومية ولم تُرد فيه. فلذلك اقترح الباحث للدارسين أن يواصل هذه الدراسة البسيطة حتى تكون أكثر نفعاً و فائدة.

وإنّ من حروف الجرّ ما يؤثّر في الأفعال في تغيير معانيه، و قد وجد الكاتب لا يقلّ من 92 فعلاً في قاموس محمود يونس تغيرت معانيها من معانيها الأصلية بتركيبها مع بعض حروف الجرّ. ليس لكل حرف من حروف الجرّ نمطاً واحداً في تغيير معنى الأفعال الاصطلاحية و تكوين المعاني الجديدة لها و أنّها تعرف سماعياً، بل لكّله أكثر من نمط من أنماط المعاني يدور إليها معاني الأفعال الاصطلاحية.


المراجع

أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة(مصر: عالم الكتب، 1429 هـ \ 2008 م)، ج. 3. ص. 1724.

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي، حاشية الأجرومية(دم، مطر، دس)
عبد العزيز بن محمد الفنتوح و الأصدقاء، تهذيب شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك(الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، 1418 هـ)

علي الجارم و مصطفى أمين، النحو الواضح(سورابايا: مكتبة الهداية، دس)
مصطفى الغلابيني، جامع الدروس العربية(القاهرة: دار الحديث، 1426 هـ \ 2005 م).
نيومان، "الأفعال الاصطلاحية" مقالة يتوصل إليها في 21 من نوفمبر 2016
<http://www.startimes.com/f.aspx?t=35220589>.

- A. Thoha Husein Almujaheed dan A. Atho'illah Fathoni Al Khalil. 2013. Kamus Akbar(Indonesia-Arab) (Jakarta: Gema Insani, tahun)
- Marcella Frank. 1972. Modern English. (New Jersey: Prentice-Hall Inc, 1972)
- Nur Hasanah Ardiyati Nasution, "Analisis Idiom dalam Bahasa Arab(تحليل التعبيرات العربية)"(skripsi S1 Fakultas Sastra Universitas Sumatra Utara, 2009.
- Nur Hasanah Ardiyati Nasution, "Analisis Idiom dalam Bahasa Arab(تحليل التعبيرات العربية)"(الاصطلاحية في اللغة العربية)
- Umi Nurul Fatimah, "Idiom Bahasa Arab Tinjauan Gramatikal dan Semantis(التعبيرات العربية)"(Skripsi S1 Fakultas Bahasa dan Seni Universitas Negeri Semarang, 2013)



ijar studies

International Journal of Academic Researchs Studies Year:1, Number:1, December 2018, s.101-108

Article Arrival Date/ Yayın Geliş Tarihi
16.09.2018

The Publication Date/Yayınlanma Tarihi
23.12.2018

Dr. Ahmed ALDYAB
Yıldırım Beyazıt University
ahmed.adyab@gmail.com
&
Dr. Hüsamettin KARATAŞ
Fırat University

المزاوجة النفسية لليهود في القرآن

الملخص:

لا شك أن اليهود من أكثر الأقوام الذين ذكرهم القرآن، وقد تلونت صفاتهم في القرآن واختلفت بحسب المواقف التي اتخذوها والحيل التي اتبعوها. وقد صورهم القرآن خير تصوير، فأبرز صفاتهم المادية والمعنوية، فهم كما نعرف يتخذون الحيلة في تنفيذ مخططاتهم. فأفعالهم الوسخة تأتي مرة علنياً ومرة خفية، لكن أغرب ما كان يفعله اليهود هو المزاوجة و التناقض في الأفعال والأقوال. ويأتي هذا البحث ليبين التناقض النفسي عند اليهود في القرآن. وقد انقسم البحث إلى خمسة نقاط، أولاً: المزاوجة النفسية في العقيدة والإيمان، ثانياً: المزاوجة النفسية في العبادة، ثالثاً: المزاوجة النفسية في الأقوال، رابعاً: المزاوجة النفسية في الشخصية، خامساً: المزاوجة النفسية في الأفعال. وختمت البحث ببعض النتائج المهمة حول شخصية اليهود.

الكلمات المفتاحية: اليهود، التناقض، القرآن، العبادة، النفسية

Psychological Coupling of Jews in the Qur'an

Abstract

There is no doubt that the Jews of the most people mentioned by the Koran, and their qualities have been diluted in the Koran and differed according to the positions they took and the tricks they followed. The Qur'an portrayed them as the best portrayal, and the most prominent qualities of material and moral, as they know how to take the analysis in the implementation of their plans. Their dirty deeds come once openly and once in a while, but the strangest thing the Jews did was to mingle and contradict the deeds and utterances. This research shows the psychological contradiction between Jews in the Koran. The research was divided into five points, first: psychological pairing in faith and faith, second: psychological pairing in worship; third: psychological pairing in words; fourth: psychological pairing in personality; The research concluded with some important findings about the Jewish character

Keywords: Jews, contradiction, Koran, worship, psychological

المقدمة:

لقد كان لليهود نصيب وافر في القرآن، فهم يشكلون مادة خصبة للكلام بما يحورونه من صفات وأحوال غريبة وعجيبة، فقد دار الحديث عن شخصيتهم وهذه التركيبة العجيبة التي تحملها في داخلها، فعلى الجانب المادي استنفد اليهود كل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، فوصلوا إلى الدرجة المتناهية في حبهم للدنيا والتمسك بالماديات، فقد أرادوا تحويل كل النواحي المعنوية إلى النواحي المادية، وفي هذا تشبيه لهم بتفكير الأطفال الذين لا يقبلون إلا ما هو مادي بحت، وأما على الجانب الروحي والمعنوي، فقد تمسك اليهود بخرافات وأوهام لكي يحققوا من خلالها الجوانب المادية المناسبة لشخصيتهم وطبيعتهم. لقد كشف لنا القرآن هذه الجوانب وصورها لنا من خلال أساليب متعددة وطرق مختلفة. فقد استطاع القرآن الكشف عن ملامح نفسية لليهود وصورها لنا بفنية عالية وبلاغة تناهية، فهي مرة نفسية شاذة في طريقة التفكير والحوار، ومرة نفسية مضربة المزاج والأحوال، ومرة نفسية متزاوجة في الأقوال والأفعال. ولقد كانت محصلة هذا التخبط في الشخصية أن أدى إلى التناقض النفسي في كل أحوالهم وأفعالهم. وفي الحقيقة إذا بحثنا عن سبب ذلك لأمكنا أن نعطي تفسيراً أولياً وهو الاضطراب الإيماني والخوف وعدم الاستقرار النفسي، وهذا ما نلاحظه في شخصيتهم في يومنا هذا. ويأتي هذا البحث ليرصد هذا التناقض النفسي في شخصيتهم وأحوالهم وأفعالهم وكلامهم.

1- المزاوجة النفسية في العقيدة والإيمان

تتجلى هذه المزاوجة بعدة أمور، أولاً: التآرجح العقدي بحسب الشهوات المادية والديوانية، فنحن نلاحظ هذا التناقض وهذه المزاوجة النفسية من خلال تآرجح إيمانهم بحسب أحوالهم المادية والشهوية. لقد تآرجحت عقيدة اليهود بين الأساطير والخرافات وانفتحت على التيارات الوافدة فتأثر دينهم وتذبذب بين الشك واليقين وبين الحق والباطل. (أبو شنب، 1998 : 194) يقول الله تعالى في سورة البقرة (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) البقرة 89

جاء التوراة إلى اليهود وفيه هدى لهم، فقد كان التوراة يمثل لهم القيمة العليا على اعتبار أنه منزل من رب العالمين وأن كل ما فيه يجب أن يكون صحيحاً وحقيقياً، لكن اليهود بسبب شهواتهم وميلهم المادي فقد أنكروا مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم وكان من المفروض أن يؤمنوا به لكنهم كانوا أول من كفر به على الرغم من أنهم يعرفونه حق المعرفة ويعلمون وقت بعثه، فالتوراة بشرهم به وأوضح لهم صفاته وأخلاقه. ثانياً: المزاوجة النفسية في الإلحاح والتعند على المعصية، يقول الله تعالى في سورة البقرة (أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففرقوا كذبتهم وفرقوا تقتلون) البقرة 87

وعلى الرغم من أنهم قد قطعوا العهد على نفوسهم بأن ينصروا الدين والعقيدة لكنهم بسبب المزاوجة النفسية التي يتصفون بها والتي تكاد تكون متلبسة بهم ولا يمكن الانسلاخ منها فقد أظهروا العداوة والبغض لكل ما يمت بصلة للدين يقول الله تعالى. يقول محمد موسى في كتابه الذي يصف اليهود بقوله " وما من حكيم يأتيهم أو يظهر بينهم ويقترّب من العفة والطهارة إلا هموا بقتله أو أسرعوا إلى طرده " (الغزالي، 1994: 2003)

(لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَأْسُنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلَّمْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70) المائدة. فقتل الأنبياء وتكذيبهم يتنافى مع العقيدة الصحيحة، بل وعلى النقيض تماماً. وفي الحقيقة المزاوجة النفسية لدى اليهود سببها هوى النفس الذي يسيطر عليهم ويتحكم بتصرفاتهم وكأن طبيعتهم اقرب للحيوان من الإنسان. يقول الله تعالى في سورة البقرة (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87).،

2- المزاوجة النفسية في العبادة

كما نعرف أن العبادة هي التطبيق الفعلي للعقيدة، فكلما كانت العقيدة صحيحة كانت العبادة موافقة بنفس درجة الصحة للعقيدة. وإن أي انحراف في العقيدة يؤدي إلى الانحراف في العبادة إما منهجاً أو طريقةً أو أسلوباً. ويبدو التناقض النفسي والمزاوجة النفسية واضحة في تحريفهم للتوراة التي وضعوا فيها حلالاً لأنفسهم، بينما نراهم قد أباحوا لأنفسهم كل شيء تجاه الآخر. وقد ورد في التوراة المحرف بعض من هذه الأفكار، فقد ورد في سفر الخروج (لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك ولا عبده ولا أمته) (سعفان، 1987: 190)، فكما نرى أن أفكارهم السامة التي بثوها في التوراة تؤكد هذه المزاوجة، فهم يبيحون لأنفسهم ماتشتهيه أنفسهم من الآخرين والأجانب والغرباء ويحرمون على أنفسهم من الأقارب. وهذا واضح في القرآن في قوله تعالى (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44) وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) البقرة. جاءت هذه الآيات تصف اليهود كيف أنهم يمتنعون عن إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة، ليس هذا فحسب، بل إنهم يرتكبون قبحاً أكبر من ذلك بدعوتهم الناس إلى الصلاة وامتناعهم عنها، ومن هنا تبرز هذه المزاوجة النفسية المريضة والتي هي أقرب إلى النفاق والشرك. فكتابهم يأمرهم بالصلاة والزكاة والعبادات الأخرى إلا أن نفوسهم المريضة وشهواتهم النفسية تقيدهم وتسيطر على تصرفاتهم وأحوالهم. ويأتي وصفهم بشكل واضح في آية أخرى يقول الله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ (83) البقرة. هذه الآية تبين إعراضهم الصريح عن العبادة وإقامة الشعائر الصحيحة وامتناعهم من شريعة موسى، ولقد أمرهم الله تعالى بعدم الاعتداء في يوم السبت الذي خصص للعبادة وألا يقتلوا الحيتان والأسماك، لكنهم تمردوا على أوامر الله، يقول تعالى (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (154) فِيمَا تَنْهَوْنَهُمْ مِّيثَاقَهُمْ وَكُفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155). إن الإسلام قد قرر أن العبادة الصحيحة لا بد أن تكون كلاً متكاملاً لا تتجزأ ولا تنفصل عن بعضها، فما هو حرام فهو حلال في الأحوال والأزمان والأمكنة وعلى كل الأشخاص والأفراد، لكن اليهود جزؤوا هذه العبادة، فجعلوا ما هو حلال لأنفسهم وحرّموا على الآخرين أو نجد العكس، فنراهم حرّموا على أنفسهم أشياء وجعلوا فعلها حلالاً على الآخرين. لقد كان اليهود يعيشون ازدواجية أخلاقية مريضة وانفصاماً في السلوك والحياة، فالحرام فيما بين اليهود فقط والأخلاق والفضائل لليهود فقط. فالزنى والغدر والسرقة محرمات لا يجوز لليهودي أن يقع فيها بين قومه يهود، لكنها إن تعلقت بأخرين يجوز لهذا اليهودي أن يمارسها، بل يتقرب إلى ربه بالقيام بها " (الخالدي، 1998: 140)

3- المزاوجة النفسية في الأقوال

من أوضح الصفات التي توضح المزاوجة النفسية عند اليهود الكذب والافتراء والتلاعب بالكلام وفنونه، وهذا واضح في أيامنا، فالإسرائيليون كما أثبت الواقع في فلسطين من أشد الناس مرواغة وحيلة في تقليب الكلام وتغييره والتلاعب به. يقول الله تعالى (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضِبِهِمْ إِلَىٰ بَعْضِ قُلُوبِهِمْ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76). فهم عندما يكونون مع الذين آمنوا نجدهم قد افصحوا بالإيمان وإذا غادروا من عند المؤمنين نجد التناقض والمزاوجة في الكلام وسريعاً ما يغيرون ويبدلون الأقوال، يقول تعالى في إبراز هذه الصفة فيهم (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59) البقرة. يقول الزمخشري (الزمخشري، 1998 : 142) " وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا بلفظ آخر، لأنهم لو جاؤوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به، لم يؤاخذوا به. كما لو قالوا مكان حطة: نستغفرك ونتوب إليك. أو اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك. وقيل مكان حطة: حنطة استهزاء منهم بما قيل لهم، وعدولاً عن طلب ما عند الله ". ويقول تعالى (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِخِسَابِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78) آل عمران. فاليهود لووا نطق الكلمات وهم يقرؤونها ليضيع المعنى على السامعين وليفهموا معنى

غير المعنى الحقيقي. ويقول تعالى (مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)) البقرة. لقد كان من مكر اليهود أنهم يلوون الكلمات والتعابير ليسخروا من جدية تعاليم الإسلام، فهؤلاء الماكرون كانوا يقولون بصوت عال سمعنا وأطعنا ثم يقولون بصوت منخفض سمعنا وعصينا. وقد كانوا يستخدمون كلمات مبهمة تحتل معانياً كثيرة بحسب اللغة التي تُستخدم فيها، ففي الآية السابقة استخدم اليهود كلمة "راعنا" والتي تعني في العربية الاحترام، لكن بلوي اللسان في نطقها فإن معناها يتغير إلى السوء (البيضاوي، 2000: 143) أو يتغير معناها في العبرية وتصيح بمعنى "أنت السيء فينا". يقول ابن عاشور (ابن عاشور، 1984: 162) "التحريف هنا مستعمل في الميل عن سواء المعنى وصريحه إلى التأويل الباطل، كما يقال: تنكب عن الصراط، وعن الطريق إذا أخطأ الصواب وصار إلى سوء الفهم أو التضليل، فهو على هذا تحريف مراد الله في التوراة إلى تأويلات باطلة، كما يفعل أهل الأهواء في تحريف معاني القرآن بالتأويلات الفاسدة. ويجوز أن يكون التحريف مشتقاً من الحرف وهو الكلمة والكتابة، فيكون مراداً به تغيير كلمات التوراة وتبديلها بكلمات أخرى لتوافق أهواء أهل الشهوات في تأييد ما هم عليه من فاسد الأعمال" (حسين، 1989: 41)

ولشدة حيلهم في التلاعب في الكلام فقد أثبت القرآن آيتين مختلفتين تفيدان كيفية التلاعب بالكلام وهو قوله تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه) النساء 46 ، وقوله تعالى (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) المائدة 41. يذكر النسفي (النسفي، 2004: 161) في تفسيره بعض هذه الفروق فيقول: (يحرفون الكلم عن مواضعه) يميلونه عنه ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلاً غير غيره فقد أمالوه عن مواضعه في التوراة التي وضعه الله تعالى فيها وأزالوه عنها مقامه، ومعنى (من بعد مواضعه) أنه كانت له مواضع هو جدير بأن يكون فيها، فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاربه والمعنيين متقاربين ". وقد تصدى الرازي (الرازي، 2000: 84) لهذه المسألة مبيناً الفرق بين الآيتين فقوله تعالى في سورة النساء (عن مواضعه) أي معناه يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان أنهم يخرجون تلك اللفظة من الكتاب، وأما الآية المذكورة في سورة المائدة قوله تعالى (من بعد مواضعه) فهي دالة على أنهم جمعوا بين الأمرين، فكانوا يذكرون التأويلات الفاسدة، وكانوا يخرجون اللفظ أيضاً من الكتاب، فقوله: (يحرفون الكلم) إشارة إلى التأويل الباطل وقوله (من بعد مواضعه) إشارة إلى إخراجه عن الكتاب".

4- المزوجة النفسية في الشخصية :

التناقض في الشخصية من أعقد الصفات وأكثرها بشاعة وكرهاً، فالإنسان المتناقض مع شخصيته كثيراً ما يعرض نفسه للذم من قبل الآخرين، فنراه يوماً يحب الأبيض ويوماً آخر يحب الأسود، ويوماً معك ويوماً عليك، وهذا هو دين اليهود وحالهم. وفي الحقيقة هذا التناقض نتيجة لضعفهم وعدم تمكن الإيمان في قلوبهم واضطراب العقيدة لديهم. لقد صور القرآن هذه الصفة في شخصيتهم بفتنة وبلاغة عالية، يقول الله تعالى (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)) البقرة. فنحن نلاحظ هذا التناقض من خلال الآية كيف أنهم يتقبلون بأفكارهم وأهوائهم وكيف أن شخصيتهم تتقلب بين ساعة وأخرى. إن ضعف شخصية اليهود تتمثل في إدعائهم الضعف وأنهم غير مهدين من قبل الله تعالى وهذا ما يؤكد اليهود من خلال زعمهم، يقول الله تعالى (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (88) البقرة. إن الإنسان الذي يتقلب بشخصيته عند عدم قيامه بالعمل ينسب ذلك للآخرين، أو يدعي أن عنده نقص ومشكلة في جسمه تمنعه من القيام بالعمل والنجاح فيه. ومن أوضح ما يدل على شخصية اليهود الضعيفة والتناقض فيها الإدعاءات الكاذبة والتحدي الذي غالباً ما يتراجعون عنه وينكسرون أمام شهواتهم النفسية وحبهم الدنيا والسعي وراءها. يقول الله تعالى في سورة البقرة (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95)) البقرة. فاليهود يدعون أنهم القوم الخالص وأنهم سيدخلون الجنة دون حساب، لكن القرآن يرد عليهم، إذا كان هذا ماتدعون صحيحاً فتمنوا الموت، لكنهم في قرارة نفسهم يعرفون أنهم مثقلون بالذنوب والخطايا والمعاصي، فالله عز وجل يرد عنهم

بأنهم لن يتمنوا الموت أبداً وهذا يؤكد حقيقة الخوف الذي يعيشون فيه. إن ما نراه في آيائنا من تناقض الشخصية عند اليهود يؤكد هذه الحقيقة التي نشؤوا عليها " إن العقيدة الخاطئة التي نشأ عليها اليهود وكبرت معهم جعلت سلوكهم متراجحاً ومضطرباً كعقيدتهم الفاسدة وهذا أثر بشكل واضح على شخصيتهم " (عبد الفتاح، 2001: 45)

5- المزاوجة في الأفعال :

المزاوجة في الأفعال من الصفات التي كانت وما تزال ملصوقة باليهود وتظهر بعدة أمور منها : التراجع عن العهود والمواثيق، يقول الله تعالى (أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (100) البقرة. وهذه الصفة النكث بالعهود كانت ملازمة لهم منذ القديم من زمن سيدنا موسى وإلى زمن الرسول الكريم وحتى زماننا الحالي. لقد صور القرآن نكث اليهود لمواثيقهم وعهودهم بصورتين نقض المواثيق مع الله تعالى بصلتهم بالعبادات فقال عز وجل واصفاً إياهم (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83) البقرة. والصورة الثانية نقض مواثيقهم مع الله تعالى بصلتهم بأنفسهم وإخوانهم يقول عز وجل (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْجُدُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِنْفِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تَفَادَوْهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جُزْءٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) البقرة. ولعل سبب ذلك عند اليهود لظنهم واعتقادهم بأنهم الشعب المختار الذي يمكنه أن يفعل كل شيء دون حساب أو دون عقاب ومن هنا يعطي اليهود لأنفسهم الحق في فعل الكبائر والجرائم دون رادع أو قانون. من الأمور التي يزواج فيها اليهود نفسياً هي خيانتهم للأمانات. وقد صورهم القرآن بصورة بلاغية جميلة ورائعة فقال عز وجل (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ بِيَأْتِيهِمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76) آل عمران.

ونلاحظ المزاوجة النفسية في قمتها عند مخاطبة اليهود لنبيهم عندما قالوا ابعث لنا ملكاً نقاتل من خلاله فلما جاءهم ما أرادوا نكثوا وتولوا، يقول تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالَوا لِنَبِيِّ لَهُمْ اإِبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيكُمْ الْفِتْنَالِ أَلا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاؤِنَا فَلَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَالِ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) البقرة. يبين الطبري في تفسيره هذه المزاوجة (الطبري، 1405هـ) قائلًا " **عن وهب بن منبه** : أنه لما نزل بهم البلاء ووطنت بلادهم ، كلموا نبيهم شمويل بن بالي فقالوا " : **ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** . " **وإنما كان قوام بني إسرائيل الاجتماع على الملوك ، وطاعة الملوك أنبياءهم . وكان الملك هو يسير بالجموع ، والنبي يقوم له أمره ويأتيه بالخبر من ربه . فإذا فعلوا ذلك صلح أمرهم ، فإذا عنت ملوكهم وتركوا أمر أنبيائهم فسد أمرهم . فكانت الملوك إذا تابعتها الجماعة على الضلالة تركوا أمر الرسل ، ففريقا يكذبون فلا يقبلون منه شيئا ، وفريقا يقتلون . فلم يزل ذلك البلاء بهم حتى قالوا له " : **ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** . " فقال لهم : إنه ليس عندكم وفاء ولا صدق ولا رغبة في الجهاد . فقالوا : إنما كنا نهاب الجهاد ونزهد فيه ، أنا كنا ممنوعين في بلادنا لا يطوها أحد ، فلا يظهر علينا فيها عدو ، فأما إذ بلغ ذلك ، فإنه لا بد من الجهاد ، فنطيع ربنا في جهاد عدونا ، ونمنع أبناءنا ونساءنا وذراريها . " ومن العجيب أن اليهود يدعون في كل تظاهرة أنهم أبناء الله وأحباؤه، لكن أفعالهم تتناقض وتزواج مع أقوالهم، فلو افترضنا ذلك كما يدعون فمن المفروض ألا يقتلوا ولا يفعلوا المعاصي والفواحش، لكننا نراهم على العكس من ذلك يأكلون أموال الناس ويقتلون الأنبياء ويصدون عن سبيل الله، يقول تعالى في كتابه العزيز، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ كَثِيرًا مِنْ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (140) التوبة.**

6- المزاوجة النفسية في شهواتهم النفسية :

من أغرب وأعجب التناقضات التي اتصف بها اليهود أنهم يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو أعلى، وهذه الأحوال لا تصيب إلا التائهين عن أوامر الله عز وجل والذين لا يهتدون بنوره وهدايته، وهذا يشير إلى عدم إيمانهم وعدم البصيرة والبصر، فقد استحوذ عليهم الشيطان وأحكم سلطانه فلم يعد هؤلاء يبصرون ولا يهتدون ولا يمشون على الطريق المستقيم. لقد أعمى حب الدنيا أبصارهم فلا يستطيعون التمييز بين ما هو أدنى وما هو أعلى وأفضل، وهذا ما حصل فعلا عندما طلبوا من سيدنا موسى البصل والثوم وغيرها من المأكولات التي تعد مقارنة بغيرها من المأكولات بسيطة ومتواضعة. يقول الله جل وعز

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61) البقرة.

الخاتمة:

لا شك أن موضوع اليهود في القرآن من المواضيع الخصبة والتي تُبحث بكثرة من قبل المفكرين والباحثين، وهذا وإن دل على شيء، فإنه يدل على أمرين، أولهما: شخصية اليهود التي تجذب الباحثين لما تحويه من سلبيات تتفق مع شخصيتهم في وقتنا الحالي والتي تظهر للعيان بوضوح، فاليهود على مر التاريخ لم يتغيروا، بل استفحلوا بصفاتهم السيئة وطغوا وكانوا دائماً منساقين وراء شهواتهم النفسية والديوية. ثانيهما : بلاغة القرآن وتصويره البلاغي والفني والتي تحرك أفكار الباحثين ليفتقروا أحوال اليهود ويعطوها بعداً آخر. ولقد خلص هذا البحث إلى مجموعة من النقاط.

- حاولت أن أتبع مصطلح المزاوجة وأفضله على مصطلح التناقض وذلك لسبب هو أن مصطلح المزاوجة يدل على المرض النفسي الذي التصق باليهود، وكأنه يعني أن لليهود شخصيتان انفصلتا عن بعضهما.
- شخصية اليهود شخصية غريبة وعجيبة، فعلى الرغم من أنهم كانوا يدعون أنهم شعب الله المختار إلا أن تصرفاتهم كانت تصدر عنهم مثل الأطفال الذين يغيرون أفكارهم وفقاً لشهواتهم ومتعمهم.
- من الملاحظ أن اليهود شغلوا مساحة لا بأس بها في القرآن، وقد كان الحديث عنهم في غالبه يتمثل بالسلبيات والتناقضات المثيرة.
- على الرغم من أن القرآن أظهر صفات اليهود السلبية إلا أنه لم يعمم ويشمل الجميع في حديثه، فقد كان يستثني، فنجد دائماً يقول " ومن أهل الكتاب " . وهذا يدل على موضوعية القرآن ومنهجه القويم والسليم.
- لقد صور القرآن اليهود وأخبارهم على نفس الدرجة من التناقض والمزاوجة النفسية، فأخبارهم لم يكونوا يزهون اليهود عن فعل السيئات، بل كانوا على حد سواء مع اليهود.
- في الحقيقة شخصية اليهود وما اتصفت به من سلبيات وأفعال سنية إنما هي استجابات لما يحويه قلبهم من الأمور السيئة ولما يحويه من الحقد والبغض للمسلمين.
- نلاحظ أن التشخيص القرآني كان موضوعياً في تشكيل سلوك اليهود بأبعاده المختلفة.
- صور القرآن مادية اليهود مادية عقيمة تسعى لعدم تطوير النفس والفكر، فبعض الناس يسعى لأن يكون مادياً، لكنه يحاول أن يطور نفسه من خلال هذه المادية، وهذا على العكس من مادية اليهود التي حاولت أن تجعل المادية وسيلة وهدفاً.

المصادر والمراجع:

- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير(1984)، الدار التونسية للنشر، تونس.
- أبو شنب، أحمد(1999) ، خصائص الفكر الديني اليهودي، مصر.
- البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد بن عبد الله بن عمر الشافعي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث.
- الخالدي، صلاح (1998)، الشخصية اليهودية، دار القلم، دمشق.
- الرازي (2000) ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي(1998)، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكات، الرياض.
- سعفان، كامل (1987) ، اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، مصر
- الطبري (1405) ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار الفكر، بيروت.
- الغزالي، محمد موسى (2003)، أثر الوثنية في اليهودية، مصر،
- فؤاد، حسين (1989)، أطماع اليهود وأسفارهم، دار الكتب الثقافية ، بيروت.
- المهدي، محمد عبد الفتاح (2001) ، سيكولوجية الصهيونية، دار البيطاش، الإسكندرية،.
- النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود(2004) ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ، دار الكلم الطيب، دمشق.